

التفسيّر المبين

ألفه وكتبه :
الفقير إلى عفوره

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب
مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الرابع

(ح) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ

٦ مج

ردمك : ٧-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

(عج) ٩٧٨-٦، ٣-٩، ٣، -٤-٥

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

1429 / 3614

ديوي ۶، ۲۲۷

رقم الايداع : ٣٦١٤ / ١٤٢٩

ردمك : ٧-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

(٤ج) ٩٧٨-٦.٣-٩.٠٣-٤-٥

جميع الحقوق محفوظة

لـ)) مجلة

البحوث الفقهية المعاصرة»

المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنفال

مدنية وآياتها خمس وسبعون آية

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

بيان الآية:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ النفل ما يعطيه ولي الأمر لأصحاب الجيش إكراماً لهم على جهودهم في الحرب. وسبب نزول هذه الآية مارواه أبو أمامة عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون. وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه، وأحدثت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق منا نحن أهدقنا برسول الله ﷺ خفنا أن يصيب العدو

منه غرة فاشتغلنا به فنزلت هذه الآية فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين. وكان رسول الله إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل (وكل الناس) راجعاً نفل الثلث وكان يكره الأنفال ويقول: (ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم)^(١).

وقد روى سعد بن مالك قال: يارسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين فهب لي هذا السيف فقال: (إن هذا السيف لا لك ولا لي فضعه) قال: فوضعتة ثم رجعت قلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لا يبلي بلائي قال: فإذا رجل يدعوني من ورائي قال: قلت قد أنزل في شيئاً؟ قال: (كنت سألتني عن السيف وليس هو لي وإنه قد وهب لي فهو لك) قال: وأنزل الله هذه الآية^(٢) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: الزموا تقوى الله حتى لا يكون بينكم خلاف حول أمر من الأمور كحال اختلافكم في النفل ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فيما أمركم به في قسمة الغنيمة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم حقاً مؤمنين بالله، ومصدقين برسوله وبما جاءكم به.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٩٢-٣٩٣، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٧٢، والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٧١، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ١٧٨.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب تقوى الله بتوحيده، وطاعته، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له. ومن الأحكام: وجوب إصلاح ذات البين درءاً للاختلاف الذي يفضي إلى الفساد. وشاهده من الكتاب قول الله عز وجل ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٢). وقوله جل ثناؤه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(٣). أما شاهده من السنة فما روته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً)^(٤).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ (٤)﴾

(١) سورة النساء من الآية ١١٤.

(٢) سورة النساء من الآية ١٢٨.

(٣) سورة الحجرات من الآية ١٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، برقم (٢٦٩٢).

صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ٣٥٣.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إخبار من الله وتوصيف منه عز وجل للمؤمنين فهم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت وفزعت من عذابه. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ يعني أنهم إذا سمعوا المواعظ التي تذكر بعظمة الله وآياته تزداد قلوبهم إيماناً فيكثرون من الحسنات ويتباعدون عن السيئات. ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: يوكلون أمورهم إليه فيدركون أنه حسبهم وناصرهم ومعينهم لا يرجون ولا يخشون أحداً سواه.

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ لما ذكر الله عز وجل صفاتهم في الوجل وازديادهم للإيمان بعد سماعهم لآيات الله، بين أن من صفاتهم إقامة الصلاة بوصفها أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: ومن صفاتهم إنفاقهم مما أعطاهم الله من المال؛ فيؤدون الزكاة المفروضة ويتصدقون كما قال عز وجل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (١).

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ تأكيد لصفاتهم المذكورة وأن

إيمانهم ذلك هو الإيمان الحقيقي وجزاؤه أن ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: منازل في الجنة. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: غفران سيئاتهم وخطيئاتهم. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: الجنة وما أعده الله لهم فيها من النعيم المقيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من صفات المؤمن وجل القلب عند ذكر الله، وتلاوة آياته، والتوكل عليه. ومن هذه الصفات: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر أركان الإيمان. تقرير أن المؤمنين ينالون الدرجات في الجنة، وتكفر عنهم سيئاتهم وخطيئاتهم.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ ٥ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ٦ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ٧ ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطْلَ الْبَاطِلِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٨ ﴿

بيان الآيات:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ لما علم الله اختلاف بعض

أصحاب رسول الله ﷺ في الأنفال، ثم حكم بأنها لله ورسوله وتمت قسمتها بالعدل قال عز وجل: هذه الحال في كرهكم لها مثل الحال التي كرهتم فيها الخروج لقتال المشركين يوم بدر فكانت لكم العاقبة والمصلحة في ذلك القتال، وكانت لكم المصلحة كذلك في قسمة الغنائم بينكم بالعدل. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُوا﴾ أي: كانوا كارهين لقتال المشركين. ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ أي: جادلوك في الأنفال كما جادلوك في القتال حين قالوا آنذاك: أخرجتنا للغير ولم تعلمنا أن هنالك قتلاً نواجهه والمجادلة في الحق أي: في القتال بعد ما تبين لهم أن الله قد وعدهم إما النصر على المشركين أو أخذ العير. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: أنهم كرهوا لقاء المشركين وهم يدركون أن ذلك سيحل بهم.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ أي: يعدكم إما العير وهي عير أبي سفيان التي كانت آتية من الشام، أو قتال المشركين ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي: تحبون أن تكون العير لكم لأنه ليس فيها حرب. ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ﴾ أي: يريد أن يظهره وذلك بهزيمة المشركين ونصرة المؤمنين. ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يمكنكم من رقابهم فتهمزموهم فلا يبقى منهم إلا من استسلم أو هرب.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ هذا تأكيد بأنه جل وعلا يحق الحق وهو نصر الإسلام وأوليائه، وهزيمة الباطل وأوليائه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لوكره ذلك المشركون الذين أجزموا في حق أنفسهم فأشركوا مع الله غيره واستكبروا عن عبادته وحده وعاندوا رسوله رغم ما جاءهم به من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان الله للمؤمنين أن جعل الأنفال لله ولرسوله، وأن قسمتها بالعدل فيه مصلحة لهم رغم كره بعضهم لذلك وهذا مثل كرههم للخروج يوم بدر لقتال المشركين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ بعث بعض أصحابه لاعتراض قافلة قريش التي كانت قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان. ولما خرج رسول الله ﷺ وعد أصحابه إحدى الطائفتين إما العير، أو نفير قريش. فلما نجت القافلة ونفر المشركون من مكة بعد علمهم أن رسول الله ﷺ أراد اعتراض القافلة استشار عليه الصلاة والسلام أصحابه في قتال المشركين فوافق بعضهم على قتالهم في بدر، وكره بعضهم ذلك. وقد وقع القتال فكانت العاقبة للمؤمنين. ومن أحكام الآيات أن الله يحق الحق ويبطل الباطل وقد تحقق هذا في تلك الغزوة وغيرها.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنْ

الْمَلَكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ
قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
بيان الآيتين:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ لما كان يوم بدر نظر
رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة
عشر رجلاً فاستقبل عليه الصلاة القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف
بربه (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك
هذه العصاة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال عليه
الصلاة يهتف لربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه
عن منكبيه. فأتاه أبوبكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه
من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك
ما وعدك فأنزل الله تعالى هذه الآية (١). وقد استجاب الله دعاءه
بقوله عز وجل ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَكَةِ﴾ فكان جبريل في
خمسمائة وميكائيل في خمسمائة (٢). وقوله ﴿مُرْدِفِينَ﴾ أي:
متتابعين وقد روى ابن عباس أنه بينما رجل من المسلمين يومئذ
يشد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (٤٥٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٤٨٦٨.

(٢) تفسير البغوي ص ٥١٥، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٧٩.

وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشقّ وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (صدق ذلك من مدد السماء الثالثة) فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين^(١).

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ المراد به الإمداد الذي أتى من السماء أو يكون المراد الملائكة الذين جاؤوا للمعركة مردفين. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: أن مجيئهم كان رابطاً لقلوبكم ومثبتاً لها. ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: لا ناصر ولا معين لكم إلا هو، وليس الملائكة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: له العزة والغلبة. ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: حكيم فيما أمر به رسوله من قتال المشركين مع أنه قادر على إهلاكهم دون قتال.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الاستغاثة المشروعة يجب أن تكون بالله تعالى؛ إذ إن كل استغاثة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو يعد شركاً أكبر. أما الاستغاثة بالمخلوقين فيما يقدر عليهم كالاستغاثة بدفع صولة عدو أو نحو ذلك فهي جائزة. ومن الأحكام: أن الله تعالى يستجيب لاستغاثة عباده

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٤٨٦٨.

المؤمنين فيرسل لهم الملائكة يقاتلون معهم كما في الآيات وكما كان مشهوداً في بعض غزوات رسول الله ﷺ.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١٣﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝١٤﴾

بيان الآيات:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ لما ذكر الله عز وجل أنه يربط على قلوب المؤمنين ذكرهم بما منَّ به عليهم من غشيانهم بالنعاس أماناً لهم من الخوف الذي داخلهم من عدد المشركين يوم بدر كما قال عز وجل في يوم أحد ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يُغَشِّئُ طَائِفَةً مِنْكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ۖ﴾ (١). وقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يوم بدر في عريش وضع له ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وهما يدعوان الله بالنصر فأخذته عليه الصلاة والسلام سنة

من النوم ثم استيقظ وهو يبتسم فقال: (أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثنياه النقع) ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قول الله تعالى ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾^(١). وقال علي رضي الله عنه: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح^(٢).

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما سار والمسلمون إلى بدر كان المشركون بينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد حين ناموا على غير ماء، واحتلم أكثرهم وألقى الشيطان في قلوبهم حين تمثل لهم في صورة رجل يوسوس بينهم ويقول: أنتم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبيين ولو كنتم على حق لما غلبوكم. فأنزل الله عليهم مطراً شديداً فشربوا وتطهروا وثبت الرمل حين أصابه المطر وسار الناس والدواب عليه، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان كما قال عز وجل ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: وسأوسه وتخويفه لكم^(٣).

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبت قلوبكم في محاربة عدو الله

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٧٩، والآية في سورة القمر الآية ٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٧٢، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٧٩.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ١٩٥، وتفسير البغوي ص ٥١٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٤٣، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٧٩-٢٨٠.

وعدوكم. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ المراد به الشجاعة. ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ المراد أن الله جل وعلا أوحى إلى الملائكة الذين جاؤوا إلى معركة بدر لنصر نبيه أن يثبتوا الذين آمنوا بما يكون مشجعاً ومقوياً لهم على القتال؛ فكان الملك يأتي في صورة رجل يمشي بين الصفوف ويقول: أبشروا بالنصر، وهو معنى قوله ﴿فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ثم قال للملائكة ﴿سَأَلِقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي: سأجعلهم يفزعون ويخافون حتى تنهار قواهم. ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرقاب. ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ المراد به مفاصل اليدين والرجلين لكي يتوقفوا عن الضرب بأيديهم، وعن الحركة بأرجلهم. وقد صدق الله وعده فانهزم المشركون وقتل منهم تسعة وتسعون منهم أبو جهل، وأسر عقبة بن أبي معيط وقتل صبراً.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: إن ما حصل لهم من الضرب كان بسبب مشاقتهم لله ورسوله، ومعاندتهم، وإصرارهم على شركهم رغم ما جاءهم من البينات. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: يحاده ويعانده. ﴿فَكَارِبُ اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: أليم العقاب لكل من يشاقه.

﴿ذَلِكَ كَمْ فَذُوقُوهُ﴾ ذوقوا هذه الهزيمة التي حلت بكم في الدنيا.

﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ وهذا هو الجزاء لكم ولهم في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعم الله على رسول الله ﷺ وصحابته يوم غزوة بدر الكبرى؛ فقد غشاهم النعاس أمانة لهم من الخوف من عدد المشركين، وأنزل عليهم المطر حين عدموا الماء، وثبت أقدامهم في الحرب وألقى الرعب في قلوب عدوهم، وعلمهم طرق الحرب. ومن الأحكام: كفر من شاق الله ورسوله، وتقرير ما يستحقه من العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
الْأَذْبَارَ ١٥ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقَالٍ أَوْ
مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الخطاب للمؤمنين. ﴿إِذَا لَقِيتُمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ أي: إذا لقيتموهم وهم وأنتم في جيش زاحف
أي: كبير وداهم. وسمي زحفاً لأنه من كثرته وتوجهه إلى المعركة مثل
من يزحف دلالة على بطء حركته. ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ﴾ أي: لا
تفروا من أمامهم منهزمين.

﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقَالٍ﴾ هذا هو الاستثناء

والمراد أن يفر فيظن عدوه أنه انهزم أمامه ثم ما يلبث أن يكر عليه وهي حال الخدعة في الحرب ومن أساليبها. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ أي: ينضم إلى فئة أخرى مقاتلة لما فيه المصلحة في كسب الحرب. ﴿فَقَدْ بَكَاءُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: إذا فر من المعركة ولم يكن هدفه التحرف للقتال، أو التحيز إلى فئة من أصحابه فقد رجع من معركته تلك وهو مغضوب عليه من الله. ﴿وَمَا أَوْنَهُ جَهَنَّمَ﴾ أي: ستكون جهنم مقره. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المقام.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الثبات أمام العدو عند القتال لكي يتحقق النصر أو الشهادة في سبيل الله، وهذا يقتضي تحريم الفرار أمامه لما في ذلك من غضب الله وسخطه. ويستثنى من التحريم من يفر ليدفع العدو ثم يكر عليه، أو يكون فراره بقصد الانضمام إلى فرقة أو طائفة أخرى لمساندتها في هجومها، أو فك الضيق عنها.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٧) ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ^(١٨) إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُو لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ^(١٩)

بيان الآيات:

بَيَّنَّ اللهُ عز وجل أن كل شيء بأمره وإرادته وحكمته وأن البشر لا ينصرون أنفسهم، ولكن الله هو الذي ينصرهم على عدوهم إذا أراد ولهذا انتهت معركة بدر بنصر المؤمنين. ولما قُتِلَ من قُتِلَ من صناديد المشركين كان بعض المقاتلين من المسلمين يتفاخر ويقول قتلت وفعلت، فبيَّنَّ اللهُ عز وجل أنه هو الذي هزم المشركين فقال عز ذكره ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ ﴿١﴾ فهو الذي أنزل الملائكة، وأمرهم أن يثبتوا المقاتلين، ويبشروهم بالنصر، ويقووهم على القتال؛ وهو الذي ألقى الرعب في قلوب المشركين، وأمر الملائكة بضرب أعناقهم. وهو الذي أنزل المطر فظهر به المقاتلين من المسلمين وأذهب عنهم وساوس الشيطان.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ﴿٢﴾ لما تعاظمت قريش على رسول الله ﷺ قال: (هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهم إني أسألك ما وعدتني) فأتاه جبريل عليه السلام فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه: (أعطني قبضة من حصباء الوادي) فرمى بها في وجوههم وقال: (شاهت الوجوه) فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا فتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم^(١). والمعنى أن الرمية التي رميتها يامحمد لم

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي مختصراً ص ٣٩٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦

ص ٢٠٤-٢٠٥، وتفسير البغوي ص ٥١٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٤٥، وتفسير القرآن

تبلغ ما بلغته ضد المشركين إلا أنها رمية من الله ﴿وَلَيْكِبَ اللَّهُ رَمَى﴾ أي: هو الذي رمى المشركين بقوته وقدرته. ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ أي: ليتبين للمؤمنين ما مَنَّ به عليهم من نصرهم على عدوهم مع كثرة عدده وعُدده وقلة عددهم وعدتهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سمع دعاء نبيه ودعاء المؤمنين فاستجاب لهم وهزم عدوهم.

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: مضعف كيدهم فكلما زاد كيدهم أبطله الله وخذلهم.

﴿إِنْ تَسْتَفِنُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ هذا خطاب لقريش على سبيل السخرية منهم؛ ذلك أنهم لما أرادوا النفير لنصرة العير القادمة من الشام ومعها أبو سفيان تعلقوا بأستار الكعبة ودعوا الله أن ينصرهم لأنهم يقرون الضيف، ويفكون العاني، ويصلون الرحم، وأن ينصر محمداً إن كان على حق أو ينصرهم إن كانوا على حق. وقيل: إن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينما كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي: دمّره وأهلكه^(١). والمعنى إن تستفتحوا أيها المشركون للفصل بينكم وبين محمد فقد جاءكم الفتح أي: هزيمتكم ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: إنكم إذا وحدتم الله وأطعتم رسوله وتركتم محاربته

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٤٥، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٩٥-٣٩٦، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٨٤.

فهو خير لكم من عداوتكم له. ﴿وَإِنْ تَعُدُّوْا نَعْدًا﴾ أي: إن تعودوا لمعاداته نعد أي: نهزمكم ونهلككم. ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أي: لن يغني عنكم جمعكم مهما كان عدده ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أن الله يكون دائماً مع المؤمنين كما قال عز وجل ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله هو الذي يتولى نصر عباده وأوليائه؛ فالمجاهد مهما كانت قوته وبأسه لا يقدر بأي حال على أن ينتصر لنفسه من عدوه لأن مناط النصر وأسبابه من الله كما قال عز وجل ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٢). فمن ابتغى النصر منه أجابه، ومن ابتغاه من غيره وكله إلى نفسه. ومن مسائل الآيات معجزة حفنة التراب التي غشيت وجوه المشركين، وأعمت أبصارهم. ومنها: أن الله يضعف كيد الكافرين في كل زمان ومكان.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ١٠ .

﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ
 ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الخطاب للمؤمنين وقد أمرهم الله بالاستمرار على الطاعة له ولرسوله والثبات على ذلك. ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: لا تعرضوا عما أمرتم به وأنتم تسمعون ما جاءكم من البينات كما يفعل الكافرون. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: المنافقين الذين يقولون بالسنتهم سمعنا ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يصدقون بقلوبهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ﴾ أي: إن شر الناس عند الله أولئك الذين لا يحبون سماع الحق أو فهمه، فهم دائماً يعرضون عن سماعه وفهمه. ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يفهمون بعقولهم حقيقة ما أمروا به من طاعة الله وطاعة رسوله؛ فهم من جنس البهائم بل هم شرها. ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: إن الله يعلم أنه ليس فيهم خير فلم يهدم لأنه يعلم بعلمه المطلق أنه لو هداهم لأعرضوا عن سماع الحق، وقبوله تكبراً وعناداً منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله فيما أمرا به والانتهاز عما نهيا عنه، وهذا يقتضي تحريم اتباع أهل الكفر والنفاق في ضلالهم وقولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم. ومن أحكام الآيات: التقرير بأن شر الناس عند الله أولئك الذين يعرضون عن سماع الخلق.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسُ فَتَأْتِيَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ المراد بهذا الأمر للمؤمنين أن يستجيبوا لما يأمرهم الله به ورسوله استجابة طاعة وتصديق. ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: لما ينفعكم في دينكم ودنياكم؛ ذلك أن كل أمر من الله أو من رسوله فيه خير للمأمور في عاقبة أمره. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أي: يحول بين المؤمن والكفر، ويحول بين الكافر والإيمان؛ ولهذا

يجب أن يكون العبد وجلاً متعلقاً بربه حتى يثبتته على دينه. وفي هذا روى أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) قال: فقلنا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال: (نعم. إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها كيف يشاء)^(١). ﴿وَأَنَّهُ إِلَىٰ مَحْشُرُونَ﴾ المراد أنكم إذا استجبتم له ولرسوله حقاً وصدقاً فسوف يجازيكم بالثواب إذا حشرتم إليه.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ أي: احذروا فتنة ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ قيل: إن المراد بها الصحابة، وقد تأولها الزبير بن العوام يوم وقعة الجمل وقال: «لقد قرأنا هذه الآية على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ولم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت»^(٢). وقيل: فيها تأويلات عدة^(٣) وأياً كانت هذه التأويلات فإن الله تعالى حذر هذه الأمة سلفها وخلفها من الفتن التي تتعرض لها في دينها ودنياها، وعلى رأس هذه الفتن التفرق والاختلاف والبعد عن الطريق الذي رسمه الله لها، وهو وحدتها في دينها المرسل إليها على لسان رسولها ونبيها محمد ﷺ.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعين للرحمن، برقم (٢١٤٠)،

سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٩٠، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، برقم (١٩٩)،

سنن ابن ماجه ج ١ ص ٧٢.

(٢) تفسير البغوي ص ٥٢٠-٥٢١، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٤٧.

(٣) تفسير البغوي ص ٥٢٠-٥٢١، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٤٧.

ومن هذه الفتن عدم التناهي عن المنكرات التي تقع في الأمة وقد ضرب لها مثلاً بما جرى لبني إسرائيل بقوله ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١). ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢). ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٣). ولما سألت زينب بنت جحش رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث)^(٤). وفي حديث حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)^(٥).

وفي حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ خطب وأوماً بإصبعيه إلى أذنيه وقال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٣) سورة المائدة الآية ٨٠ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «ويل للعرب من شر قد اقترب»، برقم (٧٠٥٩)، صحيح البخاري ج ١٣ ص ١٣ .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٢١٦٩)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٠٦، وأحمد في المسند ج ٥ ص ٣٨٨ .

كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم ما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً^(١).

وفي حديث جرير البجلي أن رسول الله ﷺ قال: (مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب)^(٢). فهذه الآية والأحاديث تدل على أن العامة يعاقبون بذنوب الخاصة إذا لم يردعوهم عن فسقهم وينهوهم عما يرتكبونه من المنكرات؛ ذلك أن حكمة الله اقتضت أن لا تقوم الأرض على فساد أو طغيان فإذا وجد في الأمة من يفسد أو يطغى في الأرض وجب عليها رده؛ فإذا سكنت عن ذلك كانت بمثابة الراعي بفعله فأصبحت كلها عاصية. ولهذا حذر الله عز وجل من الفتنة التي لا تقتصر على الظالم بل تتعداه إلى الصالح.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ❀ أي: تدبروا واعلموا علم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، برقم (٢٤٩٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ١٥٧.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٣٦٤، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨)، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٩، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج ٣ ص ٧٠، برقم (٥٥٣٥).

يقين أن الفتنة إذا وقعت وعم الفساد ولم يتناه الناس عنه فسيعاقبهم الله عقاباً شديداً.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ يذكّر الله عباده المؤمنين أنهم كانوا قلة في عددهم إلى جانب الكفار الذين يفوقونهم عدداً وقوة. قوله ﴿مُسْتَضَعْفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: كانت قريش تستضعفكم في مكة ولم يكن لكم حينئذ ناصر ولا معين. ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ﴾ المعنى كنتم تخشون من كان حولكم من الكفار والمنافقين. ﴿فَتَأْوِنَكُمْ﴾ أي: جعل لكم مأوى في المدينة عند الأنصار أمّنتم عندهم على أنفسهم وعلى دينكم وأهلكم. ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ أي: قواكم. ﴿بِصُرِهِ﴾ أي: بعونه وقوته ومكن لكم في المدينة مقاماً عند إخوانكم الأنصار. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: الغنائم التي حصلت عليها من المشركين. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تحمدون الله وتشكرونه على ما أنعم به عليكم من هذه النعم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستجابة لله ولرسوله، وهذا يقتضي الائتمار بما أمرا به من الفرائض والواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات مما ورد في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله محمد ﷺ. ومن الأحكام: أن الله ورسوله يدعوان الخلق لقصد منفعتهم في الدنيا والآخرة. ومنها:

أن على العبد أن يكون وجلاً متعلقاً بربه ليسأله الثبات على دينه. ومن الأحكام: وجوب الحذر من الفتن والتحرز منها، ولا يكون هذا إلا بالتقوى. ومنها: أن الفتن لا تقتصر على الظلمة بل تعم الناس كلهم برهم، وفاجرهم إذا لم يعملوا على درئها. ومن الأحكام: وجوب ذكر نعم الله والتحدث بها وشكره عليها.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ .

بيان الآيات:

الخيانة ضد الأمانة ومن خان فقد نقض ما عهده به إليه وقد نزل قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصر يهود بني قريظة سألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يتركوا المدينة إلى الشام فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان ناصحاً لهم لأن عياله وماله لديهم فبعثه إليهم فقالوا له: ما ترى هل ننزل على

حكم سعد ؟ فأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي. فمكث سبعة أيام على تلك الحال حتى خرَّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه. ف قيل له: قد تيب عليك، فحلّ نفسك. فقال: لا والله لا أحلّها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني، فجاءه فحلّه بيده فقال: إن من تمام توبتي أن أهجّر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي فقال رسول الله ﷺ: (يجزيك الثلث أن تتصدق به)^(١).

﴿وَتَحْذَرُوا أَمْنَكُمْ﴾ أي: لا تخونوا الأمانات التي ائتمنتم عليها من قبل الله، أو من قبل عباده. ويشمل ذلك أمور الدين والدنيا. وقد بين رسول الله ﷺ أن خيانة الأمانة من النفاق في قوله: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)^(٢). ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أن ما قمتم به خيانة.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٩٧، وأخرجه أبو داود في كتاب الإيمان والنذور، باب فيمن نذر أن يتصدق، بالاختصار برقم (٣٣١٩)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٢٠٢، وأحمد في المسند نحوه ج ٣ ص ٤٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١١١.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ المراد بذلك أبو لبابة - كما سبق ذكره - فقد كان له أولاد وأموال في بني قريظة مما جعله يشير عليهم ألا يقبلوا حكم سعد بن معاذ. وقوله فتنة أي: امتحان يمتحنكم الله بهم كما قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (١). وقال عز ذكره ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢). ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: أن ثواب الله خير من الأولاد والأموال كما قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده وماله والناس أجمعين) (٣). ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر) (٤).

(١) سورة التغابن الآية ١٤ .

(٢) سورة المنافقين الآية ٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم (١٤-١٥)، صحيح البخاري ج ١ ص ٧٤-٧٥ .

(٤) البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم (٦٦٣٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٥٣٢ .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ الخطاب للمؤمنين أنكم إذا اتقيتم الله بالثبات على ما أمركم به، والحذر عما نهاكم عنه ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي: مزية في الدنيا تظهرون بها على غيركم من أهل الأديان الأخرى، ومزية في الآخرة بما يمن الله به عليكم من الثواب. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: يمحو خطيئاتكم. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: يستر عيوبكم وخطيئاتكم. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: بما ينعم به على عباده، ويتفضل به عليهم من الستر في الدنيا والثواب في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم الخيانة سواء ما كان مناطه حق الله على العباد فيما أخذه عليهم من الميثاق، أو ما مناطه حقوق العباد. ومن الأحكام: تقرير أن من المال والولد ما هو فتنة قد تحمل العبد على خيانة الله وخيانة رسوله كما فعل أبو لبابة ثم تاب فتاب الله عليه.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٣٠) وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

بيان الآيتين:

سبب نزول هذه الآية مارواه محمد بن إسحاق عن ابن عباس أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد (وقد كذب لعنه الله) سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي. قالوا: أجل ادخل، فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم قال: فصرخ عدو الله الشيخ فقال: والله ما هذا لكم برأيي والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم قالوا: صدق الشيخ فانظروا في غير هذا.

قال قائل منهم: اخرجوه من بين أظهركم فاستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ: والله ما هذا لكم برأيي الم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لأن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين إليكم حتى

يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا: صدق والله فانظروا رأياً غير هذا قال: فقال أبوجهل لعنه الله: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد لا أرى غيره. قالوا: وما هو ؟ قال: تأخذون من كل قبيلة غلاماً شاباً وسيطاً نهذاً ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقول واسترحنا وقطعنا عنا أذاه قال: فقال الشيخ: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى لا أرى غيره. قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت الرسول ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذاك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكره نعمه عليه^(١).

قوله ﴿لِيُثَبِّتُكَ﴾ أي: يحبسوك. ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ أي: يتخلصوا منك بالقتل أو بخروجك عنهم. ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ أي: يحيكون لك الأذى ويكيدون لك. ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ أي: يبيت الله ما أعد لهم من العذاب. ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أي: إن مكره أشد وأعظم. ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَتْنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: إن هذه الآية

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٣٦-١٤١، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٠٨-٢٠٩.

نزلت - كما ذكر من قبل - في النضر بن الحارث؛ فقد كان هذا يسافر إلى الشام ويقرأ القصص القديمة عن كسرى وقيصر وغيرهم فإذا قص رسول الله ﷺ أخبار من مضى من الأمم جلس النضر في مجلسه وقص من قصصه وكذبه ثم يقول لمن يستمعه: هل أنا أحسن قصصاً أم محمد (١)؟ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ أي: لو أردنا قلنا مثل ما يقوله محمد. ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ المراد من قولهم أن ما يقصه محمد هو من أساطير الأولين أي: من قصصهم.

ولما كان هذا المشرك من أشد أعداء الرسالة مكن الله منه يوم بدر فقتل جزاء استهزائه بكتاب الله ورسوله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير مكر مشركي قريش برسول الله ﷺ، وكيدهم له، وتببيتهم قتله، وقد نجاه الله ومكر بهم. تقرير أن المشركين كانوا يستهزئون بآيات الله حين تتلى عليهم، ويصفون كلام ربهم بأنه أساطير، وقد انتقم الله منهم.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ وَآتِنَا عَذَابَ الْيَمِّ ۖ﴾ (٣٢) وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمُ إِلَّا يَعِدُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُٓ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُٓ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ
وَتَصْدِيهٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ القائل هو أبو جهل^(١) وهو اسم على
مسمى وقيل إن القائل النضر بن الحارث فقد دعا الله على قومه أن
يأتيهم العذاب، ولو طلب الهداية من ربه لكان خيراً له ولهم. وقد ذكر
أن ابن عباس لقي رجلاً من اليهود فقال له اليهودي: ممن أنت؟ قال:
من قريش. قال اليهودي: أنت من القوم الذين قالوا ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ
هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية فهلا عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو
الحق من عندك فاهدنا له إن هؤلاء قوم يجهلون. قال ابن عباس: وأنت يا
إسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه
فرعون وقومه وأنجا موسى وقومه حتى قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ
إِلَٰهَةٌ﴾ ﴿٢﴾ فقال لهم موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ فأطرق اليهودي
مفحماً^(٤). قوله ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْْنَا﴾ أي: أنزل علينا ﴿حِجَارَةً مِّنَ

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، برقم (٤٦٤٨)، ج ٨ ص ١٥٨.

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٣٨.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٣٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٩٨.

السَّمَاءِ أَوْ أَثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ أي: حجارة تقذفنا بها من السماء أو ترسل علينا عذاباً شديداً.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ المراد أن حكمة الله اقتضت ألا يعذب قوماً، ونبیهم ما زال بين أظهرهم يدعوهم إلى الله. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لم يقطع المشركون صلتهم بالله فكانوا يطوفون ويقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. ويقولون: غفرانك غفرانك^(١) لأن الاستغفار يخفف من السيئات. وقد يكون المراد أن الله لم يعذبهم لأن فيهم مسلمين يستغفرونه.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: كيف لا يعذبهم الله ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: يمنعون منه عباد الله. ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هُؤُلَاءِ﴾ أي: ليسوا أهل المسجد الحرام لأنهم مشركون نجس. ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾ أي: إن أهله هم النبي ﷺ والمؤمنون الذين يتقون الله حق تقاته. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنهم فريقان: فريق جاهل لا يعرف الحق من الباطل، وفريق يعرف الحق ولكنه معاند مكابر.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ المكاء الصفير والتصدية التصفيق؛ ذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم

متشابكوا الأصابع يصفرون فيها ويصفقون خاصة إذا رأوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ المراد به القتل والأسر يوم بدر وكان ذلك جزاء كفرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في سؤالهم العذاب، ولو سألوا الهداية من الله لكان ذلك خيراً لهم. تقرير أن الله لم يعذب أمة محمد ﷺ أو يقطع دابرها كما فعل بالأُمم الهالكة. ومن الأحكام في الآيات: فضل الاستغفار، وكونه يدفع العذاب عن المستغفرين. ومنها: تقرير خطيئة من يصد الناس عن المسجد الحرام ونفي ولاية المشركين له. الحكم بأن أولياء الله هم المتقون. ومن الأحكام: تحريم التصفيق والصفير في العبادة وكراهيته في غيرها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْسِرُونَ﴾ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣٧)

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ ذكر محمد بن إسحاق أن

قريشاً لما أصيبت يوم بدر مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش لهم تجارة فقالوا: يامعشر قريش: إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربته لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا، ففعلوا فنزلت فيهم هذه الآية (١).

﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يحاربوا شرع الله وأحكامه التي جاء بها رسوله محمد ﷺ. ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: سيكون إنفاقها حسرة وندامة عليهم وخزياً في الدنيا لأنهم مهما أنفقوا وصدوا عن سبيل الله فإن العاقبة للمتقين كما قال عز وجل ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢). أما في الآخرة فسيكون إنفاقهم الأموال للصد عن سبيل الله حسرة عليهم بما يلاقونه من العذاب الأليم.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ أي: إن الغلبة ستكون عليهم والنصر للمؤمنين. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الذين ماتوا منهم وهم على الكفر ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ أي: يجمعون يوم القيامة فيحشرون إلى جهنم. وإذا كانت الآية نزلت في الكفار الذين جمعوا الأموال لمحاربة رسول الله ﷺ؛ فهي عامة في كل من ينفق أمواله لمحاربة الإسلام ومعاداة المؤمنين سواء بقتالهم أو التضيق عليهم.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٠٠، والسيرة النبوية لابن إسحاق ج ١ ص ٣٩٩.

(٢) سورة التوبة الآية ٣٢.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ أي: المال الذي أنفقه المشركون للصد عن سبيل الله. ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي: من المال الذي ينفقه المؤمنون للجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه كما فعل ذلك أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من المؤمنين ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ أي: يركم مال المشركين بعضه على بعض ركامًا واحدًا. ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: يجعل هذا المال معهم كما قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١). ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(٢). ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إشارة إلى الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله وأنهم خاسرون في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن كل نفقة يراد منها الصد عن سبيل الله تتحول إلى هلاك لصاحبها في الدنيا والآخرة، ومن ذلك مثلاً ما ينفقه الأعداء من نفقات على وسائل الإعلام، أو على الملحددين، ومن في حكمهم بقصد محاربة دين الله، أو محاربة أتباعه، أو تشويه سمعتهم، أو الحط من

(١) سورة التوبة من الآية ٣٤ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٥ .

قدرهم. ومن الأحكام: أن الله يميز المال الخبيث من المال الطيب فينمي المال الطيب لأصحابه، ويركم المال الخبيث بعضه على بعض ليجعله مع أصحابه في جهنم.

﴿ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨) وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا انْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ (٤٠) .

بيان الآيات:

﴿ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هذا أمر لنبي الله ورسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا ﴾ أي: يتركوا شركهم وعداوتهم لك وللمؤمنين وأن يدخلوا في الإسلام. ﴿ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي: يتجاوز الله عن خطيئاتهم التي فعلوها قبل الإسلام، وهذا رحمة منه ولطف بخلقه حين يقدمون عليه تائبين من معاصيهم. ﴿ وَإِنْ يَعُودُوا ﴾ أي: إلى معاداة الرسول والمؤمنين. ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: في إهلاك الأمم السابقة التي عصت أنبياءها، وفيما حدث لعدد من صناديد قريش في بدر عبرة وموعظة للذين لم يسلموا

وما كان ينتظرهم من الخزي في الدنيا والآخرة إذا بقوا على كفرهم.
﴿وَقَبِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ هذا أمر بقتال المشركين
إلى أن ينتهوا من شركهم وعبادة أصنامهم. ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ
كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: يكون دين الإسلام هو الدين الوحيد الذي يؤمنون
به ويتبعون أحكامه. ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: إذا تابوا وأسلموا له فسوف يثيبهم على
إسلامهم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإسلام ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَاكُمْ﴾ أي: هو الذي ينصركم ويعينكم. ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
النَّصِيرُ﴾ أي: نعم المولى لمن يتولاه ونعم الناصر لمن يتولى نصره.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المشركين إذا تابوا من شركهم وأخلصوا التوبة بشروطها
يغفر الله ما مضى من خطيئاتهم، وهذا من رحمته بعباده. أما إذا
استمروا على شركهم ومعاندتهم لله ورسوله فقد مضت سنة الله
وقضى حكمه بإهلاكهم. ومن أحكام الآيات: وجوب قتال المشركين،
وهذا حكم عام أوجبه الله على المسلمين في كل زمان ومكان حتى يكون
دين الإسلام هو الغالب في الأرض. ومنها: أن الله نعم المولى لمن يتولاه
ونعم النصير لمن يتولى نصره.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤١).

بيان الآية:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ﴾ الغنيمة ما يتم الحصول عليه بجهد. والمراد أن ما غنمتم من مال الكفار حال جهادكم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أي: ينفق في المصالح العامة خاصة الدينية كالمساجد ونحوها. وقد روى أبو العالية أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة، وهو سهم الله تعالى ثم يقسم ما بقي على خمسة^(١). قوله ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ أي: ما للرسول من الخمس خاص به لنفقته عليه وعائلته. ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: قرابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم آزرُوا بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ودخلوا معهم في الشعب لحماية رسول الله ﷺ. ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أي: ينفق على فقراء المسلمين وأيتامهم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ أي: المحاويج من المسلمين. ﴿وَابْنِ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل ص ٢٧٥، برقم (٣٧٤)، باب ما جاء في قسمة الخمس، وذكره الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٣-٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٣٦.

السَّيْلِ ﴿١﴾ خاص بالمسافرين، ومن انقطعت بهم السبل إذا كانوا محتاجين لما يوصلهم إلى بلدانهم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ ﴿٢﴾ المراد عليكم العمل بما بيّناه من قسمة الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله وبما جاءكم به رسوله من الأحكام. ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ ﴿٣﴾ أي: يوم بدر. ﴿يَوْمَ النَّفْيِ الْجَمْعَانِ﴾ ﴿٤﴾ أي: جمع المسلمين وجمع المشركين. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥﴾ أي: قادر على نصر عباده مهما كانت قلتهم وقادر على هزيمة أعدائه مهما كانت كثرتهم. وأداء الخمس مما أوجبه الله في الآية السابقة، وفي سنة رسول الله محمد ﷺ لأن وفد عبد القيس لما وفد على رسول الله قال لهم عليه الصلاة والسلام: (أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، أمركم بالإيمان بالله ثم قال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا إلي خمس ما غنمتم) (١).

أحكام ومسائل الآية:

قسم الله الغنائم في كتابه قسمة حُكْم فهي لله ولرسوله، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. فما لله يصرف في مصالح الأمة. وما لرسوله يصرف لحاجته. وما لقربائه يصرف في قرابته الأدنى

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب قوله تعالى ﴿مُيَبِّينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ برقم (٥٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ١٠.

وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب لكونهم أزروه يوم حاصره المشركون؛ وهذا المال يسقط بوفاته لقوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود فيكم)^(١). كما يسقط حق قرابته، ومن قال باستمرار هذا الحق لقرابته بعده فلا حجة له فيما قال لأن فاطمة رضي الله عنها أرسلت تطلب ميراثها من أبي بكر فقال لها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا نورث ما تركنا صدقة)^(٢). ويعطى الفارس في الجيش سهمين لكثرة جهده، والراجل سهماً، ولا حق في الغنائم للنساء لأنهن لم يؤمرن بالقتال؛ وإن قاتلن أعطين هدية. ولا حق أيضاً في الغنائم للأجراء والصناع، ومن في حكمهم من أهل الذمة. وقيل: يسهم لهم ولا يسهم لمن مرض إلا أن يكون مرض بعد القتال.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خَقَلْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي

(١) أخرجه النسائي في كتاب قسم الفي، برقم (٤١٤٩)، سنن النسائي ج ٧ ص ١٤٩، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، برقم (٦٩٤)، سنن أبي داود ج ٢ ص ٤١٤، وأحمد في المسند ج ٤ ص ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة»، برقم (٦٧٢٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٧.

مَنَامِك قَلِيلًا وَلَوْ أَرْسَكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنزَعْتُمْ فِي
الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ *

بيان الآيات:

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهِ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِحَادِثَةِ بَدْرٍ، وَمَا
كَانَ فِيهَا مِنْ نَصْرِ لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾
أي: موضع الوادي القريب من المدينة. ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾
أي: بالموضع الأبعد من المدينة، والأقرب إلى مكة. ﴿وَالرَّكْبُ اسْفَلَ
مِنْكُمْ﴾ المراد به العير التي كان عليها أبوسفیان تسير مما يلي
البحر. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ المراد لو كان الأمر
الذي حدث حسب موعد بينكم وبين المشركين لاختلفتم في الميعاد.
ثم لو علمتم ما هم عليه من العدد من الرجال والسلاح وأنتم قلة
في عددكم وسلاحكم لترددتم في لقاءهم، أو لما لقيتموهم. وكذلك لو
علموا بترتيب لقاءكم لتهيّبوا وحدث لهم رعب في نفوسهم منكم فلم
يحدث لكم بسبب ذلك لقاءهم وحربهم. ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: إن الله أراد أن تكون هذه المعركة حتى
ينصركم الله ويهزمهم.

وفي حديث كعب بن مالك قال إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. وبعث رسول الله ﷺ حين دنا من بدر علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه يتحسسون له الخبر فأصابوا سقاة لقريش هما غلام لبني العاص بن سعيد وغلام لبني الحجاج فأتوا بهما رسول الله ﷺ فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يسألونهما لمن أنتما فيقولان: نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ف ضربوهما فلما اذلقوهما قالوا: نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلم وقال: (إذا صدقاكم ضربتوهما وإذا كذباكم تركتوهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش) قالوا: هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى فقال لهما رسول الله ﷺ: (كم القوم؟) قالوا: كثير، قال: (ما عدتكم؟) قالوا: ما ندري، قال: (كم ينحرون كل يوم؟) قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشرةً. فقال رسول الله ﷺ: (القوم ما بين التسعمائة والألف) ثم قال لهما: (فمن فيهم من أشرف قريش؟) قالوا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبوجهل بن هشام

وأمية بن خلف ونبیه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها)^(١).

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾
الهلاك هنا للكفر، والحياة للإسلام. والمراد أن من يكفر عن بيينة لا عن شبهة فلا يلقي له عند الله حجة بعدما رأى من الآيات في غزوة بدر، ونصر الله لعباده المؤمنين ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ أي: يسلم أيضاً من يسلم عن بيينة بأن دين الإسلام هو الدين الحق الذي ينصره الله، وأن المؤمنين هم أولياء الله وجنده، وأنه ناصرهم على أهل الشرك والضلال ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يسمع دعاءكم ويعلم بأحوالكم وتدابيركم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا﴾^ط المراد أنه رآهم في منامه قلة في عددهم فقص ذلك على أصحابه فثبتتهم الله بذلك ﴿وَلَوْ أَرَدْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ﴾^ط أي: لو أراكم كثيراً لشقت كثرتهم عليكم، ولأدى ذلك إلى تشييط هممكم ولما أقدمتم على حربهم. ﴿وَلَنَنْزِعَنَّهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^ط أي: اختلفتم في الرأي حول مقاتلتهم.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٠٧-٣٠٨، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠١، وأصل الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة بدر، برقم (١٧٧٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٤٩٣٨، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الأسير ينال منه ويضرب، برقم (٢٦٨١)، سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٠٨.

﴿وَلَا يَكِنَّ اللَّهُ سَلَمٌ﴾ أي: تفضل عليكم بالسلامة من التنازع والاختلاف. ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما ستكون عليه حالكم لو علمتم بكثرتهم.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ أي: لما رأيتموهم في يقظتكم فيكون التقليل في المرة الأولى في المنام، وفي الثانية في اليقظة. وفي هذا قال عبد الله بن مسعود: قلت لإنسان كان بجانبني يوم بدر: أتراهم سبعين؟ فقال: هم نحو المائة، فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم؟ قال: كنا ألفاً^(١). ﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ أي: قلل المسلمين في أعين المشركين عند ابتداء القتال حتى إن أبا جهل قال: إنما هم قلة يطعمهم لحم ناقة فعليكم بهم، أوثقوهم بالحبال. فلما استمر القتال كثّرهم الله في أعين المشركين كما قال عز ذكره ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾^(٢) أي: يرونهم ضعفيهم في العدد مما ثبطهم وهزمهم في نفوسهم. ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: ما أرادته عز وجل من هزيمة المشركين، ونصر المسلمين، وإعلاء دين الله وهزيمة الشرك. ﴿وَالِإِلَهِ رَبُّكُمْ لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ﴾ أي: إن كل أمر مصيره ومرجعه إليه لا حول ولا قوة لأحد إلا به.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٢.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما كان في غزوة بدر من النصر للمسلمين، وتذكير الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ وصحابته بنصره لهم. تقرير أن ما حدث في هذه الغزوة عبرة لمن يعتبر، وتوكيد أن دين الله هو الغالب وأن الله ينصر أوليائه وعباده المؤمنين.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

بيان الآيتين:

هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين أن يثبتوا عند لقاء الكفار ويصبروا على مجادلتهم وأن لا يهنوا ولا يستكينوا. قوله ﴿فِئَةً﴾ أي: فرقة أو جماعة من الكفار ﴿فَاثْبُتُوا﴾ أي: وطدوا أقدامكم في المعركة ولا تفروا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: اشتغلوا بذكره وادعوه أن ينصركم ويهزم عدوكم؛ فإن الاشتغال بذكره ودعائه طمأنينة لأنفسكم وسبب لقرب الله منكم. ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: تفوزون بالنصر على عدوكم.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ أي: اتبعوا ما أمركم الله ورسوله به من الأحكام ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾ أي: لا تختلفوا ﴿فَفَشَلُوا﴾

أي: تنهزموا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم. ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: تحملوا ما يصيبكم من عناء أو مشقة؛ فعاقبة الصبر في الحرب النصر على العدو.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار أمامه لقول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ ذُبُرِهِ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّجًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١). وقد كان من دأب رسول الله ﷺ الثبات في المعركة أياً كان وضعها. ولما انهزم بعض المجاهدين يوم حنين ثبت رسول الله ﷺ وكان الحارث بن عبد المطلب ممسكاً بلجام ناقته وهو يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)^(٢).

ومن الأحكام في الآية: وجوب ذكر الله عند عظام الأمور كالحرب لما في ذكره من اطمئنان النفوس، وثبات القلوب، واستجابة الدعاء. ومنها: وجوب طاعة الله ورسوله لأن هذه الطاعة أساس النصر وهي الفاصل بين الإسلام والكفر، والمسلم في كل أعماله وأفعاله محكوم بامتثال ما يجب عليه من فعل الطاعات وترك المعاصي؛ فهو في الحرب وإن كان مأموراً بالاستعداد لها بالعدد والسلاح إلا أنه مأمور في المقام

(١) سورة الأنفال من الآية ١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين، برقم (١٧٧٦)، صحيح مسلم ج ٨ ص ٤٩٢١.

الأول بالاعتقاد أنه يقاتل لإعلاء كلمة الله في الأرض.

ومن الأحكام أيضاً: وجوب نبذ التنازع والاختلاف؛ ذلك أنه مامن أمة تنازعت في أمرها إلا منيت بالفشل في كل أمورها. وقد أمر الله هذه الأمة أن تتحد في كلمتها وأن تحذر مما حل بالأمم السابقة قبلها حين اختلفت على أنبيائها فأهلكها الله كما قال عز وجل ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ

﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤٩).

بيان الآيات:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ﴾^(٤٧) المراد بذلك أهل مكة؛ ذلك أنهم لما خرجوا لحماية العير جاءهم

رسول أبي سفيان وهم بالجحفة يحثهم على الرجوع إلى مكة ويخبرهم أن غيرهم قد سلمت فقال أبوجهل: والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرأً فنشرب فيها الخمر، وتعزف علينا القيان فإن بدرأً من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا^(١). وقد أراد الله غير ما أراده أبو جهل وقومه ليقضي الله أمراً كان مفعولاً؛ فكان في خروجهم هلاكهم وهلاك أصنامهم. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بما فعلوه من خروجهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه. ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: عالم بما أتوا إلى بدر من أجله وما بيتوا من قتال المؤمنين.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ قيل: إن إبليس تمثل للمشركين في صورة سراقه بن مالك بن جعشم الكناني، وكانت قريش تخاف من بني بكر بن كنانة أن يأتوهم من خلفهم لما بينهم من العداوة فلما تمثل لهم قال ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارَ لَكُمْ﴾^(٢) وبرز الفريقان للقتال قال أبو جهل - كما سبق ذكره -: اللهم من كان أولانا بالحق فانصره. أما رسول الله ﷺ فرفع يديه إلى السماء فقال: (يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣١٠-٣١١.

(٢) تفسير البغوي ص ٥٣٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٥٧.

في الأرض أبداً^(١) فأمره جبريل أن يأخذ قبضة من التراب فيرمي بها في وجوههم فلما رماها أصابت كل واحد من المشركين في وجهه^(٢). ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ﴾ أي: لما رأى إبليس الملائكة تنزل للقتال مع المؤمنين ولّى مدبراً فقال له أحد المشركين: ياسراقة ألم تزعم أنك جار لنا وتعيننا فكان جوابه ما حكاه الله عنه ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (ما رأى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيب منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر)^(٣). ولما انتهت المعركة بنصر المسلمين ورجع من بقي من المشركين إلى مكة وكانوا يتحدثون أن سراقه بن مالك هزم الناس فبلغ ذلك سراقه فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أن سراقه الذي قال لهم هو إبليس وليس سراقه الكناني. ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ هذا قول إبليس يعلل هروبه من المعركة لما قال له أحد المشركين: أتخذلنا ونحن في المعركة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (٤٥٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٤٨٦٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٢٠٤-٢٠٥، وتفسير البغوي ص ٥١٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٤٥.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الحج، باب جامع الحج، برقم (٩٧٣)، شرح الزرقاني على الموطأ ج ٢ ص ٥٢٤، وعبد الرزاق في المصنف ج ٤ ص ٣٧٨، برقم (٨١٢٥).

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾

القاتلون هم المشركون والمنافقون، وقد يكون المراد بهم المشركين لما رأوا استعداد المسلمين للقتال رغم قلتهم ومعرفتهم بكثرة المشركين. وقد يكون المراد بهم المنافقين والمشركين في المدينة، والمعنى أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يعتقدون أنهم ينصرون بسببه. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَاتَكِلْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: إن من يتوكل عليه فهو حسبه، وكافيه في نصره على من هو أقوى منه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن من عوامل الفشل في الحروب البطر والغرور؛ فالجيوش التي تكون بهذه الصفة تنهزم أمام فئات قليلة. وقد دلت الوقائع المعاصرة على هذا؛ فقد هزمت أمم ضعيفة جيوش أمم قوية حين غزتهم في بلادهم رغم قوة هذه الجيوش في عددها وعتادها وصلفها. ومن مسائل الآيات: أن الشيطان يزين للكافرين العدوان، ويمنيهم بالنصر ثم يتخلى عنهم. ومنها: أن أهل الكفر يبغضون المؤمنين ويبغضون دينهم. ومنها: وجوب التوكل على الله وأن من توكل عليه أعزه ونصره.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ

أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: لو رأيت
يا محمد يوم بدر لرأيت أمراً عظيماً حين كان الملائكة يضربون
وجوه الذين كفروا وأدبارهم أي: مؤخرتهم ويقولون لهم ﴿وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: سوف تذوقون عذاب جهنم وحرها، وهذا
وإن كان خاصاً بالمشركين يوم بدر إلا أنه عام في ما يلاقيه الكفار
عند موتهم كما قال الله عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ
تُجَزَّوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ
آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١).

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: هذا الذي تلاقونه بسبب
ما كسبته أيديكم من الخطايا والآثام ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾
أي: لم يظلمكم؛ فقد أنزل عليكم الكتاب والبراهين وأرسل الرسل
يدعونكم إلى طاعته فلما عاندتم واستكبرتم جازاكم حسب أعمالكم.

﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ^{٥٦} وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: أن دأب هؤلاء المشركين الذين عاندوك وعادوك يا محمد مثلهم مثل آل فرعون، ومن مثلهم من الأمم الكاذبين لرسولهم فكانت عاقبة هؤلاء المشركين مثل عاقبة من سبقهم ممن ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: كذبوها. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: قادر في ذاته العلية شديد العقاب لمن كفر به وكذب رسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما يلاقيه الكفار من العذاب والإهانة عند موتهم حيث توبخهم الملائكة عند نزعهم، ناهيك بما ينالهم من العذاب في القبر ويوم الحساب جزاء كفرهم!! ومن الأحكام: أن الله عز وجل حرم الظلم على نفسه فحاشاه أن يظلم أحداً من عباده، وإنما هي أعمالهم يوفيهما لهم وهو أرحم بهم من أنفسهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٥٣ ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ^{٥٤} وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ٥٤

بيان الآيتين:

إن من عدل الله في خلقه ألا يظلم أحداً كما قال عز ذكره ﴿وَمَا

ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾. وقوله ﴿وَمَا رَبُّكَ
يُظْلِمُ لِلْعِبَادِ﴾ ﴿٢﴾. ولا يغير على أحد نعمة أنعمها عليه إلا بسبب
ذنوبه كما قال جل وعلا ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ﴿٣﴾. فقلوه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً
أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي: لا يغير على أحد نعمة كان فيها إلا بسبب ذنوبه.
﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: يكفروا بما جاءهم من الهدى. ﴿وَأَنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سميع لما قاله المكذبون لرسولهم. ﴿عَلِيمٌ﴾
بما كانوا يفعلونه من المعاصي.

﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كما فعل
بآل فرعون ومن قبلهم حين ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: استكبروا
وعاندوا ﴿فَأَهْلَكْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: دمرناهم ﴿وَأَغْرَقْنَا ءَالَ
فِرْعَوْنَ﴾ أي: هلكوا بسبب انطباق البحر عليهم وغرقهم فيه.
﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ المراد بهم آل فرعون والمكذبون من الأمم
السابقة وكفار قريش.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن من سنة الله في خلقه ألا يغير عليهم نعمه التي أنعم

(١) سورة النحل من الآية ١١٨ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٣) سورة الشورى من الآية ٣٠ .

بها عليهم إلا إذا قابلوها بالجدود والكفر؛ بل إنه عز وجل يمهلهم لعلهم يتوبون ويرجعون إليه. فلم يهلك الأمم السابقة ومنهم آل فرعون إلا بعد أن جحدوا نعمه، وكذبوا رسله، واستهزؤوا بآياته، وجحدوا ربوبيته وألوهيته.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾
 الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْقٍ وَهُمْ لَا
 يَتَّقُونَ ٥٦ ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنِ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ
 يَذْكُرُونَ ٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى
 سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ٥٨ ﴿

بيان الآيات:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أن الكفار شر ما على الأرض. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يصدقون الإسلام رغم ما جاءهم من البراهين والأدلة القاطعة. ﴿الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ﴾ المراد بهم بنو قريظة وبنو النضير فقد عاهدهم رسول الله ﷺ فنكثوا عهده. ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْقٍ﴾ أي: نكثوا بما عاهدهم رسول الله ﷺ ألا يعينوا عليه أحدا فأعانوا المشركين من أهل مكة بالسلاح ثم اعتذروا مدعين أنهم نسوا ما عاهدوا عليه ثم عاهدهم ثانية فنقضوا العهد يوم غزوة الخندق. ﴿وَهُمْ

لَا يَنْقُوتُ ﴿١﴾ أَي: لا يبالون بنقض المواثيق. ﴿فَأَمَّا ثَقَفَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ ﴿٢﴾ أَي: تأسرهم فيها. ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلْفَهُمْ﴾ ﴿٣﴾ أَي: فرق من بقي منهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿٤﴾ أَي: يتذكر ذلك من خلفهم من بعدهم.

﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ﴾ ﴿٥﴾ أَي: من تخشى منه من المعاهدين خيانة أي: نقضاً للعهد. ﴿فَأُنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ ﴿٦﴾ أَي: اطرح العهد معهم وبين لهم بطريق واضح أنك تخليت عن العهد معهم، ولا تحاربهم قبل أن يكون ذلك بيناً لهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿٧﴾ أَي: لا تخفي نبذك للعهد معهم حتى لا يتهموك أنك خنتهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكفار هم شرّ الدواب التي تمشي على الأرض وذلك لجحودهم نعم الله عليهم ونقضهم للمواثيق سواء منها ما مناطه ميثاق الله عليهم، أو موثيقهم مع غيرهم. ومن أحكام الآيات: وجوب تشديد القتال مع العدو لما في ذلك من ردهه واعتبار غيره بما أصابه من القوة. ومنها: تحريم الخيانة وجواز إلغاء المعاهدة مع العدو إذا ظهرت منه الخيانة. ويدرك هذا بما يظهر من الدلائل التي تدل على أن خيانتته متيقنة وليست ظنية. والنبذ على سواء المراد به التخلص من العهد مع العدو إذا ظهرت

خيانتته، ويكون ذلك بإنذاره أولاً فإن التزم بما عاهد عليه وإلا وجب نقض العهد معه وقتاله.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (٥٩) ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٦٠)

بيان الآيتين:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ المراد لا تحسبن يا محمد أن الذين أفلتوا من وقعة بدر فاتونا فلا نأخذهم بل نحن قادرون على أخذهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يعجزوننا إذا أردنا أخذهم كما قال جل شأنه ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ هذا أمر من الله لنبيه وأمته أن يعدوا العدة لجهاد الأعداء ومنازلتهم؛ فإن الله بحكمته قادر على أن يهلك هؤلاء في لحظة بصر ولكنه ابتلى المؤمنين فأوجب عليهم الجهاد ليرى ما إذا كانوا يصدقون ويوفون بما أمرهم به.

قلت: ولو أخذت الأمة بهذه الآية لكانت لها الصدارة والقوة بين

الأمم؛ ذلك أنها لما استكانت وصارت تشتري العدة من أعدائها هانت عليهم فلم يروا لها شأنًا ولم يعترفوا لها بمكانة؛ ذلك أن حكمة الله اقتضت أن ينصر من ينصره والضعيف لا يستطيع نصر الله بإعلاء كلمته. وشاهده قول رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)^(١). وقد روى عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)^(٢).

﴿وَمَنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ وقد ذكرها الله عز وجل لأنها في ذلك الوقت العدة الكبرى للحرب وأقواها وهذا يقتضي أن على الأمة الاستعداد بالقوة العظمى التي تكون معروفة في زمانها ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: تخيفون بذلك عدو الله وعدوكم في أي زمان ومكان أما في زمن رسول الله ﷺ فكان المراد بالأعداء المشركين واليهود. ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قيل: إنهم بنو قريظة وقيل: المراد بهم المجوس. ولأن الله لم يسمهم لنا فهو أعلم بمراده فلا يجوز تعيينهم على وجه التوكيد، فسبحان الله لا علم لنا إلا ما علمنا. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض

المقادير لله، برقم (٢٦٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٢٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، برقم

(١٩١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٢٩٠.

أي: أن ما تنفقونه من أجل الجهاد وإعلاء كلمة الله ومحاربة أعدائه. ﴿يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: تجزون مقابله بحسنات مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ أي: لا تبخسون ما أنفقتم في سبيل الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه يجب على الأمة تقوية نفسها للدفاع عن دينها حسب الزمان، ففي الماضي كانت السهام والخيول أشد أنواع القوة؛ ففي السهام قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله وارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلي) إلى قوله (ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها)^(١).

أما في الخيل فقال عليه الصلاة والسلام: (الخيول لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك في المرج أو الروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فأنت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرمي، برقم (٢٥١٣)، سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٤٩، والنسائي في كتاب الجهاد، باب ثواب من رمى في سبيل الله عز وجل، برقم (٣١٤٦)، سنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٦، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، برقم (١٦٣٧)، سنن الترمذي ج ٤ ص ١٤٩.

يرد أن يسقى به كان ذلك حسنات له فهي لذلك لرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعافياً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء فهي على ذلك وزر^(١). هذا في الماضي. أما في الحاضر فالمعول على القوة المادية المتمثلة في الأسلحة بأنواعها المرهبة من طائرات وصواريخ وقنابل نووية فإذا تركت الأمة هذه القوة فقد خالفت أمر ربها وعرضت نفسها للأعداء.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦١) ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ إِنَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٣)

بيان الآيات:

الإسلام دين عدل، ودين محبة، ودين رحمة، ودين سلام وليس دين عدوان كما يتوهم الأعداء؛ خاصة في هذا الزمان الذي ألصقوا به زوراً صفة الإرهاب. ولكن الإسلام دين دعوة أراده الله هداية وبشرى للعالمين، وبعث رسوله رحمة لهم كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (١) برقم (٤٩٦٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٥٩٨.

إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾. وقد أمره الله عز وجل أن يدعو بالحكمة والموعظة ويجادل بالحسنى كما قال عز وجل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿٢﴾. وقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿٣﴾.

والإسلام دين دفاع إذا انتهك العباد محارم الله، وعصوه، وأفسدوا في الأرض؛ ذلك أن السلام والأمن لخلق الله لا يكون إلا إذا اتبعوا ما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه. والذين يعادون الإسلام يعادون أنفسهم، ويعادون خلق الله لأن معاداته تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، وما يشهده الناس اليوم من تفشي الأمراض نتيجة الفواحش والخروج على سنن الله ما هو إلا نتيجة للبعد عن أحكام الله التي جاء بها الإسلام .

قوله ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ أي: مالوا. ﴿لِلسَّلَامِ﴾ أي: تخلوا عن الحرب ﴿فَأَجْنَحْ لَهَا﴾ أي: مل إليها ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح مع رسول الله ﷺ وصحابته ووضع الحرب تسع سنين قبل رسول الله ذلك. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: اقبل الصلح منهم وتوكل على

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٢) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

الله فهو حسبك وكافيك وناصرك. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولونه عنك. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يدبرونه من مكر أو خديعة.

﴿وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ أي: إن اظهروا لك السلم وهم يبطنون الغدر والخيانة. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أي: كافيك وسوف يتولى أمرك لأنه يعلم أسرارهم ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ﴾ أي: ثبَّتَكَ ونصرك يوم بدر. ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ والمراد بهم الأنصار الذين عاهدوه على نصره. ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ألف بالمحبة بين الأوس والخزرج وهما قطبا الأنصار. ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ﴾ وفي هذا إشارة إلى ما كان بين الأوس والخزرج من العداوة والإحن، وتحالف بعضهم مع اليهود ضد البعض الآخر. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتَنَّهُمْ﴾ أي: هو الذي جمع بينهم وأزال عنهم الفتنة، وحمية العصبية وشدة البغضاء. ولما خطب رسول الله ﷺ فيهم يوم حنين قال: (يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي) وكلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمّن^(١). ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: قوي فيما يريد حكيم فيما يفعل.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم (٤٣٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ٦٤٤.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بجواز الصلح والسلم مع العدو إذا كان للمسلمين مصلحة فيه. وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر، وأهل نجران، وأكد دومة الجندل، وهادن قريشاً لمدة عشرة أعوام حتى نقضوا عهدهم.

قلت: ولكن الصلح والسلم لا يعني الاستسلام والتخلي عن الاستعداد للحرب؛ ذلك أن العدو قد يرغب في الصلح لكي يستعد للحرب فينقض عهده ويكر مرة أو مرات فيكون قبوله للصلح مخادعة. ومن الأحكام: أن على المسلم أن يعتمد على نصر الله له في جهاده، وأن يفعل أسباب القوة التي تعينه على الجهاد في سبيل الله.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾
يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ
اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ زَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ
مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ أي: كافيك وناصرك. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: كافي من معك من المؤمنين وناصرك أنت وناصرهم فلا تخشون أحداً إلا إياه.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي: حثهم عليه وكان من دأب رسول الله ﷺ أن يحرض المقاتلين على القتال ويخبرهم بما وعدهم الله به من النعيم في الدار الآخرة. ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِرُوا يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفقهون القتال من أجل الدين وإنما يقاتلون من أجل الدنيا، والمراد إذا صبر منكم عشرون في المعركة غلبوا مائتين وإذا صبر مائة غلبوا ألفاً. وقد شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم هذا الفرض أي: ألا يفر واحد من عشرة فنزل قوله عز وجل ﴿أَلَكُنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ أي: خفف عليكم ما فرض عليكم بسبب ضعفكم. ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ أي: إذا كانوا بهذا العدد لم يجز لهم أن يفروا من العدو أما إن كانوا دون ذلك حق لهم التحرز منهم.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ أي: لا يجوز لهم أن يفروا إذا كانوا ألفاً أمام ألفين، والمعنى أن المؤمن المقاتل لا يجوز له أن يفر من وجه اثنين من الأعداء. أما إن كانوا أكثر من اثنين جاز له

الفرار، وهذا من باب الرحمة بسبب الضعف وعدم القدرة. أما إن كان الواحد يقدر على أكثر من اثنين فله أجر عظيم وقد حمل المسلمون في تاريخهم على الأعداء وكانوا أضعافهم. قوله ﴿يَا ذَنْ لِلَّهِ﴾ أي: بعونه وقوته أن لا نصر ولا قوة إلا بالله. ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: أن نصر الله يكون لمن صبر ابتغاء وجه ربه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله عز وجل هو الحسيب والكافي؛ فمن اعتقد أن أحداً يكفيه من دون الله فهو من المشركين. ومن الأحكام: وجوب حث المؤمنين وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته وإعزاز دينه كما قال عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (١). وهذا أمر من الله لرسوله والأمر له أمر لازم لأئمة. ومنها: وجوب الصبر عند القتال فيحرم أن يفر الواحد من الواحد، والواحد من الاثنين، والمائة من المائتين، والألف من الألفين.

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِزَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧)
 ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٨) ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦٩).

بيان الآيات:

﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ ﴾ أي: ما جاز لنبي ﴿ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ هذه الآية نزلت في غزوة بدر وقد روي أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين من الأسرى فيهم عمه العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال: قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك. فقال عمر رضي الله عنه: هؤلاء كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء فمكّن علياً من عقيل ومكّن حمزة من العباس ومكّنني من فلان نسيب له فلنضرب أعناقهم فقال رسول الله ﷺ (إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١) ومثلك يا عمر مثل نوح قال ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ^(٢)).

ثم قال لأصحابه: (أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق) وروي أنه قال: (إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم) فقالوا: بل نأخذ الفداء وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية.

(١) سورة إبراهيم من الآية ٣٦ .

(٢) سورة نوح من الآية ٢٦ .

فلما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله: أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال: (أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة) (شجرة قريبة منه). وروي أنه قال: (لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لأنهما كانا يريان الإثخان في القتال أحب إليهما)^(١).

قوله ﴿حَتَّى يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكون له قوة وبأس بحيث يخاف منه الأعداء. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي: مالها أو حطامها لأن غرضهم من الفداء هو الحصول على المال. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يريد ما يدخلكم الجنة إذا أثخنتم القتال في سبيل الله وإعلاء دينه. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: يعز من يعز دينه. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يأمر به عباده من الإثخان في القتال.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ لما ذكر الله تعالى أنه ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يتخن في الأرض، وما كان من الصحابة من

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٠١-٤٠٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٤٤، من سورة الأنفال، وتفسير البغوي ص ٥٣٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٦١-٥٦٢، والدر المنثور ج ٣ ص ٣٦٤-٣٦٧، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣١١-٣١٢، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٤٨٦٨-٤٨٦٩، وأحمد في المسند ج ١ ص ٣٠-٣١، ٣٨٣-٣٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٢١، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٦-٤٧.

قبول الفداء من المشركين، بين لهم أنه لولا أنه قد سبق في علمه حل الغنائم لهذه الأمة خلافاً للأمم السابقة. ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لجزاكم بالعذاب الشديد لقاء قبولكم أخذ الفداء.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ هذا بيان من الله بالإذن للمجاهدين بأخذ الغنائم من الأعداء ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ أي: مباح لكم أما قسمتها فالحكم فيها قول الله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية (١). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر من الله لعباده لأن يتقوه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إشارة إلى أنه رحمهم وغفر لهم ما فعلوه في مفادة الأسرى.

أحكام ومسائل الآيات:

من قواعد الجهاد في الأمة ألا تفادي الأسرى أو تمن عليهم بفكهم إلا بعد أن يثخن المجاهدون القتل في العدو حتى يَرْهَبَهُمْ ويخشاهم فإذا تحققت إخافة العدو وأصبحت الأمة في موقع القوة والنصر أمكن حينئذٍ المفادة، أو المن عليه بفك أسراه. ومن الأحكام: أن الله أحل الغنائم لهذه الأمة خلافاً للأمم السابقة، ولهذا تجاوز الله عن الصحابة في أخذهم الفداء في الأسرى قبل الإثخان في العدو. ومنها: وجوب تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله فيما يأمران به والانتهاز عما نهيا عنه.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُومًا لِّمَنِ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُومًا لِّمَنِ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ أي: قل لمن هم تحت أيديكم بسبب أسرهم في معركة بدر ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي: إيماناً صادقاً. ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ أي: يخلفكم أكثر مما أخذ منكم من الفداء. وفي هذا روي أن قريشاً لما بعثت لرسول الله ﷺ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا قال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلماً لكنهم استكروهوني فقال رسول الله ﷺ: (فإن يكن ما تذكره حقاً فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا أخذ الفداء منك). وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وقيل: إن رسول الله ﷺ قال له: (أفد ابني أخيك عقيـل بن أبي طالب ونوفـل بن الحارث) فقال: يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت. فقال له: (فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل).

فقال العباس: وما يدريك؟ قال: (أخبرني به ربي). قال العباس: فأنا أشهد أنك صادق وألا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب.

قال العباس رضي الله عنه: فأبدلني الله خيراً من ذلك، لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربي^(١).

قوله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: يغفر ذنوبكم قبل إسلامكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: إنه غفار رحيم بعباده الذين يتوبون إليه بنية صادقة. ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ أي: إذا أراد هؤلاء الأسرى الذين دفعوا الفداء وأظهروا الإسلام أن يخونوك فيما بايعوك عليه من الإسلام وأن يرتدوا ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: سبق لهم أن خانوك وكذبوك وقاتلوك. وقد يكون المراد بالخيانة عدم دفع الفداء. ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ إشارة إلى ما حدث يوم بدر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يسرون. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من عمل خيراً وهو صادق في نيته عوضه الله خيراً منه،

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٠٤، والدر المنثور ج ٢ ص ٣٦٩، والبغوي ص ٥٣٦، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٦٢-٥٦٣، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٢٢، كتاب قسم الفئ والغنيمة. ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٧ ص ٢٨ بالاختصار.

ولهذا عوض الله العباس بن عبد المطلب خيراً من الفداء الذي دفعه لفك أسره. ومن الأحكام: أن سوء الخيانة يرتد على الخائن؛ فمن خان عهده ونقض ميثاقه لقي جزاء خيانتته في الدنيا والآخرة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٧٢)

بيان الآية:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ المراد بهم المهاجرون الذين هجروا أوطانهم فارين بدينهم بعد أن فضلوهم على أهلهم وأوطانهم وأموالهم. وقد مدحهم الله بقوله ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١). ﴿ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا ﴾ المراد بهم الأنصار الذين آووا المهاجرين وأكرمواهم وأنزلوهم معهم في منازلهم ﴿ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي: أقرباء في العقيدة ولهذا آخى رسول الله

ﷺ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين إخوان؛ فكانوا يتوارثون بذلك إراثاً فوق القرابة حتى نسخ الله ذلك بآية المواريث، وقد مدحهم الله بقوله ﴿وَالسَّيْفُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية (١)، وقوله عز ذكره ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ الآية (٢).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ المراد بهم الذين آمنوا ولم يهاجروا من أوطانهم فهؤلاء لا حظ لهم في الغنائم ولا في الخمس إلا إن كانوا قد حضروا قتال العدو ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ أي: حتى يتركوا أوطانهم فحينذاك يكون لهم ما للمهاجرين.

وفي حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي أن رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً وقال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن

(١) سورة التوبة من الآية ١٠٠.

(٢) سورة التوبة من الآية ١١٧.

أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفياء والغنيمه شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم^(١).

﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ أي: إن استنصركم هؤلاء الذين لم يهاجروا في قتال من أجل الدين فانصروهم لأنهم إخوانكم في الدين ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: انصروهم ما لم يكن بين من يقاتلونهم من الكفار وبينكم عهد لأن من الواجب الوفاء بالعهد. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: يبصر ويعرف ما تعملونه.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب نصره المؤمنين من إخوانهم إذا طلبوا منهم نصرهم في قتال من أجل دين الله ما لم تكن بين من طلب منهم النصر، وبين أعداء المؤمنين عهد وميثاق فيكفوا عن نصرهم لأن العهد مما يجب الوفاء به.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، برقم (١٧٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٤٧٧٥.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (٧٢)

بيان الآية:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: إن الكفار يوالي بعضهم بعضاً وهذا يقتضي عدم موالاة المسلمين للكفار لا في الإرث ولا في غيره. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إذا لم تتولوا أيها المسلمون بعضكم بعضاً وتكونوا يداً واحدة وتحذروا تولي الكفار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي: بسبب الشرك والكفر تعم الفتن، ويكثر الفساد والخراب في الأرض.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب عدم موالاة الكافرين لأن موالاتهم تؤدي إلى كثرة الفتن والفساد في الأرض.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٤) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٥)

بيان الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المراد بهم

المهاجرون الذين هجروا ديارهم. ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا﴾ المراد بهم الأنصار ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: إنهم المهاجرون المؤمنون الصادقون لأنهم فضلوا دينهم على أهليهم وأموالهم وأوطانهم ولا يكون هذا التفضيل إلا من قلوب مملوءة بالإيمان. ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ بيان من الله أنه سوف يغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: يرزقهم جنات النعيم. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا﴾ أي: الذين هاجروا بعد المهاجرين الأولين. ﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أي: شاركوكم الجهاد ﴿فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي: إخوانكم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخ للتوارث بالهجرة^(١). ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في القرآن والمراد آية المواريث. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: عالم بأحوال عباده في علانيتهم وسرهم لا تخفى عليه خافية منهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل المهاجرين الأول لجمعهم بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الهجرة عن وطنهم فراراً بدينهم. تقرير فضل الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه. تقرير فضل أقل للذين هاجروا بعد ذلك وجاهدوا مع رسول الله ﷺ. ومن الأحكام: نسخ التوارث بين المهاجرين والأنصار بعد أن كان ذلك سائداً بينهم وجعل التوارث بالنسب والمصاهرة والولاء.

(١) تفسير البغوي ص ٥٣٧.

سورة التوبة

مدنية وآياتها مائة وثلاثون آية

هذه السورة آخر ما نزل على رسول الله ﷺ ولم يبسم في أولها لأن الصحابة لما كتبوا المصحف اقتدوا في ذلك بالخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه.

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ
مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: هذه تبرؤ من الله ورسوله.
﴿ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين عاهدوا المشركين هم
صحابه رسول الله ﷺ بعد أن أذن الله لهم في هذه المعاهدة؛ فلم
يقر المشركون بعهدهم بل نقضوه فأوجب الله النذر إليهم وبين في
هذه الآية أنه ورسوله بريئان من معاهدة المشركين. ﴿ فَسِيحُوا فِي
الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ المراد بذلك أن يسيحوا في الأرض مدة أربعة
أشهر غير خائفين من أحد من المسلمين. وفي سنة تسع من الهجرة
جعل رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الحج، وبعث علي بن أبي طالب
بثلاثين آية من هذه السورة فقرأها عليهم يوم عرفة، وبين لهم المدة

التي يسيحون فيها وقال: (لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان)^(١).

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بجواز عقد المعاهدات، والصلح، والمواذعة مع الكفار. وجواز إلغاء المعاهدات مع الكافرين بعد إعطائهم مدة لكي يتدبروا أمرهم فيها.

﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٤﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأَذِّنْ﴾ أي: إعلام ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ أي: يوم النحر. ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أي: يتبرأ منهم بسبب شركهم. ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي:

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٢ ص ٢٣٨.

إِنْ تَبْتِمِ مِنَ الشَّرْكِ. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: يعفو الله عما سبق منكم كما قال عز وجل ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ (١). ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن الهدى وبقيتم على شرككم وضلالكم. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: أنه قادر عليكم ولن تفلتوا من عقابه ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أخبرهم أنهم إذا استمروا على الشرك فسينالهم العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ لما حدد الله الأمان للمشركين بأربعة أشهر يسيحون فيها آمنين استثنى من تحديد المدة المعاهدين فقال عز ذكره ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من عاهدتم من المشركين عهداً محدداً لسنة مثلاً ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُوكُمْ شَيْئاً﴾ أي: لم يغدروا بكم بقتل أو غيره. ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً﴾ أي: لم يناصروا أو يعاونوا عليكم أحداً كما فعلت قبيلة بكر على خزاعة حليفة رسول الله ﷺ، وظهرت قريشاً بالمال والسلاح. ﴿فَاتَّبَعُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ أي: التزموا بما عاهدتم عليه. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ المراد بهم الذين يوفون بعهودهم ويخشون الله ويخافونه فيما يقولون ويفعلون.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب البراءة من المشركين ومن في حكمهم؛ فإن تابوا ففي ذلك خير لهم لأن الله يغفر ما سلف منهم. والحكم بوجوب الوفاء بالمعاهدات مع الكفار التي لها آجال محددة إذا لم يغدروا بالمسلمين، ولم يعينوا أحداً عليهم.

﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا أَمَرَهُ ٦ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ٧﴾

بيان الآيتين:

﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ﴾ أي: انتهت. ﴿الْأَشْهُرُ﴾ المراد بها الأشهر التي حددت لهم أن يسيحوا فيها بأمان وسلام. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الذين نقضوا العهد معكم وظاهروا عليكم أعداءكم. ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي: حيثما ثقفتموهم في الحل أو الحرم. ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي: أسرى. ﴿وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ أي: ترقبهم وترصدوهم في الطرق والمعابر. ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ﴾ المراد أنهم إذا أسلموا والتزموا بأحكام الإسلام من صلاة

وزكاة وغير ذلك. ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لا تتعرضوا لهم بسوء، فالله غفور ورحيم بعباده.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ المراد إذا كان أحد من المشركين الذين أمرت يا محمد بقتالهم استأمنك فاقبل منه. ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: يسمع القرآن الذي تتلوه عليه فإن آمن به وأسلم إلى الله فذاك خير له وإن لم يفعل فأجره أي: رده إلى أهله، ووفر له الأمان وهو معنى قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَيْلَغُهُ مَأْمَنُهُ﴾ أي: يرجع إلى مكان يأمن فيه من المسلمين. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون حقيقة دين الله ومافيه من الخير؛ ذلك أنهم لو علموه لما أشركوا مع الله غيره فقبل منهم الجوار بقصد إرشادهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب استعمال القوة في القتال إذا انتهت المدة المحددة للسلم مع العدو ولم يف بالعهد الذي تم معه. فإن التزم بأحكام الإسلام وجب عدم التعرض له. ومن الأحكام: وجوب الأمن لمن طلب الأمان وعدم التعرض له.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا

عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

بيان الآيتين:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ استفهام استنكاري، والمراد كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم يخدعون ويغدرون. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هذا استثناء متصل والمراد بهم المشركون الذين تم التعاقد معهم في الحديبية. ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: إذا بقوا على العهد الذي تم بينكم وبينهم فأوفوا بعهدكم لهم. وقد أوفى رسول الله ﷺ بعهده معهم إلى أن نقضت قريش عهدها حين عاونوا بني بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ كما سبق ذكره فقتلوه في الحرم مما حدا برسول الله ﷺ إلى غزوهم سنة ثمان من الهجرة ومكَّنه الله من دخول مكة فأطلق من أسلم منهم وقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) (١).

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾ لا يزال السياق في سلوك المشركين ومن شايعهم من اليهود والمنافقين. ﴿كَيْفَ﴾ استفهام إنكار وتوكيد بأن المشركين لا يوفون

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٧٨ .

بعهودهم. ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: إن يغلِبوكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا﴾ أي: لا يراعوا فيكم قربي ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: عهداً ﴿يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: يقولون لكم بالسنتهم ما يعتقدون أنه يرضيكم. ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إن قلوبهم ليست مثل ظاهرهم فهي مملوءة بالعداوة والحقد عليكم. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: عاصون الله بنقضهم لعهدهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب احترام العهد مع العدو ما دام ملتزماً بما عاهد عليه، ولم يساعد عدواً آخر على المسلمين. ومن الأحكام: تقرير أن من طبيعة العدو أو بعضه عدم الوفاء بالعهد، وإذا غلب لا يراعي عهداً ولا أخلاقاً لأن قلبه مملوء بالعداوة للدين وأهله.

﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ ١٠ ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١١ ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ ١٢

بيان الآيات:

﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: باعوا القرآن الذي جاءهم بالهدى، واستعاضوا عنه بحطام الدنيا، واتباع شهواتهم وأهوائهم وتصديق رؤسائهم. ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: لم يكن كفرهم في أنفسهم فحسب بل صدوا غيرهم عن اتباع الهدى كما فعل أبو سفيان بإطعام الأعراب لاستمالتهم ضد رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ببئس فعلهم وصنعهم.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: لا يراعون في المؤمنين قرابة ولا عهداً ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ أي: الطغاة والظلمة. ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ المراد إن تخلوا عن شركهم وكفرهم ونقضهم العهود ثم دخلوا في الإسلام، وأقاموا أحكامه فهم إخوانكم في الدين ﴿وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: نبين الآيات والحجج والبراهين الدالة على وجوب التوحيد وتحريم الشرك. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لقوم يدركون بعقولهم هذه الآيات والمراد أن الذين لا يعلمون هم من أهل الضلال والجهل فهم لا ينتفعون بمواعظ ولا بآيات.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ أي: نقضوا عهودهم التي عاهدوا عليها. ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي: عابوه وانتقصوه. ﴿فَقَاتِلُوا أَيْمَةً

الْكُفْرَ ﴿المراد أنهم لما عاهدوا ثم نكثوا ما عاهدوا عليه ثم طعنوا في الدين أصبحوا من أئمة الكفر فوجب قتالهم والتغليظ فيه﴾ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿أي: إنهم لا يأبهون بما يقسمون عليه من الوفاء بالعهد، وعدم نقضه فقاتلوهم فلعل مقاتلتكم تكون سبباً في انتهائهم عن الكفر ونقض العهود.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء سلوك المشركين في إعراضهم أنفسهم عن الدين، والاستعاضة عنه بحطام الدنيا، وفي صدهم عن سبيل الله فيكون العذاب مضاعفاً لهم. تقرير أن من طبيعة العدو في الدين أنه لا يرضى عهداً ولا قرابة. ومن الأحكام: أن من تاب من المشركين والكفار ودخل في الإسلام أصبح أخاً للمؤمنين. ومنها: أن من طعن في الدين يعد كافراً ويشمل الطعن فيه تعييبه أو التنقص منه، أو سبه، أو الاستهزاء، أو الاستخفاف به أو سب المؤمنين بسبب انتسابهم له كما قال تعالى ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١). ﴿لَا تَعْزِدُوهُمْ فَلَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٢). وينبني على هذا أن الذمي إذا سب الدين نقض عهده.

﴿أَلَا تَقْنَلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ

(١) سورة التوبة من الآية ٦٥.

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦.

وَهُمْ بَدَأُواكُمْ أُولَٰكَ مَرَّةً أَتَخْشَوْنَهُمْ ۖ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
 وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾
 وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
 مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةً
 وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

بيان الآيات:

﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ ﴾ حث على مقاتلة المشركين ﴿ قَوْمًا نَكَثُوا
 أَيْمَانَهُمْ ﴾ أي: نقضوا عهدهم ﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ أي:
 حين تبادلوا الرأي في دار الندوة بإخراجه أو قتله حتى أمره الله بالهجرة
 كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ
 أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴾ (١).
 ﴿ وَهُمْ بَدَأُواكُمْ أُولَٰكَ مَرَّةً ﴾ المراد به إصرارهم على
 القتال يوم بدر رغم أن غيرهم قد سلمت علاوة على نقضهم العهد.
 ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ استفهام إنكاري على من يخافهم أو يخشاهم.
 ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ أي: هو المستحق للخشية ومقاتلة أعداء

دينه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين فإنه هو الأحق بالخشية منه.

﴿قَتَلُوهُمْ﴾ لما حثَّ الله على قتال المشركين وأنكر على من كان يخشى منهم أمر بقتالهم فقال: قاتلوهم ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: بقتالكم لهم. ﴿وَيُخْزِهِمُ﴾ أي: يذلهم في الدنيا. ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمُ﴾ أي: يهزمهم. ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل: المراد خزاعة الذين قتلتهم بكر بعد أن عاونتها قريش. وقيل: إنهم أناس من أهل اليمن جاؤوا إلى مكة فأسلموا فوجدوا من أهلها عذاباً وأذى شديداً فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يشكون حالهم إليه فقال: (أبشروا فإن الفرج قريب).

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمُ﴾ أي: يزيل عنكم همَّ ما عانيتموه من المشركين، وهذا هو ما تم لرسول الله ﷺ والمؤمنين بعد وعد الله له في قوله عز وجل ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١). ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ هذا بيان من الله أن من أهل مكة من يتوب ويرجع إلى الله وقد حدث هذا حين أسلم كثير منهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم ما كان وما سيكون. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يقول ويفعل.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ﴾ أي: هل تظنون أنكم تتركون بدون ابتلاء وامتحان لدى صبركم وقوتكم في جهاد الأعداء ومعرفة الصادق والمنافق منكم. ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ أي: ويعلم الذين جاهدوا بصدق وإيمان. ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً ﴾ أي: لم يتخذوا بطانة من المعادين لله ورسوله. ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: يعلم سركم وعلاانيتكم. **أحكام ومسائل الآيات:**

الحث على مقاتلة من ينقض العهد، والإنكار على من يخشى المخلوقين لأن الخشية والخوف لا يكون إلا من الله، والرجاء لا يكون إلا منه. ومن الأحكام: الأمر بقتال المشركين ومنازلتهم بقوة وشجاعة، وقد تكفل الله بنصر أوليائه وهزيمة أعدائه إذا لم يتوبوا. ومنها: أن الجهاد في سبيل الله يميز الذين يجاهدون بصدق من الذين على خلافهم ممن يوالون الأعداء.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

بيان الآيتين:

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ للعلماء في تفسير هذه الآية عدة تأويلات فقليل: إن المراد مسجد الله بالافراد هو المسجد الحرام^(١). وقيل: مساجد الله بالجمع ويراد المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد^(٢). وقيل: إن الآية نزلت في العباس لما أسر يوم بدر وعيَّره قومه بالكفر قال: تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا فرد عليه علي بن أبي طالب وقال: ألكم محاسن؟ قال: نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الآية رداً عليه^(٣). وقيل: إن المراد منع المشركين من الحج بعد ما نودي فيهم بالمنع منه وكانت أمور البيت من الرفادة والسقاية وغيرها إلى المشركين^(٤).

وعلى أي: حال كان التأويل فإن المشركين لا يعمرّون مساجد الله لا عمارة بناء وتشديد ومحافظة عليها ولا عمارة عبادة وهو ما بيّنه الله عز وجل في الآية التالية ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ أي: أنهم يقرون بالكفر؛ فالمشرك إذا سئل قال: أنا مشرك

(١) تفسير البغوي ص ٥٤٤ .

(٢) تفسير البغوي ص ٥٤٤ .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٠٧ ، وتفسير الضحاك ج ١ ص ٤٠١ ، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٣٩ ، وتفسير ابن وهب ج ١ ص ٣٠٩ ، وتفسير البغوي ص ٥٤٣ ، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٨٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٨٩ .

والنصراني إذا سئل عن دينه قال: أنا نصراني وهكذا. ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: بطلت فلا أجر لهم عليها. ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أي: مقيمون إلى الأبد.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لما نفى الله جل وعلا عمارة المشركين للمساجد بين من هم الذين يعمرونها حقيقة، وهم من آمن بالله حق الإيمان فوحدته ولم يشرك به، وأطاعه ولم يعصه، وصدق رسله وما جاؤوا به من البينات، وآمن بالبعث والنشور والحساب والجزاء. ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ بوصفها عماد الدين. ﴿وَعَاتَى الزَّكَاةَ﴾ أي: لم يبخل بالإنفاق في سبيل الله من مال أعطاه إياه. ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ خلافاً للمشركين الذين يخشون أصنامهم وأوثانهم ويعتقدون أنها تضر وتنفع من دون الله.

﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ أي: إن أولئك هم المفلحون لأن هدايتهم متحققة من الله ثم بفضل إيمانهم وإقامتهم أركان الدين.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن المشركين ومن في حكمهم لا يعمرون مساجد الله بأي حال. الحكم بتحريم دخول غير المسلم للمساجد ما لم يكن فيه مصلحة كدخوله لإعلان إسلامه أو لأمر لا يتحقق إلا به كما لو

كان لإصلاح شيء في المسجد لا يقدر عليه إلا هو، أو لا يوجد أحد من المسلمين للقيام به. الحكم بفضل عمارة المساجد إما ببنائيتها بناء مادياً أو عمارتها بالعبادة، وشاهد الأول قول رسول الله ﷺ (من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة) (١). وشاهد الثاني قول رسول الله ﷺ (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان) (٢). ومن الأحكام: وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا يَهْدِي الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ١٩ ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ۞

بيان الآيات:

لما كان المشركون يفاخرون بسدانتهم للبيت وسقايتهم للحجاج، ويفضلون عملهم هذا على الإيمان بالله والهجرة والجهاد، ونفى

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المساجد، باب من بنى لله مسجداً، برقم (٧٣٨)، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٤٤، وأحمد في المسند ج ١ ص ٢٤١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ٦٨، والبيهقي ج ٣ ص ٦٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ٨ ص ٣٢٧.

الله تعالى قولهم وكذبهم قال ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ﴾ فعملكم الذي تتفاخرون به لا يستوي في حكم الله بل هو خسران لا ينفعكم، إن ما ينفعكم هو الإيمان والجهاد والهجرة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المراد به المشركون إذا عرضوا عن الحق لن يهديهم الله.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ هم أعظم درجة من الذين كانوا يفاخرون بالسقاية. قال القرطبي: وليس للكافرين درجة عند الله حتى يقال: المؤمن أعظم درجة، والمراد أنهم قدّروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي فخطبهم على ماقدّروه في أنفسهم وإن كان التقدير خطأ وقيل: أعظم درجة من كل ذي درجة أي: لهم المزية والمرتبة العلية^(١). ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: الذين يفوزون بالدرجة العظمى.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: يبين لهم ويفرحهم. ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ وهذا غاية ما يتمنون أن يرحمهم ربهم، ويرضى عنهم ويسكنهم في الجنة. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: مقيمين فيها إقامة خالدة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لعباده الذين أطاعوه واتبعوا ما أمرهم به وتركوا مانهاهم عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن عمل المشرك لا ينفعه ولو كان يعمر المساجد بالتشييد والبناء، وأن كل من يبتعد عن الله يحرمه من الهداية. ومن الأحكام: أن أعظم المؤمنين درجة هم الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وما جاء به من البينات ثم هاجروا فراراً بدينهم ثم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لإعلاء هذا الدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤)

بيان الآيتين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة كان على الذين آمنوا أن يهاجروا؛ فكان الرجل يقول لأهله إنا أمرنا بالهجرة، فمنهم من تهيأ للخروج معه، ومنهم من تردد، أو أبى وقد عزم بعضهم على أهله فأطاعوه، ومنهم من تعلق به أهله فرق لهم فنزلت

هذه الآية^(١) والمعنى أن الله خاطب المؤمنين ألا يوالوا أهلهم إذا أحبوا الكفر على الإيمان ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: يكون كافراً مثلهم لأن من يرضى بالكفر يعد كافراً. وقد امتثل المؤمنون لما نزلت هذه الآية فهاجروا فكان الرجل منهم يأتيه أبوه، أو ابنه، أو أحد أقاربه فلا يلتفت إليه ثم رخص لهم بعد ذلك كما قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر لما قدمت عليها أمها وهي مشركة: (صلي أمك)^(٢).

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي: اكتسبتموها. ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ أي: تجارة تخشون فسادها وبوارها ومساكن تحبونها. ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: أحب إليكم من طاعتها بالهجرة وأحب إليكم من الجهاد في سبيل الله. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ هذا بيان فيه تهديد ووعد. ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قيل في هذا التهديد: هو فتح مكة^(٣) أو تهديد بعقوبة قادمة^(٤).

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤١٠، وتفسير البغوي ص ٥٤٦، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٧٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، برقم (١٠٠٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٧٧٥.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص ٤٧٥.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ص ٤٧٥.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بكفر من يتخذ الكافرين أولياء له من دون الله ولو كانوا أقرب الناس إليه. الحكم بفضل الجهاد في سبيل الله لأن العمل على إعلاء الدين مقدم على سائر الأعمال. ولما عَلِمَ الله بعلمه المطلق أن بعض المؤمنين قد رُقَّ لأهله وخشي على تجارته وأمواله؛ توعدهم بما سيكون لهم في آجل أمرهم أو عاجله من العقوبة إما بالقتل عندما يحين موعد فتح مكة أو أي عقوبة أخرى تصيبهم.

قلت: وما حال المسلمين اليوم عن حال أولئك ببعيد؛ فقد ثقل عليهم الجهاد لصد أعدائهم الذين يتربصون بهم في دينهم وأوطانهم. وتماذى بعضهم في موالاة أعدائهم إما حباً لهم وافتتاناً بما يقولونه لهم، أو خشية منهم بعد أن ضعفت نفوسهم، وتخلوا عن الصنائع واستمرؤوا التجارة، ولهو الحياة كما فعل ذلك من قبل أسلاف لنا في الأندلس؛ فكانت عاقبتهم قتلهم ودمارهم وردهم عن دينهم فلم يبق لهم إلا أطلال للذين يسيحون في أسبانيا.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا

وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ
مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾

بيان الآيات:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ لما
تم فتح مكة وأسلم أهلها واستقرت الأمور فيها بلغ رسول الله
ﷺ أن هوازن جمعوا جمعاً لقتاله. وتحالفت مع هوازن قبيلة
ثقيف وأناس من بعض القبائل الصغيرة، وكان أميرهم مالك بن
عوف النضري فأقبلوا معهم نساءهم وأنعامهم دلالة على أنهم
يحرصونهم. فخرج إليهم رسول الله ﷺ في الجيش الذي جاء معه
لفتح مكة وهو آلاف من المهاجرين والأنصار تقدر بعشرة فزار
بهم إلى هوازن فالتقوا (في حنين)^(١) وهو وادٍ بين مكة والطائف
فكانت فيه المعركة في أول الصباح فكمنت فيه هوازن فلما تواجه
الفريقان لم يشعر المسلمون إلا وقد رشقوهم بالنبال وجردوا
عليهم السيوف؛ فأدبر المسلمون وثبت رسول الله ﷺ في المعركة
وأسرع إليهم وهو على بغلته وعمه العباس أخذ بركابها الأيمن
وأبو سفيان أخذ بركابها الأيسر، وهو يدعو المسلمين إلى الكر

(١) واد من أودية مكة المكرمة، يسيل من السراة، من جهات طاد وتنضبة ثم ينحدر غرباً، يمر بين
جبل كِنشَل الشهير عن يمينه، ويعرف بوادي الشرائع، ولا يعرف بحنين، والطريق إلى الطائف
تأخذ على الشرائع قابلة وادي حنين ثم تأخذ وادي يدعان يساراً، انظر معالم مكة التاريخية
والأثرية، لعاتق البلادي ص ٨٦-٨٧.

عليهم قائلاً: (إني عباد الله إني رسول الله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) وقد ثبت معه مائة نفر منهم أبوبكر وعمر والعباس وأسامة بن زيد وأبو سفيان بن الحارث.

ولما تبعثر الجيش قام العباس منادياً: يا أصحاب الشجرة (يريد المهاجرين والأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحتها ألا يتخلوا عنه) فقالوا: لبيك، ثم انعطف نفر منهم إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن يحملوا على العدو حملة صدق وفداء ثم أخذ قبضة من تراب بعدما دعا ربه ثم قال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني) ثم رمى العدو بها ثم قال: (انهزموا ورب محمد) فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما يشغله عن القتال ثم انهزموا فاتبع المسلمون أثرهم يقتلون ويأسرون، وما كاد الناس الذين ناداهم العباس يتوافدون على رسول الله ﷺ إلا والأسرى مكبلون أمامه.

وقد قال بعض من أسلم من المشركين ممن شهد حنيناً: لقينا المسلمين فما لبثنا أن هزمنا واتبعناهم حتى انتهينا إلى رجل راكب بغلة بيضاء فلما رأنا زجرنا وانتهرنا وأخذ بكفه حصى وتراباً فرمى به وقال: (شاهت الوجوه) فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك، وما ملكنا أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا منهزمين وقيل: إن الذي قال: (شاهت الوجوه) هم الملائكة.

قوله ﴿إِذْ أَعْجَبَكُمْ كَثُرْتُكُمْ﴾ قيل: إنهم اثنا عشر ألفاً وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فكان لهذه الكلمة عاقبتها وهي

الهزيمة وهي درس لهم أن النصر من عند الله، وأن كثرة الجيش وقوته لا تغني شيئاً إذا لم يكن الله هو المتولي والناصر للجيش وأهله. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ المراد به ما أصابهم من فزع وخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ أي: فارين لم يبق منهم إلا رسول الله ﷺ وقد شهد بذلك قائد معركة هوازن مالك بن عوف النضري في قوله:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى يشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهند
فكانه ليث على أشباله وسط المباءة خادر في مرصد^(١)

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنزل عليهم ما يطمئنهم في نفوسهم حتى يعودوا للقتال. ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ المراد بهم الملائكة. ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بقتال المسلمين وهزيمتهم لهم. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: ما يستحقونه بسبب قتالهم لرسول الله والمؤمنين. ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يتوب على من

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤ ص ١١٤-١٧٠، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٣١، وتفسير البغوي ص ٥٤٦-٥٤٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٧٤-٥٧٥، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٩٦-٩٩.

انهزموا وأسلموا من هوازن وثقيف ومنهم مالك بن عوف النضري الذي أسلم وأعطاه رسول الله ﷺ وأجزل له العطاء^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الغرور والعجب لما يؤدي إليه من الفشل. الحكم بأن كثرة الجيوش وعددها وعدتها لا تغني شيئاً لأن النصر من عند الله كما قال عز وجل ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢). وهذا محسوس ومشاهد في كل الأزمنة والأمكنة؛ فكم من جيوش كثيرة هزمتها قلة من المحاربين.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣٨)
 قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣٩).

بيان الآيتين:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لما نزلت

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٠٢، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٣١.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٤٩.

هذه الآية سنة تسع أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ومعه أبوبكر أن ينادي في الموسم ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان^(١). ونجاسة المشرك معلومة من حاله؛ فهو لا يتطهر ولا يغتسل. وقد اختلف العلماء في تأويلها، ولعل المراد بالنجاسة النجاسة المعنوية لكون الشرك نجاسة. أما هو كمخلوق فليس بنجس لأن الله خلق الخلق على فطرتهم وليس فيهم نجاسة كما قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٢).

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً﴾ أي: إن خشيتم الفقر فالله رازقكم؛ ذلك أن المسلمين لما منعوا المشركين من الموسم وسوس لهم الشيطان الخوف من الفقر فرد الله عليهم بقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهذا وعد منه عز وجل وقد تحقق وعده فحصلوا على الجزية من أهل الكتاب كما سيأتي في الآية التالية ونزل عليهم المطر وكثرت الخيرات. ﴿إِنْ شَاءَ﴾ أي: أنه لا غنى إلا بمشيئته. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ أي: بأحوال عباده وما ينفعهم وما يضرهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٥٣-٢٥٧، وأخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٣ ص ٢٣٨، وذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٦١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الروم، برقم (٤٧٧٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٧٢.

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ لما انتهت مشكلة المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجاً واستقر الأمر في مكة والمدينة ورسخت دعائم الإسلام أمر الله نبيه أن يقاتل أهل الكتاب حتى يدخلوا في دين الله خاصة وهم يعرفون من كتبهم صفة رسول الله ونبوته، وأنه خاتم الأنبياء، ودينه خاتم الأديان. فلما دعاهم الله في كتبهم للإيمان بهذا الدين ولم يؤمنوا أمر الله رسوله بقتالهم فوصفهم بأنهم ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ لأن اليهود يؤلهون عزيزاً، والنصارى يؤلهون عيسى. ﴿ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي: منحرفون في اعتقادهم فيه فيقولون إن نعيم الجنة يشبه السرور وعذاب النار يشبه الهم وليس النعيم والعذاب صوراً.

﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي: أنهم منحرفون في تحليلهم وتحريمهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحله سواء ما جاء في كتبهم، أو على لسان أنبيائهم. ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أي: لا يدينون بالدين الحق وهو الإسلام. ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ أي: إن لم يسلموا المراد بهم أهل الكتاب فعليهم الجزية. ﴿ عَنْ يَدٍ ﴾ أي: بعد غلبتهم. ﴿ وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴾ أي: مهانون أذلة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم في الآية الأولى بنجاسة المشرك، وهذه النجاسة معنوية

وليست حسية وهذا يقتضي ألا يدخل المشركون ومن في حكمهم من الكفار المسجد الحرام، أو المساجد عمومها. ومن قال بجواز ذلك استدل بأن رسول الله ﷺ ربط ثمامة بن أثال في المسجد^(١) وهذا ليس بحجة له لأن ثمامة قدم وفي نيته الإسلام وقد علم ذلك رسول الله ﷺ. أما إذا كان دخولهم المساجد لضرورة أو حاجة لابد منها فجائز - كما سبق ذكره -.

ومن الأحكام في الآية الثانية: وجوب مقاتلة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، والمراد بهم أهل الكتاب لانحرافهم في العقيدة فإن لم يسلموا فعليهم الجزية.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْنَاهُمْ اللَّهُ أَفَنُؤْفَكُونَ ﴿٢٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب دخول المشرك المسجد، برقم (٤٦٩)، صحيح البخاري

﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ﴾ القائل بعض اليهود وممن قال بهذا من اليهود في المدينة: سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وغيرهم^(١) وقيل: في سبب قولهم إن اليهود لما قتلوا أنبياءهم بعد موسى رفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير يسبح في الأرض فأتاه جبريل فقال له: إلى أين تذهب ؟ قال أطلب العلم فحفظه التوراة فجعلوا يدرسونها من عنده فقالوا: ما جمع الله التوراة في صدره إلا لأنه ابنه^(٢).

وقد تكون هذه الرواية من الإسرائيليات ولكن الذي لا شك فيه أنهم قالوا: إن عزيراً ابن الله كما ورد في الآية. ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ أي: كما قال اليهود عن بنوة عزير قالت النصارى أن عيسى ابن الله وقد جعلوه ثالث ثلاثة كما قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ﴾^(٣).

(١) تفسير البغوي ص ٥٥٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٧٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١١٧ .

(٣) سورة المائدة من الآية ٧٢ .

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: قالوا ذلك على نحو أكيد
 ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: يشابهون بقولهم
 هذا قول من كفر من الأمم قبلهم. ﴿قُلْ لَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: لعنهم
 والمراد بهم اليهود والنصارى ﴿أَفْ يُؤْفَكُونَ﴾ أي حلت عليهم
 اللعنة بسبب انحرافهم عن الحق والميل إلى الباطل.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
 المراد أنهم اتبعوهم فيما أحلوه لهم من الحرام، وما حرموه عليهم
 من الحلال. ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ المراد أنهم جعلوه ابناً
 لله. ﴿وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ هُوَ﴾
 المراد أن كتبهم قد بينت لهم أنه ما من إله إلا الله. ﴿سُبْحَنَهُ
 عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس عن الشرك وعن صاحبة
 والولد.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لما تكلم عز وجل عن
 المشركين وأهل الكتاب بين ما في نفوسهم من العداوة للإسلام وأنهم
 يريدون إطفاء نوره وهم في ذلك مثل من يحاول إطفاء شعاع الشمس
 في رابعة النهار وهذا من أعظم المستحيلات. ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا آَنَ
 يَتِمَّ نُورُهُ﴾ أي: إن الله لا يمكن أن يطفى نور الإسلام لأنه النور
 الذي أنزله إلى الأرض ليهتدي به الخلق من ظلمات الجهل والشرك.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: إن الله جاعل نور الإسلام قائماً رغم كره الكافرين وعداوتهم له.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ المراد محمد ﷺ فقد أرسله الله بالقرآن. ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: أرسله بالحق ظاهراً على سائر الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أي: سيظهر الله هذا الدين رغم كره المشركين لظهوره. وفي هذا روى تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر)^(١).

قلت: وصدق رسول الله ﷺ فما من مكان في العالم إلا وقد دخله الإسلام كما هو الحال في مكان القطبين وفي مجاهل أفريقيا وآسيا ومجاهل أمريكا اللاتينية؛ وذلك رغم محاولات الأعداء محاربة هذا الدين والعمل على تشويهه والصد عنه بشتى الطرق والأساليب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير انحراف أسلاف اليهود وكفرهم بجعل نبيهم عزيزاً ابناً لله، وجعل النصارى نبيهم عيسى ابناً لله. ومن الأحكام: أن من يتبع غيره في تحليل ما حرم الله يعد كافراً. ومنها: تقرير عداوة أهل

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٠٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٦ ص ١٤، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (١٣٤٥)، ج ١ ص ٢٦٧.

الكتاب للإسلام ومحاولتهم إطفاء نوره. ومنها: أن الإسلام لا بد أن يعم الأرض ويسود فيها، وأنه لن يكون هناك دين غيره.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

بيان الآيتين:

المراد بالأحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى ﴿لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ المراد أنهم يأخذون من أتباعهم من الجهلة الضرائب والأموال بحجة نشر الدين، وبناء الكنائس. كما أنهم يرتشون فيما يأخذونه على الأحكام التي يصدرونها لأتباعهم في موافقتهم لأهوائهم فكل هذا من أكل أموال الناس بغير حق.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بمنع أتباعهم من الدخول في دين الإسلام ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقالت طائفة: المراد بهم

أهل الكتاب^(١) وقال أبوذر: المراد أهل الكتاب والمسلمون^(٢) قال القرطبي: هذا هو الصحيح لأن الله قال ﴿وَالَّذِينَ﴾ وهذا وصف عام ولو أراد أهل الكتاب وحدهم لقال ﴿يَكْنِزُونَ﴾^(٣). وفي البخاري عن زيد بن وهب قال: مررت بالريذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذاك وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال لي: إن شئت تنحيت فكننت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت^(٤).

﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المراد الذهب والفضة فكما أن الفضة تؤنث فالذهب يؤنث كذلك ويذكر. والمراد أنهم يكنزون هذين النقيدين ولا يؤدون زكاتها. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٨٠، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٣.

(٢) زاد المسير ص ٥٨٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٢٣.

(٤) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤١١، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما أدى

زكاته فليس بكنز، برقم (١٤٠٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٣١٩.

هذا قال رسول الله ﷺ: (بشر الكانزين بِكَيِّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم وَبِكَيِّ من قبل أقفائهم يخرج من جباههم)^(١).

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾ أي: تتحول الكنوز إلى صفائح ويحمى عليها وتكوى بها جباههم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)^(٢).

﴿هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: يقال لهم هذا ما كنزتم ولم تنفقوا منه في سبيل الله ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: ذوقوا العذاب جزاء ما كنزتم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم أكل أموال الناس بالباطل سواء عن طريق الرشاء، أو الربا، أو الاستغلال، أو الكذب، أو أي وسيلة أخرى تؤدي إلى ذلك. ومن أشد الإثم أخذ أموال الناس بعد إيهامهم بأن هذا المال يصرف في سبيل الله

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم، برقم (٩٩٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٧٥٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٧٣٦.

كما يفعل الأحرار والرهبان بينما يصرف هذا المال في الصد عن سبيل الله. ومن الأحكام: تحريم جمع المال لمجرد الكنز وعدم الإنفاق منه حسب ما فرضه الله فيه من الزكاة، وما حث عليه من الصدقة منه وبيان ما سوف يتعرض له الكانزون لأموالهم من العذاب الشديد.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الَّذِينَ أَلْقِيَتْمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٣٧﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: عددها. ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ. ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: أنه جل وعلا قدر عدد هذه الشهور في الوقت الذي خلق فيه السموات والأرض، وهذا الحكم في عددها وترتيبها حكم دائم لا يتغير ولا يتبدل بسبب تغيير أو تبديل المشركين لها تقديمًا

أو تأخيراً. وفي هذا روى أبو بكر أن رسول الله ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: (الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه. قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه تغير اسمه قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى. وقال: أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا بلى) الحديث (١).

﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ هي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. ﴿ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلَيُّمُ ﴾ أي: هذا هو الحساب والعدد الصحيح ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: لا تعصوا الله في هذه الأشهر لحرمتها ومع أن المعصية محرمة في كل وقت إلا أنها أكد في هذه الأشهر ﴿ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ أي: قاتلوهم كلهم. ﴿ كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ المراد الحث والتحريض على قتال المسلمين للمشركين، وليس المراد كلهم بل يكون قتالهم حسب قتالهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ وَبُوءَ بِوَمَعِدِ نَاصِرَةً ﴾، إِنَّ رَبَّهَا نَاطِقَةٌ ﴿ ﴾، برقم (٧٤٤٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤٣٣.

واجتماعهم. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: اعرفوا وتيقنوا أن الله ينصر المؤمنين ويذل المشركين وأعوانهم.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ النسبياء الزيادة والمراد أن أهل الجاهلية كانوا يؤخرون حرمة شهر محرم إلى صفر لكي يستبيحوا القتال في الشهر الحرام. وقد ذكر ابن إسحاق أن أول من نسأ الشهور على العرب فأحل منها ما حرم الله وحرّم منها ما أحل الله عز وجل القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ثم من بعده ابنه قلع ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف بن أمية ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الإسلام فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فقام فيهم خطيباً فحرم رجلاً وذا القعدة وذا الحجة ويحل المحرم عاماً ويجعل مكانه صفر ويحرمه عاماً ليواطئ عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله^(١).

﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يضل ويزيغ بسبب هذا أولئك الذين يحسب لهم هذا الحساب ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ أي: بسبب هذا الحساب يحلون ما حرم الله في عام ويحرمون ما أحله عاماً آخر ﴿لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا هذا التحليل وهذا التحريم ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ

(١) سيرة بن اسحاق ج ٢ ص ٢٩٩ مختصراً، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٤٢.

أَعْمَلِهِمْ ﴿١٠﴾ أي: زين لهم الشيطان سوء صنعيعهم هذا. ﴿١١﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢﴾ المراد بهم الذين يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً مرتبة ومبيّنة في اللوح المحفوظ، وأن منها أربعة حرماً هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. وقد بين الله للمسلمين هذه الشهور حكماً لازماً خلافاً للأمم السابقة من الفرس والقبط والروم الذين تخطبوا في حسابهم للشهور. الحكم بأن الله عظم الخطايا في الأشهر الحرم وضاعف فيها العقوبة لأنه إذا عظم شيئاً وحرّمه من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة وإذا عظمه من جهتين أو أكثر صارت حرمة متعددة بعدد جهات التحريم.

ومن أحكام الآيتين: أن الله لما حرم ما كان يفعله أهل الجاهلية من التأخير أو الزيادة بالتعديل في أسماء الشهور لغرض تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله، اقتضى هذا تحريم الاحتيال وتزيين الباطل في نفوس الناس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنِفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ

﴿٣٨﴾ الْآخِرَةَ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ
إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

بيان الآيتين:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ﴾ الخطاب للمؤمنين وفيه توبيخ لهم بقوله ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والمخاطب هنا من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك التي صادفت شدة الحر ﴿أَتَأَقْلَسُمُ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: تهاونتم وتكاسلتم وآثرتم المقام عند أولادكم وأزواجكم. ﴿أَرْضَيْتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ استفهام إنكار أي: هل رغبتم عن نعيم الآخرة وفضلتم عليه متاع الحياة الدنيا. ﴿فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا قيمة لمتاع الدنيا مقارنة مع متاع الآخرة وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - في اليم فلينظر بم ترجع) (١).

﴿إِلَّا تَنْفَرُوا﴾ لما قال الله عز ذكره ﴿أَرْضَيْتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ قال ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا﴾ أي: إن تثاقلتم. ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قيل: المراد بالعذاب حبس المطر وقد

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم (٨٥٨).

ذكر ابن عباس أن رسول الله ﷺ استنفر حياً من أحياء العرب فثاقلوا عنه فأمسك الله عنهم المطر^(١).

قلت: وحبس المطر من أشد العذاب؛ ذلك أن المطر مصدر الماء وإذا فقد الخلق هذا المصدر هلكوا وشاهده قول الله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٢). وقد يكون المراد بالعذاب في الآية تسلط العدو؛ ذلك أن العباد إذا سكنوا للراحة ولم يستعدوا لتربص الأعداء كان حرياً بهم الاستكانة والذل أمامهم فيكونوا غنيمة لهم وهو ما عناه رسول الله ﷺ بقوله (... إذا أخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)^(٣).

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيه وعيد بأن يبدل الله لرسوله قوماً لا يثناقلون إذا دعاهم كما قال تعالى ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٤). ﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾ أي: ولن تضروا الله شيئاً بثناقلكم وقعودكم عن الجهاد ولكن تضرون أنفسكم بما ينالكم من العذاب ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على نصر نبيه وهزيمة أعدائه دون حاجة لكم.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٨٣.

(٢) سورة الذاريات الآية ٢٢.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة، باب في النهي عن العينة، برقم (٣٤٦٢)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٢٥٣، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٨٤.

(٤) سورة محمد من الآية ٣٨.

أحكام ومسائل الآيتين:

ذكر الإمام ابن العربي أن في هذه الآية تهديداً ووعيداً مؤكداً بترك النفير للجهاد ومن محققات مسائل الأصول أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل، فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر ولا يقتضيه الاقتضاء وإنما يكون العقاب بالخبر عنه كقوله إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا كما ورد في الآية فوجب بمقتضاها النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم حتى تكون كلمة الله هي العليا^(١).

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٠)

بيان الآية:

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ أي: إلا تنصروا محمداً رسول الله بالنفير معه ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ أي: إن تركتم وتخليتم عن نصره فإن الله ناصره ومعينه ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد أن كفار قريش

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٩٤٩ .

أخرجوه بحكم تأمرهم عليه وإنما خرج عليه الصلاة والسلام اتقاء مؤامرتهم عليه. ﴿ثَانِيكَ أَثْنَيْنِ﴾ أي: واحداً من اثنين، والثاني أبو بكر. ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ المراد به غار ثور في جبل ثور؛ ذلك أن قريشا لما رأَت أن المسلمين هاجروا إلى المدينة قالوا: هذا شر لا يطاق فاتفقوا على قتل رسول الله ﷺ فبيتوه ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم حتى إذا خرج يقتلونه فأمر عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه، ودعا الله أن يعمي عليهم أثره فطمس الله على قلوبهم وأبصارهم فخرج من عندهم وقد غشيهم النوم فوضع على رؤوسهم تراباً وسار. فلما أصبحوا خرج عليهم علي رضي الله عنه وأخبرهم أن ليس في الدار أحد فعلموا أنه عليه الصلاة والسلام قد نجا منهم. وتواعد رسول الله ﷺ مع أبي بكر الصديق للهجرة إلى المدينة فدفعا راحلتيهما إلى عبد الله بن أريقط، وكان مشركاً ولكنهما وثقا به وكان دليلاً بالطرق فاستأجراه ليدلّهما إلى المدينة. وخرج رسول الله ﷺ من خوخة في ظهر دار أبي بكر ونهضا نحو الغار في جبل ثور، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع إلى ما يقول الناس، وأمر مولاه عامر بن فهيره أن يرعى غنمه ويريحها عليهما ليلا فيأخذا منها حاجتهما. ثم نهضا فدخلوا الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام، ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار ثم يتلوهما عامر بن فهيرة بالغنم فيعفي أثرهما. فلما

فقدته قريش جعلت تطلبه بقائف معروف باقتفاء الأثر حتى وقف على الغار فقال: انقطع الأثر هنا فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نسج على فم الغار من ساعته. فلما رأوا نسجه أيقنوا ألا أحد فيه فرجعوا وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة لمن رده عليهم. وقد روي من حديث أبي الدرداء وثوبان رضي الله عنهما أن الله عز وجل أمر حمامة فباضت على نسج العنكبوت وجعلت ترقد على بيضها فلما نظر المشركون إليها ردهم ذلك عن الغار^(١).

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ أي قال رسول الله ﷺ: لأبي بكر ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: سوف ينصرنا ويحفظنا وفي هذا حدث أبو بكر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^(٢).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ قيل: المراد به رسول الله ﷺ^(٣) وقيل: أبو بكر وهو الأصح لأنه خاف على رسول الله من المشركين الذين خرجوا في طلبه فأنزل الله السكينة عليه^(٤). ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٠-١٥٧، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٤٤-١٤٥، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٦ ص ٥١-٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ثَاثٌ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ برقم (٤٦٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٧٦.

(٣) تفسير البغوي ص ٥٦١.

(٤) تفسير البغوي ص ٥٦١.

تَرَوْهَا ﴿١﴾ أي: الملائكة. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا
السُّفْلَى﴾ ﴿٢﴾ المراد بها كلمة الشرك التي لا علو لها. ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ
هِيَ الْعُلْيَا﴾ ﴿٣﴾ المراد بها الإسلام وعلوه على سائر الأديان. ﴿وَاللَّهُ
عَزِيزٌ﴾ ﴿٤﴾ أي: له الغلبة. ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ في تدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب طاعة ولي الأمر إذا دعا الأمة للجهاد. الحكم
بوجوب نصره رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته. أما في حياته
فقد انتهت هذه النصره، وأما بعد وفاته فالعمل بسنته وتحقيق ما
أمر به، واجتناب ما نهى عنه. الحكم بجواز الفرار من العدو إذا لم
يكن من وسيلة إلا الفرار مع وجوب الاستعداد للكر عليه. ولا شك
أن خوف أبي بكر لم يكن خوفاً على نفسه كما ظن ذلك الجهلة
المتحزبون بل كان خوفه على رسول الله ﷺ فهو صاحبه وصديقه
وقد آمن بما جاء به.

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾.

بيان الآية:

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ﴿١﴾ المراد أن على المؤمنين أن ينفروا
للجهاد سواء كانوا خفافاً أو ثقالاً في حركاتهم. وفي هذا روي أن ابن

أم مكتوم - وهو أعمى - جاء إلى رسول الله ﷺ وسأله أعلي أن أنفر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (نعم)، فأنزل الله تعالى قوله ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ﴾^(١). كما روي أن أبا طلحة لما قرأ سورة براءة وأتى على قوله تعالى ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قال لبنيه: أرى ربنا استنفرنا شيوخاً وشباناً جهزوني يا بني فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك فأبى فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير لونه فدفنوه فيها^(٢). رضي الله عنه وأرضاه.

﴿وَجَاهِدُوا﴾ هذا أمر إلزام بالجهاد ﴿بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهذا وصف لما يجب من تنفيذ الأمر وهو التضحية والفداء بالمال ثم بالنفس. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن في هذا الجهاد الخير في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب النفير للكل إذا تأكد غلبة العدو على ثغر من ثغور الأمة؛ فإن تخلفوا عن ذلك عد هذا عصياناً ولا يستثنى من هذا

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٥٠، والآية في سورة الفتح من الآية ١٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٥٠.

الوجوب إلا من به علة مانعة كالعجز. وكما يجب الجهاد بالنفس يجب الجهاد بالمال وبكليهما معاً.

وقد ذكر ابن العربي أن بعض الملوك عاهد كفاراً ألا يحبسوا أسيراً فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت مغلق فنادته امرأة: إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري. فلما اجتمع به واستطعمه عنده وتجاذبا ذيل الحديث انتهى الخبر إلى هذه المعذبة؛ فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازياً من فوره ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع. فكيف بنا وعندنا عهد الله ألا نسلم إخواننا إلى الأعداء وننعم وهم في الشقاء أو نملك الحرية وهم أرقاء! يا لله لهذا الخطب الجسيم نسأل الله التوفيق للجمهور والمنة بصلاح الأمر والمأمور. وقال ابن العربي أيضاً: ولقد نزل بنا العدو قصمه الله سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجاس خلال ديارنا وأسر خيرتنا وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده وكان كثيراً وإن لم يبلغ ما حدوده فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركة ولتظهر منكم إلى نصره الدين المتعينة عليكم حركة فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار فيحاط به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له. فغلبت الذنوب ورجفت القلوب بالمعاصي وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وجاره وإن رأى المكيدة بجاره. فإننا

لله وانا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

قلت: هذا ما قاله إمام فقيه وعالم كبير من أمة المسلمين في زمانه: رأى كيف كان أهل زمانه مثل الثعالب يروغون أمام العدو. وكيف لو رأى أهل زماننا وقد تكالبت عليهم الأعداء يحتلون أرضهم، وينصّرون شبابهم، ويستولون على خيراتهم، ويطمسون هويتهم، ويحاربون عقيدتهم جهاراً، ويعذبون ويدّلون أسراهم بأبشع أنواع الإذلال. ويستهزئون بنبيهم وبدينهم، ويسخرون من حضارتهم ولكنها - كما قال الإمام ابن العربي - غلبة الذنوب وارتجاف القلوب بالمعاصي وحسبنا ما قاله العزيز الجبار ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢).

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤٢) عفا الله عنك لِمَ أَذْنَتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ^(٤٣) لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٩٥٥-٩٥٦، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٣.

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْقِنِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

بيان الآيات:

وَبَخَّ الله الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وفند أذارهم فقال عز ذكره ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ أي: حظاً من حظوظ الدنيا ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: قريباً. ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ أي: لكانوا معك ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي: استطالوا المدة في السفر إلى تبوك ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ أي: لو كان لنا قوة ولم يكن لنا عذر لخرجنا معكم للغزو. ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بما قالوه من كذبهم ونفاقهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: إنه يعلم عدم وجود عذر لهم وإن ما قالوه عن أذارهم إنما هو كذب.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية أن قوماً قالوا لبعضهم: استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا عن الغزو، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا^(١) كذلك. فخاطب الله نبيه قائلاً: يرحمك الله لماذا أذنت لهم قبل أن يأتيك فيهم وحي؟ ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: لو أنك لم تأذن لهم

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٥، والدر المنثور ج ٣ ص ٤٤١.

لعرفت من هو الصادق، ومن هو الكاذب منهم. ثم قال عز وجل منكراً عليهم استئذنانهم: لا يستأذنك في القعود عن الجهاد الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر. ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: لا يستأذنك الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيل الله لأنهم يتقربون إليه بذلك لعلمهم أن الجهاد من أوامر الله لإعلاء كلمته. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ﴾ أي: هو أعلم بالصادقين والمنافقين.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: إن الذين يستأذنونك في القعود عن القتال دون أن يكون لهم عذر مشروع ليسوا بمؤمنين ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ المراد بهم المنافقون الذين يظهرون تصديقهم لرسول الله، وهم في دواخلهم يشكون فيما يقوله ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: هم في حيرة وشك من أمرهم كما قال عز وجل ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن سلوك المنافقين يقوم على الكذب والأعذار الباطلة التي يسترون بها نفاقهم، وهو العداء للمؤمنين، والتحالف مع أعدائهم. ومن الأحكام: تقرير أن المؤمنين الصادقين في إيمانهم لا يتخلفون

عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم؛ لأنهم يعرفون أن الجهاد أحد أسس الإسلام، وهو من أوامر الله. تقرير أن الذين يستأذنون عن الجهاد هم المنافقون الذين ينكرون البعث وقلوبهم في ريب وشك.

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ أي: إنهم لو أرادوا الخروج للجهاد عن قصد ونية لاستعدوا له لأن من يريد السفر يتأهب له، والمعنى أنهم ما أرادوا السفر أبداً. ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ أي: خروجهم لعلمه بتببييتهم النية بعدم الخروج. ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ لما علم بنييتهم لأنهم قالوا: إذا لم يؤذن لنا فسوف نفسد المؤمنين ونثبطهم. ﴿ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: أو قال لهم ذلك رسول الله ﷺ غضباً عليهم لما رأى من تناقلهم وتباطئهم. والمراد بالقاعدين ذوو الأعذار الحقيقية كالمرض ونحوهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: لو أن هؤلاء المنافقين خرجوا للجهاد مع المؤمنين ما زادوهم إلا فساداً وتثبيطاً وإرجافاً وزرعاً للفتنة. ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ الإيضاع: الإسراع والمراد أنهم لو خرجوا معكم لأسرعوا ببت الفساد بينكم وهذا أسوأ ما يكون حال الجهاد. ﴿يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَّةً﴾ بيان وتوكيد عن نواياهم الفاسدة. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ المراد أن بين المؤمنين الذين خرجوا للجهاد من يسمع كلام هؤلاء لو خرجوا لأنهم لا يعرفون دواخلهم ونواياهم خاصة وهم معروفون بالرئاسة في قومهم كما هو حال عبد الله بن أبي بن سلول. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الذين فسدت مقاصدهم، وخبثت سرائرهم نحو المؤمنين الذين خرجوا للجهاد ولهذا ثبطهم الله وكفى المؤمنين فسادهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في الآيتين بيان من الله لسلوك المنافقين وتخاذلهم عن الخروج للجهاد. وفيهما: التحذير من شرور المنافقين وخطرهم خاصة أيام الجهاد لأنهم إما أن يفسدوا بين المجاهدين بنشر الخلاف بينهم، أو يكونوا عيوناً للعدو لأن المنافق أشر وأخطر من الكافر؛ فالكافر معروف بكفره أما المنافق فهو يخدع غيره بما يظهره خلاف ما يبطنه فيلتبس أمره. وقد مقت الله خروجهم للجهاد بقوله ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ

اللَّهُ أَنْبَعَانَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴿٥٠﴾ ولعل أخطر ما واجهته الأمة في مراحل تكوينها وجود المنافقين الذين دخلوا الإسلام بقصد إفساده ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول وغيره من اليهود.

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (٥١) وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوَلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾

بيان الآيات:

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ المراد بهم المنافقون والمعنى أنهم ناصبوك العداوة وعملوا كل ما في وسعهم لإفشال دعوتك؛ ذلك أنه منذ أن قدم رسول الله ﷺ المدينة اتفق اليهود والمنافقون من العرب على محاربته والكيد له. وقد وقف اثنا عشر رجلاً منهم على ثنية الوداع ليلة العقبة ليقتلوه وقد قال عبد الله بن أبي بن سلول بعد معركة بدر: هذا أمر قد توجه. وما كان دخولهم الإسلام إلا تقية ونفاقاً. ﴿وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: تبادلو الرأي وتداولوه للعمل على محاربة ما جئت به إليهم. ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾

أي: علا دينه. ﴿وَهُمْ كَرِهُوا﴾ لهذا العلو.
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَن لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ ذكر محمد بن
إسحاق أن رسول الله ﷺ بينما كان يتجهز لغزوة تبوك قال
للجد بن قيس أخي بني سلمة: (هل لك ياجد العام في جلد بني
الأصفر؟) فقال: يا رسول الله أو تأذن لي في القعود عن الجهاد ولا
تفتنني فوالله إن قومي يعرفون ما رجل أشد عجباً بالنساء مني
وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن فأذن له
رسول الله ﷺ فنزلت فيه هذه الآية^(١) ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾
أي: كان يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر، وهذا لم يكن صحيحاً
منه بل كان منافقاً فإن سقوطه في الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ
أعظم فتنة. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: أن
مآل الكافرين والمنافقين النار.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسْوَهُمْ﴾ أي: إن كان لك نصر على
الأعداء يسوؤهم ذلك. ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ أي: هزيمة أو
نحوها. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ أي يقولوا: قد
حذرنا واحتطنا من عدم الخروج معه. ﴿وَيَكْتُولُوا﴾ عن الإيمان
﴿وَهُمْ فَرِحُوا﴾ أي: مسرورون.

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ٢٧١، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢١٦-٢١٧،
وأسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤١٥.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مؤامرة اليهود والمنافقين من العرب على رسول الله ﷺ؛ ذلك أن اليهود لما عرفوا أن الحق سوف يسود في المدينة وما حولها ثم يسود العالم بدؤوا يكيدون المكاييد لرسول الله ﷺ، وفي مقدمة ذلك التآمر مع المنافقين على قتله فكشفهم الله لرسوله. ومن الأحكام: تقرير كذب المنافقين كما فعل الجد بن قيس حين ادعى خوفه أن يقع في بنات الروم مع أنه لم يكن صادقاً في قوله. ومنها: أن المنافقين يستأثرون عندما ينال المسلمون خيراً مثل نصرهم على أعدائهم ولكنهم يفرحون عندما يصيب المسلمين نازلة أو مصيبة.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْتَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَ دِينًا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

بيان الآيتين:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يقول لهؤلاء المنافقين: ليس لنا إلا ما قدره الله لنا فنحن تحت تصرفه ورحمته ومشيتته. ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي: ناصرنا ومعيننا.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ونحن متوكلون عليه في كل أمورنا.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ المراد هل تنتظرون منا إلا إحدى الحسينين، وهي إما الشهادة في سبيل الله أو الظفر بالمشركين والمنافقين. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ أي: ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده جزاء نفاقكم وكفركم أو بأيدينا بما يحققه الله من النصر على أعدائه من المشركين والمنافقين منكم. ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ المراد انتظروا ونحن ننتظر وسوف نرى مايسرنا وترون مايسوءكم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب التوكل على الله والتطلع إلى نصره كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١). ولكن التوكل يقتضي أخذ الحيطة والحذر من العدو والاستعداد له بالقوة. ومن مسائل الآيتين: تقرير أن سلوك المؤمنين إما النصر على عدوهم أو الشهادة في سبيل الله. ومنها: مخاطبة العدو بغليظ القول وتهديده وتوعده وإخافته مع الاستعداد له بالقوة المادية.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنِّكُمْ كُنْتُمْ

(١) سورة الطلاق من الآية ٣.

قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى
وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾

بيان الآيتين:

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ هذه الآية نزلت
-كما ذكر- في الجد بن قيس فلما قال لرسول الله ﷺ: ائذن لي في
القعود قال: سوف أعينك بمالي^(١) وفي الآية ردّ عليه والمراد أنه مهما
أنفقت طائعاً أو مكرهاً فلن يقبل منك لأنك منافق ولايثاب المنافق
والكافر على مايعمله حتى يتوب. ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾
أي: كافرين.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ﴾ المراد أن المانع لقبول نفقاتهم هو كفرهم ونفاقهم.
﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ أي: لا يصلون إلا رياء
فإن رأوا الناس اجتهدوا في الصلاة وإن كانوا لوحدهم لم يصلوا كما
قال تعالى ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢). ﴿وَلَا
يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ أي: أنهم لا ينفقون اعتقاداً في الثواب
بل رياء أو اضطراراً فهذا لا تقبل منهم نفقاتهم.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٨٨، وتفسير البغوي ص ٥٦٣.

(٢) سورة النساء من الآية ١٤٢.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الكافر لا ينتفع في الآخرة بما عمله من عمل حسن في الدنيا كالبر. والأصل فيه قول الله تعالى ﴿لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ﴾ والأصل فيه أيضاً قول رسول الله ﷺ في حديث (إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها)^(١). وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: (لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)^(٢). وظاهر الأمر أن الكافر لا تقبل منه صدقة ولا بر ولا ما يعمل من عمل في الدنيا لأن من شروط المتقرب إلى الله أن يؤمن إيماناً صادقاً بالمتقرب إليه كما قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿بَلْ كَانُوا لَمْ يَعْمَلُوا شَيْئاً، وشاهده قوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾^(٣). ومع ذلك فلا يتعالى أحد على الله ألا يقبل من فلان عملاً فإن لله مشيئته وحكمته وتصرفه في

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات

الكافر في الدنيا، برقم (٨٠٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٩٩٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، برقم

(٢١٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٠٩١.

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٣.

خلقه فهو بهم أعلم وهو بهم أرحم، ونحن إنما نقول بما يظهر لنا من الأدلة. أما الأمر في أوله وآخره فمرجعه إلى الله رب العالمين.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ٥٧﴾

بيان الآيات:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن أو تعجب بما أوتي المنافقون من متع الحياة الدنيا ككثرة أموالهم وأولادهم كما قال تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثْنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١﴾. قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المراد أن الله سوف يعذبهم بها في الآخرة لأنهم لا ينفقونها في سبيل الله. ﴿وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: يأتيهم فزع الموت، وهم كافرون وهذا من سوء عاقبتهم وخواتم حياتهم.

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: يقسمون أيما أنا أنهم مؤمنون وهم كاذبون كما قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا أَنشَهُدُ

إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
 لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ ﴿٢﴾. قوله ﴿وَمَا هُمْ
 مِنْكُمْ﴾ أي: ليسوا بمؤمنين. ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي: يخافون
 فيظهرون الإيمان كذباً خشية أن تقتاتلوهم ولا تؤمنوا لهم أموالهم.
 ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أي: حصناً وملاذاً. ﴿أَوْ مَغْرَبَاتٍ﴾ أي:
 الكهوف في الجبال. ﴿أَوْ مَدْخَلًا﴾ أي: نفقاً في الأرض. ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾
 أي: لذهبوا إليه. ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: مسرعون.

أحكام ومسائل الآيات:

لا يجوز الإعجاب بما أوتي المنافقون من متاع الحياة الدنيا كالمال
 والجاه والولد والسلطان. ومن الأحكام: تقرير كذب المنافقين فهم
 يحلفون على الكذب ولا يتورعون منه؛ فالكذب من سماتهم وصفاتهم
 لقول رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب..) (٣). ومن
 صفاتهم أيضاً الجبن والانهزام بسبب فراغ قلوبهم من الإيمان.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ
 يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمْ

(١) سورة المنافقون الآية ١

(٢) سورة المنافقون من الآية ٢

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، صحيح البخاري ج ١

اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يعني يعيب ويطنع في قسمتك لها. وفي هذا روى أبو سعيد الخدري أنه بينما رسول الله ﷺ يقسم مالا إذ جاءه حرقوص بن زهير رأس الخوارج ويقال له ذو الخويصرة فقال: اعدل يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (ويلك من يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) فقال عمر: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال: (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية)^(١). ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا﴾ أي: إن ينلهم منها رضوا. ﴿وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ أي: إن غايتهم منافعهم لأنفسهم. وقد يكون القائل: رجلاً من الأعراب أما ما قاله ذو الخويصرة فكان في غزوة حنين والمعنيين متشابهان.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: ما أعطاهم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٢٨٩٠، والبخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، برقم (٦٩٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٣٠٣.

من الصدقات حين توزيعها. ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا. ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: من نعمه الكثيرة. ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي: نقبل ما وزعه علينا. ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أي: متطلعون إلى خيره ونعمه في الدنيا وفي الآخرة لو قالوا ذلك لكان أزكى لهم عند الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بالنفاق على كل من يعيب أمراً أمر به رسول الله ﷺ أو فعلاً فعله؛ وسواء كان هذا التعيب بالهمز أو اللمز المباشر أو غير المباشر، أو كان على سبيل الجد أو اللعب. ومن الأحكام: أن من الخير للعبد أن يقنع بما قسمه الله وأن يسأل الله أن ينعم عليه من فضله.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

بيان الآية:

لما ذم الله الذين لمزوا رسول الله ﷺ في قسمة الصدقات بين عزوجل أنه هو الذي قسمها بنفسه وبينها بيانا لا لبس فيه فقال ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ والفقر هو الذي له بعض ما يكفيه ويتعفف، ولا يسأل الناس شيئاً كما قال عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِي أَحْصَرُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ الْحَافَا ﴿١﴾. ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ المسكين هو الذي لا شيء
له. واختلف العلماء في التفريق بينهما، وفي حديث أبي هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده
اللقة واللقمتان والتمررة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى
يغنيه ولا يفتن به فيتصدق عليه ولا يقوم يسأل الناس) (٢). وفي هذا ما
يرجح أن المسكين هو الذي عنده شيء ولكن لا يغنيه.

﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ المراد بهم جباة الزكاة وهذا في الحالات
التي لا يكون لهم أجر آخر عليها؛ فإن كان لهم أجر كما لو كانوا
موظفين أو يرزقون من بيت المال فلا يحل لهم أخذ شيء منها؛
إنما ذكر الله حقهم مقابل جهدهم وسعيهم عليها فإن كان لهم
أجر من غيرها حرمت عليهم. ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم نوعان: نوع
يعطى منها رغبة في إسلامه كما لو كان ذا قوة أو سيداً في قومه،
وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع صفوان بن أمية حين أعطاه من
غنائم حنين وقال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قوله تعالى ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾، برقم
(١٤٧٩)، صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٩٩.

الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي^(١). ونوع يعطى من الصدقة رغبة في حسن إسلامه، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ فاعطى عيينة بن بدر^(٢) وعلقمة بن علاثة^(٣) والأقرع بن حابس^(٤)

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، برقم (٢٣١٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦١٣٠ .

(٢) وهو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح وقيل أسلم قبل الفتح وشهد الفتح مسلماً وشهد حنيناً أو الطائف أيضاً وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة قيل إنه دخل على النبي ﷺ من غير إذن فقال له: (أين إذن؟) فقال ما استأذنت على أحد من مضر وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه فأخذ أسيراً وحمل إلى أبي بكر رضي الله عنه فكان صبيان المدينة يقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: ما أمنت بالله طرفة عين فأسلم فأطلقه أبو بكر وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف... أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ٤٤٠-٤٤١ .

(٣) هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري الكلابي، كان من أشرف بني ربيعة بن عامر وكان من المؤلفة قلوبهم وكان سيداً في قومه حليماً عاقلاً ولم يكن فيه ذاك الكرم. هو الذي نافر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وكلاهما كلابي وفاخره ولما عاد النبي ﷺ من الطائف ارتد علقمة ولحق بالشام فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كلاب فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه سرية فانهزم منهم وغنم المسلمون أهله وحملوهم إلى أبي بكر رضي الله عنه فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة ولم يبلغ أبا بكر عنهم ما يكره فأطلقهم ثم أسلم علقمة فقبل ذلك منه وحسن إسلامه واستعمله عمر رضي الله عنه على حوران فمات بها... أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ٢٧٩ .

(٤) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قدم على النبي ﷺ مع عطارذ بن حاجب بن زرارة والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وغيرهم من أشرف تميم بعد فتح مكة وقد كان الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيناً وحضرا الطائف. فلما قدم وفد تميم كان معهم فلما قدموا المدينة قال الأقرع بن حابس حين نادى: يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال رسول الله ﷺ: (ذلكم الله سبحانه)، وفي وفد بني تميم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، سورة الحجرات الآية ٤، شهد الأقرع مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وشهد معه فتح الأنبار وهو كان على مقدمة خالد بن الوليد وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيّره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش. أسد الغابة ج ١ ص ١٢٦-١٢٩ .

وقال: (إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في نار جهنم)^(١).

قلت: ويجوز أن يعطى منها من يكون في تأليف قلبه نصر للمسلمين أو كف الأذى عنهم كحال أصحاب الرأي وأهل التأثير في الإعلام والسياسة.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ المراد بهم المكاتبون لكي تساعدكم في فك رقهم. ﴿وَالْغُرَمِينَ﴾ وهم من تحمل حمالة أو أصابته جائحة والأصل فيه حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها)، قال: ثم قال: (يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال سداد من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً)^(٢). ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والمراد بهم الغزاة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، برقم (٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب من حل له المسألة، برقم (١٠٤٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٨٥٦.

قلت: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حكم واسع فكلما كان في هذا السبيل فهو محل للصدقة، ومن ذلك بناء المساجد والمستشفيات والملاجئ للمعوزين، والمدارس لتعليم القرآن، وسائر العلوم المشروعة ومن ذلك النفقة على ذوي المجاهدين ورعاية أسرهم ورعاية الأيتام، والنفقة على العلماء والدعاة الذين يتعرضون للتضييق عليهم في أرزاقهم.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلَ﴾ هو المسافر المار في بلد ليس معه شيء يساعده على سفره فيعطى من الصدقات ما يعينه للوصول إلى بلده وإن كان له مال في بلده. ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: إن هذا التقسيم حكم قدره الله وقضى به. ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يفعله عباده حكيم في تدبيره لهم وتصرفه فيهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الزكاة من فرائض الله على عباده متى تحققت فيهم أسبابها وشروطها. وقد بين الله في هذه الآية أصحابها، ومصارفها. وهذا البيان حكم لازم فرضه الله وهو أعلم وأحكم بما ينفع عباده.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا

مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبْدَلَهُ
نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

بيان الآيات:

ما زال السياق في المنافقين وبيان سوء سلوكهم فقال عزوجل ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ أي: بسلاطة ألسنتهم ووقاحة أقوالهم. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾ أي: يسمع كل شيء يقال له وهم بهذا يطعنون فيه وقد كذبهم الله. ﴿قُلْ أذُنُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إنه أذن خير ورحمة لكم وليس أذن شر لكم. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدق المؤمنين الذين يصدقون في أقوالهم ولا يصدق المنافقين مثلكم. ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي: إنه رافة ورحمة بمن كان منكم مؤمناً. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: من آذاه بأي نوع من أنواع الأذى سيجزى بالعذاب الشديد.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ كعادة المنافقين في إبداء ظاهرهم وإخفاء بواطنهم وكعادتهم في الكذب كانوا يطعنون في رسول الله ﷺ وفي المؤمنين، ويكذبون بالدين فإذا بلغ خبرهم رسول الله ﷺ أتوه فحلفوا أنهم ما قالوا كذا وكذا وهذا ما حدث من الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فقد قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن أشر من الحمير فلما غضب لذلك غلام من الأنصار وأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا

حلفوا أنهم ما قالوا ذلك فنزل قول الله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾^(١) وقد وبخهم الله بقوله ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ أي: بدل أن يحلفوا هذه الإيمان كان عليهم أن يرضوا الله باتباع ما أمر به والانتفاء عما نهى عنه، وأن يرضوا رسوله بتصديقه والإيمان برسالته. ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كانوا يزعمون أنهم مؤمنون حقاً.

﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ المراد بهم المنافقون ﴿أَنَّهُمْ مِنْ مُحَادِدِ اللَّهِ﴾ أي: يشاقه ويعانده ﴿فَأَن لَّهُ نَارٌ جَهَنَّمَ﴾ أي: ستكون النار ماله ومصيره ﴿خَلِدًا فِيهَا﴾ أي: مقيماً إقامة أبدية. ﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ أي: هذا هو الخزي الذي ليس بعده خزي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أذى المنافقين لرسول الله ﷺ وهذا الأذى في حياته وبعد موته؛ فكل من طعن في سنته، أو لمزه، أو تعرض له بما يعيبه فهو منافق كافر. ومن الأحكام: أن رسول الله ﷺ خير للبشرية. ومنها: تقرير أن المنافقين يخادعون الله والذين آمنوا وذلك بإخفاء حقيقتهم حين يلجؤون إلى الإيمان الكاذبة اعتقاداً منهم بأن ذلك يرضي المؤمنين مع أنهم لو كانوا مؤمنين حقاً لأرضوا الله بطاعته

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤١٩ .

وطاعة رسوله. وقد توعدهم الله بالعذاب والمهانة يوم القيامة.
قلت: وهذا سلوك المنافقين في كل زمان؛ فالمتتبع لهذا السلوك
يجد أنهم يلبسون دائماً نفاقهم لباس الشفقة على الدين وهم
يتآمرون عليه مع الأعداء.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي
قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْزِدُوهُمْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ لما كان المنافقون
يتحدثون بينهم في أذية رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يخشون
أن تنزل فيهم على رسول الله ﷺ سورة. ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي
قُلُوبِهِمْ﴾ أي: تخبر بما يسرونه في أنفسهم من العداوة لرسول الله
ﷺ والمؤمنين ولهذا سميت سورة التوبة بالفاضحة. ﴿قُلِ اسْتَهِزُّوا﴾
هذا تهديد ووعد لهم على نفاقهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ أي: كاشف.
﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ كشفه عنكم.

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ مازال السياق في سلوك المنافقين وقد ذكر ابن إسحاق أن جماعة منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مُخَشَّن بن حُمَيْرٍ يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل: بلى قلتهم كذا وكذا) فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فقال مخشن بن حمير: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي وكأن الذي عفى عنه في هذه الآية مخشن بن حمير فتسمي عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعلم مكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر^(١).

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج ٢ ص ٢٧٧-٢٧٨ .

﴿قُلْ أِبَالَهُ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ❀ أي: قل لهم

يا محمد نعم: كنتم تستهزئون بالله ورسوله ولا عذر لكم. ❀ لَا

تَعَذِّرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ❀ المراد أن عذرکم غير مقبول بعد

ما قلتم من الاستهزاء بالله ورسوله. ❀ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ

نُعَذِّبُ طَائِفَةً ❀ قيل: إنهم كانوا ثلاثة هزئ اثنان وضحك الثالث

فعفي عن الذي ضحك ولم يتكلم وهو مخشن بن حمير (١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المنافقين يخشون دائماً من انكشاف سلوكهم لأن من

حقائق الأشياء أن المذنب يخاف دائماً من ذنبه، ولا يزال في خوف

ورعب إلى أن يتوب أو يموت بنفاقه أو يفتضح سره. ومن الأحكام: أن

من هزل أو استهزأ بالله، أو آياته، أو رسوله فقد كفر لا فرق بين هزله

وجده. ويلزم الهزل في الطلاق والنكاح والعتاق لقول رسول الله ﷺ:

(ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة) (٢).

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا

(١) تفسير البغوي ص ٥٦٩-٥٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب في الطلاق على الهزل برقم (٢١٩٤)، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٣٢، والترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق، برقم (١١٨٤)، سنن الترمذي ج ٣ ص ٤٩٠، وابن ماجه في كتاب الطلاق، باب من طلق أو نكح أو راجع لاعبا، برقم (٢٠٣٩)، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٥٨.

اللَّهُ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ
 اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

بيان الآيتين:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: هم متماسكون
 في كفرهم. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ أي:
 يأمرون بالفسق والمعاصي، وينهون عن الإيمان. ﴿وَيَقْبِضُونَ
 أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: يبخلون ولا ينفقون في سبيل الله. ﴿نَسُوا اللَّهَ
 فَنَسِيَهمُ﴾ أي: نسوا الإيمان بالله فنسيهم من رحمته. ﴿إِنَّ
 الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: العصاة الضالون. ﴿وَعَدَ
 اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ المراد
 أن الله وعد هؤلاء بالخلود في نار جهنم جزاء نفاقهم وكفرهم. ﴿هِيَ
 حَسْبُهُمْ﴾ أي: جزاء صنيعهم. ﴿وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم من
 رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: عذاب دائم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من صفات المنافقين الإعراض عن كل ما فيه خير في أمر
 الدين والدنيا والعمل على كل ما فيه شر في أمر الدين والدنيا. كما أن
 من صفاتهم البخل والفسق والضلال.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
﴿٦١﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسِلُكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ المراد قل يا محمد لهؤلاء المنافقين
أنتم كالذين من قبلكم من الأمم الهالكة. ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً
وَكَثَرُوا أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ أي: كان لهم من القوة في المال والولد أكثر
وأعظم مما لكم. ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ أي: تمتعوا بنصيبهم من
الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾ أي: استمتعتم أنتم بخلاصكم من الدنيا.
﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ أي: كنتم مثلهم في
أفعالهم ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي: خضتم بالكفر والنفاق
مثل ما هم خاضوا في الكفر والنفاق سواء بسواء. ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ

أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١٤٩﴾ أي: خسرت أعمالهم فلم تنفعهم لا ديناً ولا دنيا. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: المفلسون في الدنيا والآخرة وكما كان هذا حظهم بسبب نفاقهم وكفرهم، فإن هذا هو نفس الحظ لكم أنتم ومن على شاكلتكم من المنافقين.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: ألم يأتهم خبر الأمم السابقة الذين هلكوا من ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وما حدث لهم من الغرق لتكذيبهم لنبیهم ﴿وَعَادٍ﴾ الذين أهلكهم الله بالريح لما كذبوا نبیهم هوداً عليه السلام. ﴿وَتَمُودَ﴾ الذين أخذتهم الرجفة أو الصيحة حين كذبوا نبیهم صالحاً عليه السلام. ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ حين نصره الله عليهم بعدما ألقوه في النار وأهلك ملكهم. ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ أي: قوم شعيب عليه السلام حين أصابتهم الرجفة حين كذبوه. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ أي: التي انقلب عاليها سافلها وهي مدن قوم لوط عليه السلام حين عصوه وارتكبوا الفواحش. ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ يَآبِئْنَ﴾ أي: جاءت كل هؤلاء رسلهم بالبراهين الدالة على شرع الله وحكمه ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: ما كان ليعاقبهم إلا بعدما جاءتهم البينات فأنكروها وعصوا الله ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: إنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم واستمرارهم عليه رغم ما جاءهم من الحجج والبراهين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير التشابه بين المنافقين رغم تباعد الزمان بينهم؛ ذلك أن للمنافقين صفة واحدة هي الكفر في بواطنهم، وإبراز الإيمان في ظواهرهم. وتشابهم في الفعل يقتضي تشابهم في العقاب، وهو الدرك الأسفل من النار. ومن الأحكام: وجوب الاعتبار بمن أهلكهم الله بسبب ظلمهم ونفاقهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (١).

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

بيان الآيتين:

لما ذكر الله عز وجل صفة المنافقين وسوء سلوكهم ذكر المؤمنين فقال عز ذكره ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ المراد أنهم يوادون بعضهم بعضاً، ويتراحمون، ويتناصرون، ويتعاونون

بينهم كما قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(١). ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: يأمرون بتوحيد الله وطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: ينهون ويحذرون من معصية الله ومعصية رسوله. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يؤدونها في أوقاتها حسب أركانها وشروطها. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: يخرجون زكاة أموالهم طاعة لله ورسوله ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: أنهم في الجملة مطيعون لله فيما أمرهم به ومنتهون عما نهاهم عنه. ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أولئك إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات، والمراد أنهم لما كانوا على هذا النحو من طاعة الله ورسوله فإن الله سيرحمهم ويكفر خطيئاتهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: عزيز في ذاته العلية يعز من أطاعه، ويذل من عصاه. ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وتصرفه في خلقه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ أي: وعدهم وعداً بأن لهم جنات. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري من تحت أشجارها. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: لهم

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٠٣.

الدوام فيها وفي مساكنها الطيبة. ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ كما قال تعالى ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾^(١). وفيها: قال رسول الله ﷺ: (عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك)^(٢). ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: أكبر من كل ذلك رضوان الله عليهم وهذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز غيره.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير صفات المؤمنين وهي الولاء لبعضهم وكونهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الصلاة في أوقاتها بأركانها وشروطها، ويزكون أموالهم طيبة بها نفوسهم. وهم في كل الأحوال مطيعون لله فيما أمرهم به فاستحقوا بذلك حسن الجزاء وهو الجنة بكل ما فيها من النعيم، وفوق ذلك رضوان الله عليهم وهذا أفضل نعم الله عليهم.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٧٢﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا

(١) سورة مريم الآية ٦١.

(٢) الكشف للزمخشري ج ٣ ص ٦٧، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ١٨٠، وأخرجه الزيلعي في تخريج الكشف ج ٢ ص ٧٩، برقم (٥٥٥).

وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا
وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا
لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

بيان الآيتين:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ قوله ﴿جَاهِدِ
الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: قاتل الكفار بالسلاح وقاتل المنافقين
بالحجة؛ ذلك أن الكفار أعلنوا عن أنفسهم بالكفر صراحة فاقتضى
ذلك أنه لا أمل في دخولهم في دين الله. أما المنافقون فظاهرهم
الإسلام وباطنهم غيره، فمقاتلتهم بالحجة أولى لعلمهم يتوبون من
نفاقهم. ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ المراد اتخاذ الشدة في الجهاد ليكون ذلك
أبلغ وأقوى. ﴿وَمَا أُوْنَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي: مآلهم النار إذا لم يتوبوا
ويتركوا كفرهم ونفاقهم. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المكان الذي
سيؤولون إليه.

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ لما كان رسول الله ﷺ في تبوك كان
القرآن ينزل عليه في شأن المتخلفين عن القتال ويوبخهم ويتوعدهم،
وكان نفر منهم يسمع مايقوله رسول الله ﷺ عنهم، ومن هؤلاء النفر
-كما سبق ذكره- الجلاس بن سويد فقال هذا ومن معه من المنافقين:

لئن كان ما يقوله محمد حقاً عن إخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمر، فقال لهم عامر بن قيس الأنصاري: أجل والله إن محمداً لصادق، وأنتم شر من الحمر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستدعى الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه إلى السماء ودعا الله أن يبين لنبيه ما حدث فنزلت الآية ﴿يَخْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا﴾ فقال الجلاس: لقد عرض الله علي التوبة، والله لقد قلته، وصدق عامر، فتاب وحسنت توبته^(١).

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ أي: إن ما قالوه كفر. ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أي: أظهروا كفرهم بعد أن كانوا مسلمين. ﴿وَهُمُومُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ المراد أن المنافقين هموا بإيذاء رسول الله ﷺ حين رجوعه من تبوك؛ فقد اتفق اثنا عشر منهم - كما سبق ذكره - على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل. فبينما كان عمار بن ياسر آخذاً بخطام ناقته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفه يسوقها إذ سمع حذيفة بصوت أخفاف الإبل وصوت السلاح فالتفت فإذا هم قوم مثلثون فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا. قال حذيفة: سماهم رسول الله ﷺ بأسمائهم فقلت: ألا نبعث إليهم فنقتلهم فقال: (أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيهم الله بالدبيلة

(١) تفسير البغوي ص ٥٧١-٥٧٢، والكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٦٩.

وهو شهاب من جهنم يجعله على نياط فؤاد أحدهم حتى تزهق نفسه^(١). وقيل: إن المراد من قوله تعالى ﴿وَهُمْ أَيْمَانُ يَمَانُ﴾ أن المنافقين هموا بقتل عامر بن قيس لما تكلم به على الجلاس. وقيل: إنهم أرادوا تتويج عبد الله بن أبي بن سلول على المدينة وإن لم يرض رسول الله ﷺ^(٢). والقول الأول أصح.

﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: إنهم كانوا قبل مقدم رسول الله ﷺ في فقر وفاقة وقد أغناهم الله بما صار لهم من الغنائم. ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ وبسبب هذه الآية تاب الجلاس. ﴿وَلِنْ يَسْتَوَلُوا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: بالقتل والخزي في الدنيا وفي الآخرة بالنار. ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: لن يكون لهم في الأرض ولي يواليهم، ولا نصير ينصرهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير آية القتال للكفار والمنافقين، ووجوب الإغلاظ في قتالهم. تقرير كفر من يرتد بعد إسلامه سواء كان ذلك قولاً أو استهزاء بالله أو تكذيباً لرسوله. وقد اختلف العلماء في توبة المنافق؛ فالإمام مالك يرى: ألا تقبل له توبة ما لم يأت تائباً من قبل نفسه لأن توبته

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٤٦٦، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٥٦، وأحمد في المسند ج ٥ ص ٤٥٣ باختصار.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٩٥.

لا تعرف فهو يظهر الإيمان ويخفي الكفر ولا يعلم إيمانه إلا بقوله فإذا عثر عليه وقال تبت لم يتغير حاله^(١). ومراد الإمام أن المنافق قد يقول تبت ولكنه لا يزال منافقاً كحاله في اظهار الإيمان وهو على خلافه؛ فلا تتحقق توبته إلا إذا أقبل طائعاً مختاراً. وعند الإمام الشافعي: تقبل توبته^(٢) ولعل هذا هو الصحيح فمن أظهر أنه تاب من نفاقه وزندقته قبل قوله مالم يظهر منه ما يخالف قوله، وأمره إلى الله فهو المحاسب على السرائر.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

بيان الآيات:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في أحد المؤمنين حيث قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فقال له رسول الله ﷺ: (قليل تؤدي شكره خير من كثير لا

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٠٨ .

(٢) قليوبي وعميرة لشهاب الدين القليوبي والشيخ عميرة ج ٤ ص ١٧٧، والجامع لأحكام القرآن

ج ٨ ص ٢٠٨ .

تطبيقه) فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً، وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل له: كثر ماله حتى لايسعه وإِ فقال: (يا ويحه). فبعث رسول الله ﷺ رجلين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومراً بالرجل فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ الذي فيه فرائض الزكاة فقال: ما هذا إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال: ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه: (يا ويحه) مرتين فنزلت الآية فجاء بالصدقة فقال: (إن الله منعني أن أقبل منك) فجعل التراب على رأسه فقال: (هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني) فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها. وجاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي الله عنه^(١).

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ أي: لنؤدي الزكاة المفروضة ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من المتقين. ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ أي: فلما أغناهم من ماله شحوا بالإنفاق منه. ﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

(١) قيل: إن المراد في هذه الآية ثعلبة بن حاطب وقد لا يكون هو المراد لأن ثعلبة شهد بدرًا وقد وعد الله أهل بدر بالأجر العظيم فلا يجوز إذاً أن يكون المقصود ثعلبة وقيل: إن المراد رجل من الأنصار وقيل: إنها نزلت في عدد من المنافقين وأياً كان اسم من نزلت فيه فلا شك أنها نزلت في رجل أو رجال عاهدوا الله ورسوله أن يتصدقوا فنكثوا عهدهم. زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٩٩ .

أي: أعرضوا عن أمر الرسول بدفع الزكاة. ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جعلهم من المنافقين بسبب ما بخلوا به. ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: إلى يوم يلقون الله. ﴿يَمَّا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي: إن الله خذلهم فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم بسبب إخلافهم لما عاهدوا الله عليه من التصديق بما يعطيهم الله، وبما كانوا يكذبون على رسول الله.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ألم يدركوا أن الله يعلم سريرتهم في النفاق ونجواهم فيه كما قالوا ماهذه إلا أخت الجزية. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ أي: العليم بما في الغيب وما يسره أو يعلنه عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الوفاء بالعهد الذي يقطعه المرء على نفسه، وكيف يكون القطع هل بالقلب أو باللفظ؟ في هذا خلاف بين العلماء فالإمامان أبوحنيفة والشافعي: يريان ان لا يلزم أحداً حكم إلا إذا تلفظ به^(١). أما الإمام مالك فيرى: أن من نوى بقلبه ولم ينطق به لسانه لزمه^(٢). ولعل الأول أصح عملاً بقول رسول الله ﷺ (إن الله

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج ٢٠ ص ٢٥٥-٢٥٦، وفتح الباري ج ٩ ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢١٠.

تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم^(١). ومن الأحكام: التنديد بالبخل وذمه. ومنها: أن من يعمل سوءاً ولا يتوب منه تتابع عليه السيئات.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

بيان الآيتين:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ اللمز العيب والمطوعين أي: المتبرعين وقد روي أن رسول الله ﷺ حث يوماً على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة آلاف وأمسكت أربعة لعيالي فقال رسول الله ﷺ: (بارك الله لك فيما أعطيت وأمسكت) وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر وقال: تركت صاعاً لعيالي فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغلط والنسيان في الطلاق، برقم (٥٢٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٣٠٠.

عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله غنيان عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه^(١). فنزل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ أي: ليس لهم إلا ما يقدرون عليه ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: يعيبونهم ويلمزونهم ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستهزئ بهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد لقاء لمزهم وسخريتهم بالمؤمنين. ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ قيل: إن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول سأل رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه لما مرض ففعل فنزلت هذه الآية فقال رسول الله ﷺ: (إن الله قد رخص لي فساؤيد على السبعين) فنزل قوله تعالى ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٢) أي: مهما كان عدد استغفارك ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: لن يتجاوز عن خطيئاتهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: أن السبب في عدم المغفرة لهم هو كفرهم بالله ورسوله. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الذين عصوا الله وضلوا عن سبيله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم لمز المؤمنين بالقول، أو الكتابة، أو الإشارة. والأصل فيه

قول الله عز وجل ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحد ص ٤٢٦-٤٢٧، والحديث أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، برقم (٤٦٦٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٨١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ١٩٩.

الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾
 ومن الأحكام: تحريم السخرية من المؤمنين كما قال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا
 نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (٢). ومنها: تقرير أن
 الاستغفار للكافر لا ينفعه لأن الكفر مانع من قبول الاستغفار له.
 وشاهده قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
 إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ
 مِنْهُ﴾ (٣). فاقضى هذا أن الاستغفار لا يجوز للكافر، وإنما
 يختص به المؤمن.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ
 يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ
 جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
 جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

بيان الآيتين:

ما زال السياق في ذم المنافقين فقد بين الله سوء سلوكهم وتخلفهم
 عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عز ذكره ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ

(١) سورة الحجرات من الآية ١١ .

(٢) سورة الحجرات من الآية ١١ .

(٣) سورة التوبة من الآية ١١٤ .

بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أي: فرحوا بقعودهم في المدينة وتناقلهم عن الجهاد ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كرهوا الجهاد مع رسول الله ﷺ ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ أي: تناجى بعضهم مع بعض، واتفقوا على ألا ينفروا لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر ففضلوا أن يقعدوا في المدينة حول ظلال البيوت وثمار النخيل فأمر الله نبيه أن يقول لهم ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ المعنى أنهم لو كانوا عقلاء لعلموا أن نار جهنم أشد حرارة وأقسى ألماً من حر الدنيا الذي تخلفوا بسببه.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في هذا تهديد ووعد شديداً لهم والمراد أنهم يضحكون في الدنيا التي هي مؤقتة وزائلة ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ أي: دائماً يوم القيامة حين يلاقون عذاب جهنم. ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء تخلفهم وإيثارهم القعود على الجهاد.

أحكام ومسائل الآيتين:

من صفات المنافقين الفرح بالإعراض عن طاعة الله وطاعة رسوله، وتفضيلهم ملذات الدنيا على ملذات الآخرة. ومن الأحكام: كراهة الإكثار من الضحك لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تكثرُوا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) (١).

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، برقم (٤١٩٣)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٠٣، والترمذي في كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٠٥)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٧٨، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٣١٠.

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَائِلِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَقِمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ ﴾ أي: إذا رذك الله إلى المدينة بعد الغزوة إلى طائفة من المنافقين قيل: إنهم كانوا اثني عشر رجلاً^(١). ﴿ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ أي: أرادوا الخروج معك إلى غزوة أخرى. ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ أي قل: لن تكونوا معي ولن تصحبوني في أي جهاد. ﴿ وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ أي: لن تكونوا في عداد المقاتلين. ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: فضلتهم الدنيا على الآخرة رغم أنه لم يكن لكم عذر فيما فعلتم فهذه سيئاتكم تجزون عليها لأن السيئة تتبع السيئة. ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَائِلِينَ ﴾ أي: اقعدوا واستكينوا مع المتخلفين عن الجهاد فكانت لهم عقوبتان: الأولى أن رسول الله ﷺ أبى صحبتهم معه، وفي هذا ألم وعذاب لهم. والثانية أن الله سوف يعاقبهم بما هو أشد في الآخرة.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا ﴾ في هذا نهى من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ألا يصلي على أحد من المنافقين. ولما مرض عبدالله ابن أبي بن سلول وقارب الموت بعث إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له فلما دخل عليه قال: (أهلك حب اليهود). فقال: يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني، وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده فأعطاه قميصه فلما مات دعاه ابنه^(١) إلى جنازته فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر: أتصلي على عدو الله؟ فنزلت الآية وقيل: إن جبريل جذبته عن الصلاة عليه وقد صلى عليه ثم انصرف ولم يمكث إلا قليلاً حتى نزلت الآية^(٢).

والسبب في أن رسول الله ﷺ أعطاه قميصه هو مكافأة له على عمل سبق أن عمله؛ ذلك أن العباس رضي الله عنه لما أسر يوم بدر لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً طويلاً فكساه عبد الله بن أبي قميصه^(٣). وقال المشركون يوم الحديبية: إنا لا نأذن لمحمد بدخول مكة ولكن نأذن لك فقال: لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فسر رسول الله ﷺ لذلك وشكره على ما قال. أما صلاة رسول الله ﷺ

(١) ابنه اسمه الحباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله وقال إن اسم الحباب اسم شيطان وكان هذا الابن صالحاً خلاقاً لأبيه. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ١٩٩، والكشاف ج ٣ ص ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾، برقم (٤٦٧٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، برقم (٣٠٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ١٦٧.

عليه فهي استجابة لسؤال ابنه، وكان هذا عبداً صالحاً. ولما قيل له عليه الصلاة والسلام: كيف تعطي قميصك لهذا وهو كافر - أي عبدالله بن أبي - قال: (إن قميصي لن يفتني عنه من الله شيئاً وإنني أؤمل في الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب) ويروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ^(١).

قوله ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إشارة إلى أن رسول الله ﷺ كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له بالثبات. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: بسبب نفاقهم ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فٰسِقُونَ﴾ أي: ماتوا على كفرهم فلم يتوبوا منه.

﴿وَلَا تُعْجِبْكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ في هذه الآية تأكيد للآية السابقة التي أرشد الله فيها رسوله ألا يعجب مما أوتي المنافقون من متع الحياة الدنيا. ولهذا التوكيد والتكرار سببان: أولهما أهمية الأمر الذي يأمر الله به رسوله أو ينهاه عنه. والثاني طول المدة الفاصلة بين الآية الأولى، والآية التي نزلت بعدها تؤكد حكمها. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ والمراد أن هذه الأموال ليست لحب الله لهم وإنما لكي يعذبهم بالهم والغم في الدنيا ثم تزهق أنفسهم وهم كافرون فينتقلون إلى العذاب في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن السيئة تتبع السيئة كما أن الحسنة تتبع الحسنة؛ فإذا استمر العبد السيئة تتابعت عليه السيئات؛ ذلك أن القلب لا يلين إلا مع طاعة الله فإذا فقد العبد هذه الطاعة حلت محلها المعصية ففسا قلبه. ومن الأحكام: تحريم الصلاة على الكافر، وهذا يقتضي تحريم غسله ووجوب دفنه مع عدم القيام عليه والدعاء له. أما الفاسق الذي لم يصل إلى درجة الكفر فيصل عليه مع كراهة ذلك^(١). ومن الأحكام: تحريم الإعجاب بالكافرين لأن الإعجاب يقتضي قبول الفعل محل الإعجاب، ولكن هذا التحريم لا يشمل ما كان حسناً من سلوكهم في أمور الدنيا كالزراعة أو الصناعة أو نحو ذلك مما هو مباح في ذاته.

وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ
يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾
لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
جَنَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٢١، قال الإمام القرطبي: «أجمع المسلمون على أنه لا يجوز ترك الصلاة على جنائز المسلمين من أهل الكباثر كانوا أو صالحين وراثة عن نبيهم ﷺ قولاً وعملاً والحمد لله». واتفق العلماء على ذلك إلا في الشهيد وإلا في أهل البدع والبلغاة.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾ المراد سورة براءة أو إحدى آياتها ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾ أي: أمرت هذه الآية بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله. ﴿أَسْتَفْذَنَكَ أَؤُلُوا الطَّوْلَ مِنْهُمْ﴾ أي: طلب منك من لهم فضل وسعة. ﴿وَقَالُوا أَذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَعْدِينَ﴾ أي: اتركنا لنكون مع الذين لهم عذر في التخلف عن الجهاد.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ المراد بهم الذين تخلفوا عن الجهاد لأعذار وهم النساء والصبيان والزماني. ﴿وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: انطبعت قلوبهم بالكفر لكونهم رضوا به. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْا﴾ أي: لا يفهمون مافيه مصلحتهم في عاقبتهم.

﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ المراد أن هؤلاء المنافقين لما قعدوا عن الجهاد لم يثن فعلهم هذا الرسول والمؤمنين، بل جاهدوا بأموالهم وأنفسهم مؤتمرين بما أمرهم الله به يرجون ثوابه فقال فيهم عز وجل ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ أي: خيرات الدنيا، وذلك بنصر الله لهم وبما كسبوه من الغنائم. ولهم كذلك خيرات الآخرة وهي نعيم الله ورضاه عنهم وقد وصفهم بقوله عز ذكره ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ هذا وعد من الله بما أعدّه لعباده الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم بأن لهم

الجنة بكل ما فيها من النعيم، وما فيها من الخلود وأن ذلك هو الفوز العظيم الذي يتطلع إليه عباد الله.

أحكام ومسائل الآيات:

جواز استئذان المأمور من الأمر لفعل شيء أو تركه. أما الاستئذان للتخلف عن الجهاد فمحرم ما لم يكن للمستأذن عذر مشروع كالمرض ونحوه. ومن الأحكام: فضل الجهاد بالمال والنفس لما فيه من إعلاء كلمة الله وشاهده قول الله عز وجل ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١) ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً﴾^(٢). ومنها: تقرير أن المنافقين الذين رضوا أن يكونوا مع المتخلفين من النساء والمرضى أصيبوا بالمرض، وهو الطبع على قلوبهم بحيث لم يفرقوا بين الحق والباطل. ومنها: تقرير أن رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين جاهدوا بالنفس والمال فلم ينتنوا عنه، ولم يعبؤوا بتخلف المنافقين، ولهذا فقد وعدهم الله ووعد عباده المؤمنين المجاهدين بأن لهم الجنة بما فيها من النعيم.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١٠) لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ

(١) سورة النساء من الآية ٩٥ .

(٢) سورة النساء من الآية ٩٦ .

عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ
لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَفْزِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المراد بهم طوائف من الأعراب
الذين يسكنون حول المدينة كغطفان وأسد، وآخرون اعتذروا بسبب
خوفهم على مواشيهم وعيالهم ولم يقل الله فيهم سوءاً، وإنما ذم
الذين قعدوا ولم يعتذروا ولم يكن لهم عذر فقال ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: لم يعتذروا فوعدهم بالعقاب بقوله ﴿سَيُصِيبُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ لما ذم الله المنافقين الذين تخلفوا عن
الجهاد بغير عذر سوى حبهم للراحة بين الأحوال التي يعذر فيها
من تخلف عن الجهاد فقال عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ وهم:
العاجزون إما لعجز في أجسامهم كضعفهم في أبدانهم أو عجز في
أموالهم. ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ وهم المصابون بأمراض أقعدتهم عن
الحركة وكانوا يتمنون أن أحوالهم كانت تساعدتهم على الجهاد وفيهم

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِرَجَالًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وادياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ) قالوا: يا رسول الله وكيف يكونوا معنا وهم في المدينة؟ قال: (حبسهم المرض)^(١). ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفَقُونَ حَرْجٌ﴾ أي: بسبب فقرهم وقلة ما في أيديهم. ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المراد أنه ليس على هؤلاء حرج في قعودهم عن الجهاد إذا قعدوا ونصحوا لله ورسوله فلم يؤذوا المؤمنين بتثبيطهم، أو بالإرجاف عليهم، أو النيل منهم بأي صورة. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: ليس على من كان سلوكه وعمله حسناً سبيلٌ لأحد وإنما السبيل على الذين ليس لهم عذر كما سيأتى.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ويرحم لمن يتوب من عباده قوله ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ هذه الآية نزلت في نفر من قبيلة مزينة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ بعدما أمر بالغزو معه فقالوا: يا رسول الله احملنا فقال: (والله لا أجد ما أحملكم عليه)^(٢). ﴿تَوَلَّوْا﴾ أي: ذهبوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ أي: ذهبوا يبكون. ﴿أَلَّا يَحْدُوثُ مَا يَنْفَقُونَ﴾ أي: حزنوا واغتموا لأنه ليس لهم مال يشترون منه ما يحملهم من مركب وقوت إلى الجهاد.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، برقم (١٩١١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٢٧٦.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدى ص ٤٣٠، وتفسير البغوي ص ٥٧٦، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٠٠.

قوله ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِزُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾
 أي: ليس السبيل على أولئك الذين لهم عذر، ولكن السبيل أي: الإثم
 والخطيئة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِزُّونَكَ﴾ في القعود ﴿وَهُمْ
 أَغْنِيَاءُ﴾ أي: قادرون على الجهاد بأنفسهم وأموالهم والمراد بهم
 المنافقون. ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أي: آثروا أن يكونوا مع
 النساء والصبيان والمرضى. ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: تحجرت
 وساءت ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: صاروا عمياً عن الحق لا يبصرونه
 فلا يميزون بين ما ينفعهم وما يضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أصحاب الأعدار الذين يجوز لهم التخلف عن الجهاد وهم:
 الضعفاء، والمرضى، وغير القادرين على النفقة. تقرير من لا يجوز لهم
 التخلف عن الجهاد، وهم الأغنياء، والأصحاء فهولاء يطبع الله على
 قلوبهم فلا يهتدون.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ
 لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
 ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا
 عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

بيان الآيات:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ المراد أنكم يا محمد وأصحابك إذا رجعتُم إلى المدينة سيأتيك المنافقون يعتذرون إليكم. ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ أي قل لهم: لا تعتذروا. ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي: إن الله أخبرنا عن سلوككم المنطوي على النفاق. ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ المراد أن ما عملتموه سيكون بيناً للناس في الدنيا وهو تخلفكم عن الجهاد مع قدرتكم عليه. ﴿ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: إن مرجعكم إلى الله. ﴿فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ستعرفون منه صحائف أعمالكم فيجازيكم عليها إن كانت خيراً أو شراً.

﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ المراد أن هؤلاء المنافقين سيخلفون لكم أيماناً يعتذرون بها لكي تعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم على تخلفهم، ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي: اتركوهم توبيخاً وتأنيباً لهم. ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: نجس وخبث. ﴿وَمَا أُولَٰئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مصيرهم إلى جهنم. ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء لهم على خبث بواطنهم وسوء سرائرهم.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِكِي تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ أي: إن هؤلاء المنافقين سوف يحلفون لكم لكي ترضوا عنهم فإن رضيتم عنهم فإن الله لا يرضى عنهم لأنه لا يرضى عن القوم الفاسقين الذين خرجوا عن طاعته وطاعة رسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المتخلفين عن الجهاد يخلقون أضراراً لهم ويحلفون لإرضاء المؤمنين. والأصل رضا الله؛ فمن سخط عليه لكفره أو فسقه فلا ينفعه رضا رسول الله، ولا رضا غيره من المؤمنين. ومن الأحكام: أن المنافقين نجس مثل المشركين.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٧) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٩)

بيان الآيات:

لما بين الله حال المنافقين وسوء سلوكهم بين حال من كانوا خارج المدينة من البادية فقال ﴿الْأَعْرَابُ﴾ المراد بهم أهل البادية ممن

لا يسكنون المدن. ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ أي: بسبب جفائهم ونشأتهم في البوادي كانوا أكثر كفراً ونفاقاً من أهل المدن. ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ المراد أنهم أكثر جهلاً بأمور الدين، وما أمر الله به من الأحكام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم بأحوال أهل الحواضر والبوادي بما يستحقه محسنهم ومسيئهم. ﴿حَكِيمٌ﴾ في تصرفه فيهم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ المراد أن من الأعراب من يرى أن ما ينفقه في الجهاد أو في الزكاة أو في غير ذلك من أعمال الخير إنما هو غرامة وخسارة ولا يرجو معه ثواباً من الله. ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بَكُمْ الدَّوَائِرُ﴾ أي: ينتظر دوائر الزمان عليكم لتضعفوا ثم ينقلب عليكم فيمتنع عن أداء الزكاة. وقد فعل ذلك بعضهم لما توفي رسول الله ﷺ؛ فامتنع عن أداء الزكاة فقاتلهم أبوبكر رضي الله عنه وقال قولته الشهيرة: والله لو منعوني عقلاً - أو قال عناقاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه (١). ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ هذا دعاء عليهم بأن تدور الدوائر السيئة عليهم بسبب تربصهم بالمؤمنين. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: يسمع ما يقولونه إذا قيل لهم ادفعوا الزكاة. ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم (٧٢٨٤-٧٢٨٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٢٦٤.

ولما ذكر الله حال بعض الجفاة من البادية بين أنهم ليسوا
كلهم على هذا النحو بل منهم صالحون فقال عز ذكره. ﴿وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: بصدق قيل: إن
المراد بنو مقرن من قبيلة مزينة^(١) الذين بكوا وحزنوا بسبب فقرهم
وحين لم يجدوا عند رسول الله ﷺ ما يحملهم إليه لأجل الجهاد
﴿وَيَتَّخِذُوا مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: يقرب بما ينفقه في
الجهاد أو في الزكاة إلى الله. ﴿وَصَلَّوْا الرَّسُولَ﴾ أي: دعاءه
واستغفاره لهم. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ أي: تقربهم من رحمة الله،
وكان عليه الصلاة والسلام إذا جاء أهل الصدقة بصدقاتهم دعا
لهم ومن ذلك قوله (اللهم صل على آل أبي أوفى)^(٢). ﴿سَيَدْخِلُهُمُ
اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: سوف يتقبل صدقاتهم ويرحمهم ويجازيهم
بالحسنى على ما تصدقوا به. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: يغفر
للمخلصين والمتصدقين من عباده. ﴿رَحِيمٌ﴾ بمن يرحم المحتاج
من خلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

لما ذكر الله كفر الأعراب ونفاقهم قيل: إن في ذلك دلالة على نقص

(١) تفسير البغوي ص ٥٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، برقم (١٤٩٧)،
صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٤٢٣.

الكمال لهم فقل: لا تجوز إذا شهادة أحدهم على أهل الحضر. وخالف في ذلك الإمام أبوحنيفة فقال: تجوز لأن المسلمين كلهم عدول (١) كما أجاز هذه الشهادة الإمام الشافعي واشترط أن يكون الشاهد عدلاً (٢). كما قيل: بعدم جواز إمامتهم لأهل الحضر لكونهم يجهلون السنة وبعدهم عن الجمع والجماعة (٣).

قلت: والمراد والله أعلم أن المقصود بمن وصفهم الله هم من كانوا على تلك الحالة التي وصفها، وهي بعدهم عن الجماعة وجهلهم بالأحكام. أما إذا تحولوا عن تلك الحال إلى حال أحسن منها فلا شك أنهم مثل غيرهم من أهل الحضر سواء في عدالتهم أو معرفتهم بالأحكام حسب حالهم؛ ولذلك ذكر الله أن منهم من كان صالحاً فيقترب إلى الله يرجو ثوابه.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠)

بيان الآية:

يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين في الإسلام ممن هاجروا

(١) المغني ج ١٤ ص ١٤٩، وعون المعبود ج ١٠ ص ٨، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٣٢.

(٢) المغني ج ١٤ ص ١٤٩، وعون المعبود ج ١٠ ص ٨، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٣٢.

مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي مقدمتهم أبوبكر رضي الله عنه. ويخبر كذلك عن رضاه عن الأنصار الذي آووه ونصروه وجاهدوا معه. قوله ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ قيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين. أما الأنصار فهم السبعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى وهم كذلك السبعون أهل العقبة الثانية^(١). ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: رضي الله كذلك عن الذين اتبعوهم بإحسان في أقوالهم وأفعالهم، وأساس ذلك الإيمان الخالص بالله واتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، وتصديق رسوله. ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: رضي عن أفعالهم. ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لما أنعم به عليهم من نعمه وفضله عليهم في الدنيا والآخرة. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ هذا وصف لما أعد لهم بعد رضائه عنهم. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ المراد إقامتهم الدائمة. ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الفوز الذي ما بعده فوز وهو رضا الله عنهم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير فضيلة السبق والمسارة إلى العمل الصالح، ووعد الله

(١) الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٨٥، وقد ذكر ابن هشام أنهم كانوا اثني عشر رجلاً في العقبة الأولى، السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨١-٩٥.

بأنه يرضى عن المسارعين إلى نصره دينه ونصرة رسوله، وأنه قد أعد لهم الجنة. وفيها: تقرير أن هذا الفضل يشمل من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

بيان الآيتين:

ما زال السياق في إظهار المنافقين وكشف أسرارهم وأنهم يخفون على رسول الله ﷺ رغم فطنته فقال الله عز ذكره ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ قيل: المراد بهم بعض قبائل العرب ممن كانوا حول المدينة كما يخبر تعالى أن في داخل المدينة كذلك منافقين بقوله ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ المراد بهم أولئك الذين صار لهم خبرة ومهارة في النفاق بحيث يخفون حقيقتهم فلا يستطيع أحد أن يكتشفهم. ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بيان من الله لرسوله أنه رغم فطنته ومعرفته لا يقدر على معرفتهم لمهارتهم في النفاق. ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي: نحن أعلم بسرائرهم وخفائهم.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ قيل: المراد به القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. وقيل: عذابهم في المرة الأولى الفضيحة في الدنيا أما عذابهم في المرة الثانية فهو عذاب القبر^(١). ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ المراد به عذاب النار.

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ لما ذكر الله حال الذين تخلفوا عن الجهاد عن قصد وأنهم تمردوا في النفاق، ذكر حال الذين تخلفوا عنه كسلاً وتهاوناً مع إيمانهم بوجوبه فقال جل ذكره ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أقروا بخطيئتهم في تهاونهم في الجهاد وقيل: إنها نزلت في أبي لبابة الأنصاري وجماعة معه كانوا عشرة فلما نزلت الآيات في شأن المنافقين المتخلفين ربطوا أنفسهم في سواري المسجد، وحلفوا ألا يحلها إلا رسول الله ﷺ. فلما رجع رسول الله دخل المسجد فصلى فرآهم مربوطين فسأل عنهم فذكروا له أنهم أقسموا ألا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال: (وأنا أقسم ألا أحلهم حتى أؤمر فيهم) فنزلت هذه الآية فأطلقهم^(٢).

﴿خَاطَوْا عَمَلًا صَالِحًا﴾ المراد به إيمانهم وما كان لهم من سابق

(١) تفسير البغوي ص ٥٧٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٠٣.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٣١-٤٣٢، وتفسير البغوي ص ٥٧٩-٥٨٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٠٣.

الجهاد مع ندمهم وتوبتهم واعترافهم بذنبهم. ﴿وَأَخْرَجَ سَيِّئًا﴾ أي: بتخلفهم عن الجهاد في غزوة تبوك ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إعلام من الله بأنه تاب عليهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفور للتائبين من عباده رحيم بهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه لا يعلم السرائر إلا الله عز وجل. تقرير أن الاعتراف بالذنوب فضيلة ومدعاة لغفران الله بعد التوبة منه. ومن الأحكام: أن من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً حري بأن الله يغفر له، ويتجاوز عن سيئ عمله بفضل صالحه.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

بيان الآيتين:

لما تاب الله على أبي لبابة ومن معه وحل رسول الله ﷺ وثاقهم قالوا يارسول الله: هذه أموالنا التي خلفتنا عن الجهاد معك فتصدق بها عنا فقال عليه الصلاة والسلام: (ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً)

فنزلت هذه الآية ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾^(١) هذا أمر لرسول الله ﷺ أن يأخذ من أموال هؤلاء المتخلفين صدقة قيل: إنها الزكاة المفروضة^(٢) وقيل: إن هذا خاص بهم حيث أخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وليس هذا من الزكاة^(٣) ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ أي: تنقيهم من ذنوبهم. ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ أي: تزكيهم بدعائك لهم كما سبق ذكره بأنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو لمن يأتي بصدقته. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم. ﴿إِنَّ صَلَوَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ أي: إن دعائك بركة ورحمة لهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سميع لإقرارهم بذنبهم واعترافهم بخطيئتهم في عدم الخروج؛ عليم بما فعلوا من دفع الصدقة وقلوبهم مطمئنة بالإيمان وتوبتهم إلى الله.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قيل: إن المتخلفين عن الجهاد ممن لم يتوبوا قالوا عن الذين تاب الله عليهم: ما بال هؤلاء كانوا معنا لا يكلمهم ولا يجالسهم أحد واليوم صار لهم ميزة علينا فقال الله رداً عليهم ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ وقوله ﴿هُوَ﴾ تقرير وتوكيد أنه هو الذي يقبل التوبة وليس أحد غيره. ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ أي: أنه هو الذي

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٣٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٠٤.

(٢) زاد المسير ص ٦٠٤.

(٣) زاد المسير ص ٦٠٤.

يأخذها ويجزي عليها وليست الصدقة لرسوله، وإنما هو واسطة لأخذها وفي هذا دليل على استمرار دفع الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ بوصفها ركناً من أركان الإسلام، وليست مربوطة بحياته كما جهل ذلك المانعون لها.

وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (إن الله يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيريها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره أو فُلُوهُ أو فصيله حتى إن اللقمة تصير مثل أحد)^(١). وقال عليه الصلاة وأزكى السلام: (من يتصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يريها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلُوهُ حتى تكون مثل الجبل)^(٢). ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هذا من صفاته العلية أنه يقبل من عباده التوبة ويتوب عليهم .

أحكام ومسائل الآيتين:

لما قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة أوحى ظاهر الحكم أن يكون هذا خاصاً به في حياته؛ فلهذا تعلق بهذا الفهم الذين منعوا الزكاة لما توفي رسول الله ﷺ وقالوا: إنه كان يعوضنا عن الزكاة التي ندفعها بالتطهير والتزكية والصلاة علينا، وهذا فقدناه من

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٤٧١، والترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، برقم (٦٦٢)، سنن الترمذي ج ٣ ص ٥٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، برقم (١٤١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٣٢٦ .

غيره وقد أشكل أمرهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أشار على أبي بكر بقبول الصلاة منهم وترك الزكاة حتى يتعهد الأمر ويظهر أمر الله ويسكن الخلاف؛ فلم يكن ذلك مقبولا من أبي بكر فقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق^(١). ومن الأحكام: أن من تاب من ذنوبه عليه أن يعقب ذلك بأعمال الخير.

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرُ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا أمر الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين تابوا وأخلصوا توبتهم وللعموم: اعملوا فإن عملكم لا يخفى على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين. ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: سوف

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ، برقم (٧٢٨٤-٧٢٨٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٢٦٤.

ترجعون إلى الله الذي يعلم الغيب ولا تخفى عليه خافية ﴿فَيُنِشْكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف تجدون ما عملتم في صحائفكم.

﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ هم: كعب بن مالك وهلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع وقيل: ابن ربيعي العمري هؤلاء الثلاثة - كما سيأتي - قعدوا عن الجهاد من ضمن آخرين في غزوة تبوك لا كفراً ونفاقاً وإنما تهاوناً وتغليباً للراحة فقسم منهم ربطوا أنفسهم في سواري مسجد رسول الله ﷺ كما ذكر عما فعل أبولبابة حتى نزلت توبتهم. وهؤلاء الثلاثة لم يفعلوا ذلك فارجت توبتهم. ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا تِوبٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أنهم تحت مشيئته فإن شاء عذبهم جزاء تخلفهم وإن شاء عفى عنهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: يعلم من هو مستحق للعقوبة، ومن هو مستحق للعفو وهو حكيم في تدبيره وتصرفه في خلقه جلّت قدرته وتقدست أسماؤه.

أحكام ومسائل الآيتين:

يجب على العبد إذا تاب من ذنبه أن يستمر في عمل الصالحات كالبر والصدقة وبذل المعروف وكف الأذى. كما يجب عليه أن يجعل رجاءه في الله وخشيته منه، وأن يعرف أنه تحت مشيئته.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ

أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا
لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾

بيان الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية إنه كان بالمدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبوعامر الراهب وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وله شرف في الخزرج، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة اجتمع المسلمون عليه، ولما أظهر الله رسوله يوم بدر شرق المذكور بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فاراً إلى كفار مكة يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب. ولما كان عام أحد وكان من أمر المسلمين ماكان وحفر هذا الفاسق حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب ذلك اليوم وجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر هذا في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول: والله

لقد أصاب قومي بعدي شر. وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً فنالت هذه الدعوة. وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه وأمرهم أن يتخذوا لهم معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك. وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله). فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبين المدينة إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل يخبره عن مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر، والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم

مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه إلى المدينة^(١).

قوله ﴿ضَرَارًا﴾ المراد به الإضرار أي: ضراراً بالمسجد. أما المسجد فليس له ضرار ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: يراد بالمسجد النفاق وليس المراد به وجه الله. ﴿وَتَقَرِّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: المراد منه التفريق بين المؤمنين الذين كانوا مجتمعين في مسجد قباء. ﴿وَارْصَادًا﴾ أي: جعلوه مرصداً. ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو أبوعامر الراهب حيث بنوه وهيئوه ليصلي فيه بعدما يعود إلى المدينة مستنجداً بهرقل كما كان يعد أتباعه من المنافقين ﴿وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ المراد به قولهم ما أردنا به إلا الحسنى كما قالوا أنهم ما بنوه إلا لأجل الضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: يعلم أنهم كاذبون فيما قالوه وإنما كان مبتغاهم النفاق والتربص لما وعدهم به المنافق أبو عامر الراهب.

﴿لَا نَقْمُ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: لا تُصلِّ يا محمد في هذا المسجد أنت ومن معك من المؤمنين؛ وكان عليه الصلاة والسلام لا يمر بالطريق التي فيها المسجد بل أمر بموضعه أن يتخذ مزبلة ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٧٠-٣٧١، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ١٩-٢٤.

عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴿١﴾ أي: أن المسجد الذي أسست قواعده وجدره وكل بنائه من أجل عبادة الله وطاعته من أول يوم أسس فيه ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ أي: تصلي وتعبد الله فيه. وقيل: المراد به مسجد قباء فإنه من أول يوم بُني أسس على التقوى. وقيل: إن المراد هو مسجد رسول الله ﷺ ولعل القول الأول أصح حيث إن الآية نزلت في مسجد الضرار، وهو المسجد الذي بني بجانب مسجد قباء^(١).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ في هذا ثناء من الله على أهل قباء في طهارتهم من النجاسة وقد قال لهم رسول الله ﷺ: (يا أهل قباء إن الله سبحانه قد أحسن الثناء عليكم في التطهر فما تصنعون؟) فقالوا: إنا نغسل أثر الغائط والبول بالماء^(٢). ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ أي: يحب الذين يحسنون طهارتهم فيتنزهون عن الأدران والنجاسات.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بهدم كل مسجد بني للضرار، وتفريق المسلمين، وكل صلاة فيه تعد باطلة. وهذا الحكم يقتضي ألا تصلى جماعتان في مسجد واحد، ولا بإمامين منفصلين هذا إذا كان على سبيل الاعتياد.

(١) تفسير البغوي ص ٥٨٢-٥٨٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٠٦.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٩٤٢٣)، ج ١٠ ص ١٩٤، وأبو داود مختصراً في كتاب الطهارة، باب في الاستنجاء، برقم (٤٤) سنن أبي داود ج ١ ص ٢١، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٧١.

أما إذا فاتت الصلاة قوماً بعد أن جاؤوا إلى المسجد للصلاة فيه فلا حرج عليهم في اجتماعهم جماعة يؤمهم أحدهم. ومن الأحكام: تقرير فضل التطهر من النجاسات والأدران كما قال تعالى ﴿وَيَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١). وللطهارة أنواع كثيرة: منها طهارة البدن، وطهارة اللباس، وطهارة المكان الذي تقام فيه الصلاة، هذا بالنسبة للطهارة المادية. أما الطهارة الروحية فهي تطهير النفس من الرذائل بجميع صفاتها، ومن ذلك الكذب والنفاق والغش ونحو ذلك مما يتنافى مع أوامر الله، وأوامر رسوله ونواهيها.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنَ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

بيان الآيتين:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنَ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ المراد أن من أسس دينه على تقوى الله وطاقته مخلصاً فيه كحال الذين أسسوا مسجد قباء خير من الذين أسسوا دينهم على قاعدة ضعيفة مثل شفا جرف ضعيف

القوة كحال الذين أسسوا مسجد الضرار. ﴿فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: كان مصيرهم النار بسبب انهيار قاعدة دينهم التي هي النفاق والعمل الباطل. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين جاءتهم البراهين فكفروا فهم في بعد عن هداية الله لهم.

﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا﴾ أي: مسجد الضرار ﴿رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: شكاً ونفاقاً ازدادوا معه نفاقاً وكفراً لما هدمه رسول الله ﷺ. ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: لا تزال هذه الريبة والنفاق في قلوبهم إلا إذا قطعت إما بقتلهم أو بموتهم. أو يكون المراد أن تقطع قلوبهم مجازاً بعد توبتهم أسفاً وندماً على ما فعلوا من النفاق والضرار ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بسرائر هؤلاء المنافقين حكيم فيما يفعله بهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الذي يؤسس دينه على تقوى الله هو المؤمن الصادق، وهو في كل الأحوال خير من الذي يؤسس دينه على النفاق والكفر كحال أصحاب مسجد الضرار. ومن الأحكام: أن الظلمة الذين يستمرئون الظلم والنفاق يضلهم الله ويبعدهم عن هدايته. ومنها: أن المنافق يكون دائماً في شك وحيرة وريب من سوء فعله حتى يهلكه الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ

لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنِلُونَ وَيُقْنِلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَكِنُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ هذه الآية نزلت في بيعة العقبة الكبرى؛ وذلك حين اجتمع إلى رسول الله ﷺ سبعون رجلاً من الأنصار عند العقبة فقال عبدالله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال عليه الصلاة والسلام: (أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني بما تمنعون به أنفسكم وأموالكم) قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: (الجنة) قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية^(١). وهي وإن نزلت في أصحاب العقبة الكبرى فهي عامة في المجاهدين في كل زمان ومكان.

قوله ﴿يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يجاهدون في سبيله.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٣٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٣٥، وتفسير البغوي ص ٥٨٢-٥٨٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٠٧.

﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ المراد أن الجنة للذين يقاتلون في سبيل الله سواء قتلوا أو قُتلوا فهم في هذه المنزلة سواء. ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ هذا بيان من الله عن وعده الجنة للمقاتلين في سبيله، وقد فرضه على نفسه في الكتب التي نزلها على رسله وهي التوراة والإنجيل والقرآن وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة) (١). ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى بالعهد من الله ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بَاعْتُمْ بِهِ﴾ أي: أبشروا ببيعكم الذي بايعتم به رسول الله ﷺ على نصرته ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وهو النعيم الذي يحظى فيه المبايعون برضاء الله.

﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ﴾ ولأهل التأويل في هذه الآية قولان: القول الأول: أن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ آية مستقلة يقع تحت هذه المبايعة كل من قاتل في سبيل الله وإن لم يتصف بالصفات التي ذكرها الله في قوله ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ﴾ القول الثاني: أن هذه الأوصاف

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ برقم (٧٤٥٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤٥٠.

التي ذكرها عز وجل في هذه الآية جاءت على معنى الشرط؛ فالآيتان إحداهما مكملة للأخرى ولعل الأصح - والله أعلم - ما قاله الزجاج إن قول الله ﴿التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ﴾ رفع بالابتداء وخبره مضمرة أي: إن للتائبين العابدين الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا إذا لم يكن منهم قصد إلى ترك الجهاد لأن بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد وقد اختار هذا القول أيضاً القشيري^(١).

قوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي: الذين تابوا مما نهى الله عنه من سائر المعاصي. ﴿الْعَبْدُونَ﴾ هم: الذين يداومون على عبادة الله وطاعته. ﴿الْحَمِيدُونَ﴾ أي: الذين يحمدون الله فيما ينالهم من السراء والضراء ﴿السَّائِحُونَ﴾ هم الصائمون والمجاهدون في سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)^(٢). ﴿الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ﴾ أي: الذين يداومون على ركوعهم وسجودهم في صلاتهم. ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: الذين يأمرون بعبادة الله وطاعته وينهون عن معاصيه لا تأخذهم في ذلك لومة لائم. ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ المراد بهم الذين يقومون طواعية على حفظ حدود الله فيحلون ما أحله ويحرمون ما حرمه قوله

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٧١.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة (٢٤٨٦)، سنن أبي داود ج ٢

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بشر يا محمد المؤمنين الذين آمنوا بالله وحكموا شرعه وصدقوا رسوله واتبعوه ونصروه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير شراء الله لأرواح المؤمنين وأموالهم وقد تعهد في هذا الشراء بأن لهم الجنة إذا قاتلوا في سبيله سواء قتلوا أو قُتلوا. ومن الأحكام: أن هذا الشراء وعد من الله أنزله في كتبه المنزلة، وليس هناك من هو أوفى منه عز وجل بوعده. ومنها: وجوب اتصاف المسلم بالصفات التسع التي ذكرها عز وجل في الآية؛ فهي في مجملها وتفصيلاتها أسس الدين وجماعها حفظ أوامر الله وحدوده. وفيها: تقرير البشرى للمؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفات.

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣)
 وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

بيان الآيتين:

لما حضرت عم رسول الله ﷺ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أمية بن المغيرة فقال عليه الصلاة والسلام: (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله) فقال

أبوجهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: إنه على ملة عبدالمطلب وامتنع أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل هذه الآية ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾^(١) وأنزل في أبي طالب قوله عز وجل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢).

وروى سليمان بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة زار قبر أمه آمنة بالأبواء فجلس إليه وجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله: إنا رأينا ما صنعت قال: (سألت ربي أن يأذن لي في زيارة قبر أمي فأذن لي فسألته أن يأذن لي فأستغفر لها فأبى) فما رأيي باكياً أكثر من يومئذ^(٣). ﴿ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ أي: ما كان للنبي ولا للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أهلهم، أو ذوي قربي لهم ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ أي: بعد أن يتبين لهم أنهم ماتوا على الشرك والضلال.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٣٥-٤٣٦.

(٢) تفسير البغوي ص ٩٨٤، والآية في سورة القصص من الآية ٥٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٣٥٩، بدون ذكر (فما رأيي باكياً أكثر من يومئذ)، وذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٧ ص ٤٢.

﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ ﴿كان بعض المؤمنين من الصحابة يستغفر لمن مات من أبويه على الشرك ويحتجون بأن نبي الله إبراهيم استغفر لأبيه وهو عابد للأوثان فأنزل الله هذه الآية﴾ ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ ﴿أي: لا حجة لكم أيها المستغفرون لأبائكم المشركين باستغفار إبراهيم لأبيه لأنه وعده أن يستغفر له وأصله قوله تعالى﴾ ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ﴿١﴾. ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ ﴿فلما مات على الشرك تبرأ منه فلم يستغفر له وقيل: إن أباه هو الذي وعده إن استغفر له آمن فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله بموته على الكفر ترك الدعاء له﴾ ﴿٢﴾. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ ﴿أي: كثير الدعاء إلى الله﴾ ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿أي: إن صفته الحلم ورد الغضب وترك الجدل.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن من مات مشركاً بالله يحرم الاستغفار له لأن أي عمل يعمله المشرك بنفسه يعد باطلاً، وهذا يقتضي أن أي عمل له من غيره يعد باطلاً من باب أولى. الحكم أيضاً بوجوب الوفاء بالعهد فإن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه قبل أن يعلم عن حاله فلما علم تبرأ من الاستغفار له.

(١) سورة مريم من الآية ٤٧ .

(٢) زاد المسير ص ٦٠٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٤١ .

﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١١٦)

بيان الآيتين:

﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ الآية. المراد أن من حكمة الله وعدله ألا يضل أحداً؛ فما كان عز وجل ليضل أقواماً بعد هداهم حتى يبين لهم ما يجب عليهم من التقوى فإذا تركوا ما يجب عليهم استحقوا الاضلال عقوبة لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: لا يضل إلا من يستحق الاضلال لأنه يعلم سرائر عبادته. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: له كل ما في السموات والأرض يتصرف فيه فيهدي من يشاء من عبادته ويضل من يشاء منهم، ويحييهم ويميتهم وذلك بعلمه وحكمته فهو أعلم بهم ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ليس لأحد ولي ولا نصير إذا تولى الله عن ولايته ونصره.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من عدل الله وحكمته أن يبين لعباده طريق الهدى وطريق الضلال. تقرير أنه لا يضل أحداً إلا إذا بين له ما يجب

عليه. ومن الأحكام: أنه ليس للعبد ولي يواليه أو نصير يناصره من دون الله، فافتضى هذا وجوب موالة الله وذلك بتوحيده وطاعته واجتناب معاصيه.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾.

بيان الآيات:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ المراد بالتوبة على النبي كانت من أجل إذنه للمنافقين في القعود عن غزوة تبوك كما قال تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ (١). والتوبة على المهاجرين والأنصار قيل: إنها التوبة من ميل بعضهم إلى التخلف عن الغزوة. ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ المراد به خروجهم

إلى الغزوة في وقت كان شديد الحرارة، وصعوبة الزاد، وقلة الماء. وفي هذا قال عمر رضي الله عنه لما سئل عن ساعة العسرة: خرجنا في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا تنقطع من العطش، وحتى إن الرجل لينحر بعيه فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقي على كبده فقال أبو بكر: يارسول الله إن الله قد عَوَّدَكَ في الدعاء خيراً فادع لنا قال: (أحب ذلك؟) قال: نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكبت فملؤوا مامعهم ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر^(١).

كما روى أبوهريرة وأبوسعيد قالا: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأصاب الناس مجاعة وقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا) فجاء عمر فقال: يارسول الله إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة فقال: (نعم) قال: فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة قال: ويجيء الآخر بكف تمر قال: ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال: (خذوا في أوعيتكم) قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٧٨-

ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه قال: وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: (أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة) (١).

قوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ المراد من بعدما هم بعضهم بالتخلف عن دعوة رسول الله ﷺ لهم بالغزو لتبوك. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: هداهم للتوبة مما فعلوا فتابوا. ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: إن من صفاته العلية الرأفة بعباده ورحمتهم.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا ثلاث طوائف: طائفة لم تقبل توبتهم، وطائفة اعتذرت فقبل عذرهم - كما مر ذكره - وطائفة أرجئ الحكم فيهم حتى نزل فيهم القرآن وهم - كما سبق ذكره - ثلاثة كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي.

وقد روى عبد الله بن كعب أنه سمع أباه كعب بن مالك وكان قائده حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك؟ قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم (٢٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٥٤٩-٥٥٠.

غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يُعاتب أحداً تخلف عنه. إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قريش. حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. وكان من خبري، حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة. والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد. واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد. والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد بذلك الديوان). قال كعب: فَقَلَّ رجل يريد أن يتغيب، يظن أن ذلك سيخفى له، مالم ينزل فيه وحي من الله عز وجل. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر^(١). فتجهز رسول الله والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم. فأرجع ولم أقض شيئاً وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك، إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه. ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً. فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى أسرعوا

وتفارط الغزو. فهممت أن أرتحل فأدركهم. فياليتني فعلت ثم لم يُقدَّر ذلك لي. فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً فقال وهو جالس في القوم بـ«تبوك»: (ما فعل كعب بن مالك؟) قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه برداه والنظر في عطفه. فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت. والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ. فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ: (كن أبا خيثمة)، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري. وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.

فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرنى بئى فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي. فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، زاح عني الباطل. حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه. وصبح رسول الله ﷺ قادماً. وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين. ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له. وكانوا بضعة وثمانين رجلاً. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكّل

سرائرهم إلى الله. حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: (ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر. ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخبك عليّ. ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبي الله والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: (أما هذا، فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك). فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي. قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالوا: مثل ما قلت، فقيل لهما: مثل ما قيل لك قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا، فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه.

قال: فاجتنبنا الناس وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم. فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد. وأتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام، أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر. فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني. حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي - فسلمت عليه. فوالله ما رد علي السلام. فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أنني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت. فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار.

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة. يقول: من يدل على كعب بن مالك. قال: فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان. وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد. قد بلغنا أن

صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء. فتيامت بها التنور فسجرتها بها. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني. فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها. قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحقى بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم. فهل تكره أن أخدمه؟ قال: (لا. ولكن لا يقربنك) فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان. إلى يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: قلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ. وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ، إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب. قال: فلبثت بذلك عشر ليال. فكمل لنا خمسون ليلة من حين نُهي عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا. فبينما أنا جالس على الحالة التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب

ابن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج.
 قال: فأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا، حين صلى
 صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون،
 وركض رجل إلي فرسا. وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل،
 فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته
 يبشرنني، فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك
 غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول
 الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ويقولون:
 لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ
 جالس في المسجد، وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول
 حتى صافحني وهنأني والله، ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال:
 فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال، وهو يبرق وجهه
 من السرور ويقول: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) قال:
 فقلت: أמן عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: (لا، بل من عند
 الله) وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه، كأن وجهه قطعة
 قمر. قال: وكنا نعرف ذلك.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن
 أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ:

(أمسك بعض مالك، فهو خير لك) قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بـ«خير». قال: وقلت: يا رسول الله! إن الله إنما أنجاني بالصدق. وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به. والله! ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١). ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ (٢) حتى بلغ ﴿بَيَّأَتْهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣).

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا. إن الله قال للذين كذبوا حين

(١) سورة التوبة الآية ١١٧ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١١٨ .

(٣) سورة التوبة الآية ١١٩ .

أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ وَقَالَ اللَّهُ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جزاءً بما كانوا يكسبون ﴿١﴾. ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢﴾، ﴿٣﴾.

قال كعب: كنا خُلُفنا، أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم. وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله عز وجل ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خُلُفنا تخلُفنا عن الغزو. وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمّن حلف له، واعتذر إليه فقبل منه ﴿٤﴾.

(١) سورة التوبة الآية ٩٥.

(٢) سورة التوبة الآية ٩٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١١ ص ٦٩٠٠-٦٩٠٧، كتاب التوبة، حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم (٢٧٦٩).

(٤) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٤٥٤، كتاب الوصايا، باب إذا تصدق أو وقف بعض رقيقه، برقم (٢٧٥٧)، وفي الجهاد وفي المناقب وفي المغازي وفي التفسير وفي الاستئذان وفي الأحكام وفي النذور والأيمان، وأطراف الحديث في الأحاديث (٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٠٨٨، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٤١٨، ٤٦٧٣، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٦٩٠، ٧٢٢٥؛ مطولاً ومختصراً، وأبو داود ج ٢ ص ٢٦٢، كتاب الطلاق، باب فيما عني به الطلاق والنيات برقم (٢٢٠٢)، والنسائي ج ٦ ص ١٥٢-١٥٣، كتاب الطلاق، باب الحقي بأهلك، برقم (٣٤٢٢)، وفي الكبرى ج ١ ص ٢٦٦، كتاب المساجد، باب الرخصة في الجلوس فيه والخروج منه بغير صلاة، برقم (٨١٠).

قلت: لقد تم نقل هذا الحديث بكامله لما فيه من العبر الكثيرة.
ومنها: وجوب طاعة رسول الله ﷺ وعدم الإعراض عن أوامره.
ومنها: وجوب طاعة ولي الأمر فيما يأمر به من طاعة الله كالجهاد.
ومنها: تقرير رحمة الله بعباده وتجاوزه عن سيئاتهم وخطيئاتهم
إذا تابوا إليه واستغفروه.

قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ هذا مجاز
والمراد أن الأرض على سعتها ضاقت عليهم لما عانوه من وحدتهم
ووحشتهم لأن الناس لا يكلمونهم ولا يعاملونهم. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: ساءت نفوسهم بما أصابهم من الهم والحزن والكآبة
وهم ينتظرون ما ينزل من السماء مما يكون فيه عدم قبول توبتهم.
﴿وَضَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ أي: أيقنوا أنه لا ملأذ يلونون
به ولا ملأذ يلجون إليه إلا الله فتوجهوا إليه يرجونه قبول توبتهم
فتاب عليهم بقوله عز ذكره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ أي: هداهم للتوبة مما فعلوا فتابوا وهو التواب على
من تاب من عباده الرحيم بهم من العذاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بعد أن ذكر الله جل ذكره
توبته على هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة
تبوك، وما حدث لهم من الهم والغم طيلة خمسين يوماً التجؤوا فيها

إلى الله حتى فرج عنهم بسبب صبرهم وصدقهم معه ومع رسول الله ﷺ كما قال كعب بن مالك: والله ما كان لي عذر وما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت. بعد هذا أمر الله عباده أن يتقوه ويصدقوا في أقوالهم وأفعالهم. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه يجوز لولي الأمر اتخاذ الأدب بحق شخص أو أشخاص لما يرى في ذلك من المصلحة كما فعل رسول الله ﷺ مع كعب بن مالك وأصحابه. ومن الأحكام: تقرير ما حدث للمؤمنين في غزوة تبوك وقد سميت غزوة العسرة لما حصل فيها من الضيق والشدة. وقد ثبت الله المؤمنين فصبروا على ما أصابهم وأنزل عليهم السكينة. ومنها: تقرير فضل رسول الله ﷺ حيث دعا الله فاستجاب له فأنزل المطر في ساحة الجيش كما استجاب لدعائه فأنزل البركة في طعام المؤمنين. ومنها: تقرير فضل كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وذلك

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٦٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٣٦-٦٦٣٧.

بسبب صدقهم في توبتهم. ومنها: وجوب الصدق في القول والعمل، وتحريم الكذب سواء كان هزلاً أو جداً.

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ لما كان أهل المدينة ومن حولهم من البادية كجهينة وأسلم وغفار وأشجع هم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ من حيث المكان أمرهم الله بالاستجابة له إذا دعاهم للنفير. والمعنى أنه ليس لهم أن يتخلفوا عنه إذا دعاهم، وهذا أمر يقتضي في معناه التكليف وإن كان ظاهره الخبر ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: ليس لهم أن يخلدوا إلى الراحة بينما هو في الشدة يجاهد من أجل دين الله، وفي هذا تعريض بالذين فضلوا القعود في المدينة بسبب فصل الصيف

الذي حصل فيه الغزو ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ أي: عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: مجاعة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طريقهم إلى الجهاد. ﴿وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ أي: لا يطئون أرضاً من أجل إعزاز دين الله وإغاظة الكفار. ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾ أي: وما يصيبون به العدو من قتل أو جراح. ﴿إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ أي: كتب الله لهم بكل خطوة عمل صالح ينفعهم في آخرتهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ تقرير وتوكيد من الله لكون ما عمله المؤمنون في سبيله محفوظاً لهم يجدونه عنده يوم القيامة. ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي: ما ينفقونه من أموالهم في الجهاد من نفقة قليلة أو كثيرة - كما فعل عثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة - إلا كتب لهم ذلك. ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: في ذهابهم للجهاد أو إيابهم منه. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي: ادخر الله لهم به عمل صالح. ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ليجزيهم على أعمالهم تلك جزاء أحسن أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن على المسلم أن يؤثر رسول الله ﷺ على نفسه، وهذا يقتضى الدفاع عنه في حياته وعن سنته في مماته. وعلى المسلم أن يعادي من يعاديه ويبغض من يبغضه فإن قصر في ذلك حسب

استطاعته أثم إثماً كبيراً.

قلت: وفي هذا الزمان الذي كثر فيه العداء للإسلام والاستهزاء برسول الله ﷺ في بعض وسائل الإعلام يجب على المسلمين الدفاع عنه بما يقدرون عليه، وهذا الواجب لا يقتصر على بعضهم بل هو واجب عليهم كلهم تعبر عنه دولهم وحكوماتهم ومنظماتهم؛ فإن قصروا في ذلك أثموا إثماً عظيماً.

ومن الأحكام: أن كل خطوة يخطوها المجاهد في سبيل الله يكتب له عمل صالح ينفعه يوم القيامة.

﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢)

بيان الآية:

﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ أي: ما كان للمؤمنين أن ينفروا كلهم للجهاد؛ ذلك أنهم لو نفروا كلهم لفقدوا كثيراً من المصالح التي تهمهم في دينهم ودنياهم؛ فاقترضى هذا أن الجهاد فرض كفاية ويرتب الخروج له ولي الأمر. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ المراد أن ينفر طائفة -أي: جماعة- من قبيلة أو بلد إلى الجهاد. قوله ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ المراد أن من يقعد بعد الذين خرجوا للجهاد عليه أن يتفقه في الدين لكي ينذر قومه إذا رجع إليهم

فيحذرهم من الشرك ويعلمهم أحكام دين الله، وبهذا تتوازن المصالح جماعات يخرجون للقتال في سبيل الله، وجماعات يتفقهون في دين الله؛ فيتحقق للمسلمين نصر في القتال، ونصر في محاربة الجهل.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بالتساوي بين الجهاد والعلم من حيث المنزلة والفضل. التقرير بأن حاجة الأمة إلى العلم لا تنفك عن حاجتها للجهاد، وهذا يقتضي شرف طلب العلم. والأصل فيه قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، وقوله ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وكذا قول رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)^(٣)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)^(٤).

(١) سورة فاطر من الآية ٢٨ .

(٢) سورة الزمر من الآية ٩ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٢٤)، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٨١ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، برقم (٣٦٤١)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٣١٣، وابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٢٣)، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٨١، وأحمد في المسند ج ٥ ص ١٩٦ .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾

بيان الآية:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ والمؤمنين وتعليمهم لمراحل الجهاد ليكون البدء بمقاتلة الأقرب فالأقرب من الكفار كما قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١). ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب؛ ففتح الله له مكة والطائف وخيبر وهجر وأطراف الجزيرة. ثم توجه لقتال الروم في الشام إلى أن توفاه الله فأكمل المسيرة بعده خلفاؤه البررة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم ومن سار على نهجهم ممن لا تستهويه شهوة الملك والحكم؛ كما جرى من ملوك الطوائف الذين انكفؤوا على أنفسهم مخلدين لله والراحة حتى فرطوا في الممالك التي فتحها الفاتحون المؤمنون. قوله ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي: يجب أن يجدوا فيكم بأساً وقوة. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ في هذا بلاغ من الله جل وعلا أنه مع المتقين يؤيدهم بتأييده، وينصرهم بنصره، ويعزهم بعزه، ويظهرهم على غيرهم. وقد وعد بذلك وكان وعده الحق فقد أنزل الملائكة يجاهدون مع رسول الله ﷺ والمؤمنين فكانت العاقبة للمتقين.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الجهاد واجب لنشر دين الله، وأن هذا الوجوب مستمر إلى أن يسود دين الله في كل الأرض وأنه لا مناص للأمة من هذا الوجوب كما قال عز وجل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١). ومن الأحكام: أن يكون البدء بالقتال مع الكفار الأقربين من بلاد المسلمين. ومنها: وعد الله بالنصر للمؤمنين.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٤٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٤٥﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٤٧)

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ﴾ أي: إذا ما أنزلت سورة من كتاب الله يتحدث المنافقون بعضهم إلى بعض فيقول ﴿أَيُّكُمْ

زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴿١﴾ ومرادهم من ذلك الاستهزاء بالمؤمنين الذين يزدادون فرحاً وإيماناً بنزول آية أو سورة من كتاب الله. وقد رد الله عليهم بقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: زادتهم يقيناً وثباتاً على إيمانهم قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءُوهُ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ (١). قوله ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون بمنة الله وفضله عليهم أن هداهم للإيمان. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: إن الذين داخلهم الشك والريب والنفاق والكفر ﴿فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ أي: زادهم نزول السورة نفاقاً إلى نفاقهم وكفراً إلى كفرهم. ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كَفِرُوا﴾ وهذا كان أسوأ عاقبة لهم في مماتهم على الكفر والعياذ بالله.

﴿أُولَٰئِكَ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ المراد أفلا يتدبرون ويعلمون أنهم يختبرون في العام مرة أو مرتين بالأمراض والآلام أو بالسنين والشدة والقحط. ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم وكفرهم. ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيما سيكون لهم في عاقبة أمرهم من العذاب.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ مازال السياق في المنافقين وسلوكهم وما في قلوبهم من المرض، والمراد أنهم حينما يسمعون القرآن ويعرفون ما أخبر الله عن سرائرهم وخفاياهم ينظر

بعضهم إلى بعض نظر التعجب. ﴿هَلْ يَرَبُّكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: لما تكلمتم في الرسول وأصحابه بينكم هل سمعكم أحد فنقل له كلامكم وهم بهذا لا يدركون أن الله يكشفهم لرسوله كما قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١).
أو يكون المراد أنهم يضيقون عند سماع القرآن فينظر بعضهم إلى بعض علامة لتركهم سماع القرآن. ﴿هَلْ يَرَبُّكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: من المسلمين ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: صرفها وأمالها عن الحق بسبب كفرهم ونفاقهم. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: بسبب أنهم قوم لا يفقهون ما فيه نفعهم وضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن إيمان المؤمن يزداد باستمراره في طاعته لله وتركه لمناهيه. كما أن كفر الكافر يزداد بمعاصيه وعدم توبته منها فيموت على كفره والعياذ بالله. ومن الأحكام: أن على العباد أن يتفكروا فيما يصيبهم من المآسي والمصائب، وأن أشر العباد من تنزل به النوازل والفتن ولا يتفكر في أمره ولا يتوب عن أفعاله التي كانت سبباً فيما أصابه. ومنها: تقرير سلوك المنافقين ومحاولتهم التخفي وستر نفاقهم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قد يكون المراد
بالخطاب العرب لأن رسول الله ﷺ من العرب لقوله من أنفسكم
وقد يكون المراد بالخطاب البشر لأن رسول الله ﷺ من آدم أرسله
الله إلى الناس كافة كما قال تعالى ﴿قُلْ يَتَايَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١). ولعل القول الأول هو الأصح. وقوله
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢). ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾
أي: يعز ويصعب عليه ما يشق عليكم وما يعنتكم ﴿حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ﴾ أي: يحرص على طاعتكم لله وطاعتكم له لما في ذلك من
الخير لكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بالمؤمنين كافة ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾
أي: شفيق عليكم رحيم بكم يحب لكم خير الدنيا والآخرة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان بك وعن اتباعك والمخاطب
هنا رسول الله ﷺ. ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: هو الكافي والمعين

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

والمعز لك ولن تضرك معصيتهم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا رب ولا إله في الوجود إلا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فوضت أمري إليه كما قال عز وجل ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^(١).
 ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي: هو رب العرش العظيم لأنه أعظم المخلوقات ولا أعظم منه إلا الذي خلقه، وهو الله وفي حديث بريدة أن رسول الله ﷺ قال: (من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً خمس للدنيا وخمس للآخرة حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله لما أهتمني حسبي الله لمن بغى علي حسبي الله لمن حسدني حسبي الله لمن كادني بسوء حسبي الله عند الموت حسبي الله عند المساءلة في القبر حسبي الله عند الميزان حسبي الله عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب)^(٢).

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الله على العرب، وعلى البشر كافة بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ. ومن الأحكام: تقرير كريم قيمه، وحسن أخلاقه، وكمال آدابه، وحرصه على أمته، وخوفه عليهم. ومنها وجوب توكل العباد على الله لأن من توكل عليه كفاه أمر الدنيا وأمر الآخرة. ومن الأحكام: تقرير عظمة عرش الله عز وجل.

(١) سورة المزمل الآية ٩.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج ٢ ص ١٥٥، برقم (٣٥٥٨)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٠٣، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢١٧.

سورة يونس

سورة يونس

مكية وآياتها تسع ومائة آية

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مِثْنُ ﴿٢﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ أي: ما تضمنته هذه السورة هي آيات من كتاب الله الحكيم والحكيم صفة للكتاب. ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ إنكار على من عجب ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ وهذا الإنكار على الذين عجبوا من إرسال رجل منهم، وهو إشارة إلى أن المشركين لما بُعِثَ رسول الله ﷺ نبياً ورسولاً قالوا: إن الله أعظم من أن يكون له رسول من البشر كما قالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب، فنزل قول الله أكان للمشركين أو أهل مكة أن يعجبوا من إرسال محمد إليهم^(١). ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ أي: أنذرهم عما سوف يحيق بهم من العذاب إذا لم يوحدوا الله ويخلصوا في عبادته. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بلغهم أن لهم ﴿قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٤١، والكشاف للزمخشري ج ٣ ص ١١٣.

رَبِّهِمْ ﴿١٠﴾ أي: أن لهم حسنى البقاء والسعادة في الدار الآخرة ﴿١١﴾ قَالَ
الْكَافِرُونَ ﴿١٢﴾ المراد بهم الذين كذبوا رسول الله ﷺ وعجبوا من
إرساله إليهم ﴿١٣﴾ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ فعلى هذه القراءة يقصدون
محمدًا ﷺ وهم يعلمون أنه ليس كما يقولون وإنما يخدعون أنفسهم
وأتباعهم بهذا الكذب وعلى قراءة (إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) يقولون: إن
هذا الكتاب الذي جاء به محمد يتلوه علينا هو سحر مبين.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن القرآن كتاب الله الذي أنزله على نبيه ورسوله محمد
ﷺ أنزله الله علماً وحكمة وهدى للعالمين. ومن الأحكام: الإنكار على
من يعجب من إرسال نبي أو رسول من البشر. ومنها: الحكم بأن
للمؤمنين قدم صدق عند ربهم وهي الحسنى والسعادة في الدارين
الدنيا والآخرة. ومنها: بيان أن أهل الكفر لا يترددون في قول الباطل
والكذب، واتهام الأنبياء والمؤمنين بشتى التهم والأباطيل.

﴿١٥﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ
اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا

يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ
مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا
إخبار وتوكيد من الله عز ذكره أنه هو ربنا الذي خلق السموات،
وما فيها، وخلق الأرض وما فيها، وأن خلقهما كان في ستة أيام.
قيل: هي الأيام المعتادة وقيل: إن اليوم كألف سنة كما قال عز وجل
﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١). ﴿ثُمَّ
أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق بعظمته على العرش وهو أعظم
مخلوقاته ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يصرفه بقدره هو من غير شريك
له فيه كما قال عز وجل ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ (٢). قوله ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: لا يشفع
عنده أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا إذا أذن له كما قال عز وجل
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٣). وقوله عز ذكره

(١) سورة الحج من الآية ٤٧ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٣ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ^(١) ﴿ذَلِكَ مِمَّا يَتَذَكَّرُ﴾
 اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴿أَيُّ هَذَا هُوَ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَوْحْدَهُ وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَهُ
 نِدًّا وَلَا شَرِيكًا. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ المراد أيها المشركون ألا تعقلون
 وتعرفون أن ربكم الذي خلقكم هو الذي يستحق العبادة وحده.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾
 أي: سوف ترجعون إليه يوم القيامة لأنه وعد بذلك ووعدته الحق
 كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ
 عَلَيْهِ﴾ ^(٢) وقوله ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ^(٣).
 ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ أي: يجازيهم بالعدل
 فلا يبخسهم أعمالهم. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾
 أي: يسقون في النار ماءً شديد الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد
 ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ في هذا إخبار من الله تعالى
 أنه هو الذي جعل الشمس ضياء يستضيء بها خلقه أثناء طلبهم
 لمعاشهم وسير حياتهم، وأنه هو الذي جعل القمر نوراً يستنير به خلقه

(١) سورة سبأ من الآية ٢٣ .

(٢) سورة الروم من الآية ٢٧ .

(٣) سورة لقمان من الآية ٢٨ .

في مسارهم في ليلهم، وجعل للقمر منازل معلومة لكي يعرف العباد عدد سنواتهم وشهورهم وأيامهم. وكل ما خلقه الله من هذه الأجرام السماوية قام على نظام محكم كما قال عز وجل ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (١). ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٢).

قوله ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ المراد أن الله لما خلق هذه المخلوقات لم يخلقها عبثاً فحاشاه من ذلك، بل خلقها لحكمة وسيّرها لحكمة ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يبين ويوضح الآيات والبراهين للذين يعلمون أن الله ما خلق الخلق إلا لحكمة، وأنه المعبود ولا يعبد بحق إلا هو.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: في تواليهما وتعاقبهما على الدوام كما قال تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (٣). ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات التي تدل على عظمته وقدرته وحكمته ﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ أي: فيها الدلالات والبراهين للذين يتقون ربهم فيوحدونه ولا يشركون معه أحداً.

(١) سورة يس الآية ٣٩ .

(٢) سورة يس الآية ٤٠ .

(٣) سورة الزمر من الآية ٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتقرير ربوبية الله وألوهيته، وأنه لا رب إلا هو ولا إله إلا هو. تقرير خلق السموات والأرض في أيام معلومة. تقرير البعث والحساب. ومن الأحكام: الأمر بعبادة الله وحده، وهذا الأمر يقتضي حكماً التكليف. ومنها: تقرير حكمة الله في خلق الشمس والقمر والكواكب في عمومها. ومنها: وجوب التفكير في آيات الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ المراد بهم الذين كفروا بالله ورسوله فلا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً بسبب الكفر الذي أصمهم وأعمى أبصارهم وطبع على قلوبهم ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: جعلوا الحياة الدنيا مطلبهم ومغنمهم وعوضهم عن الآخرة ﴿وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ أي: تلتذذوا بها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

ءَايَاتِنَا غَفْلُونَ ﴿١﴾ أي: ساهون عما أنزلناه لهم من الآيات والبيانات ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ يِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢﴾ أي: أن النار هي المثوى والمأوى للذين لا يرجون لقاء الله واطمأنوا للحياة الدنيا وهي كذلك للذين غفلوا عن آيات الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المراد بهم الذين آمنوا حقاً وصدقاً ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ ﴿٣﴾ أي: بسبب أعمالهم الصالحة زادهم ربهم هدى فكان هذا الهدى سبباً لدخولهم الجنة. ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ ﴿٤﴾ أي: تجري الأنهار تحت منازلهم ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٥﴾

﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ ﴿٦﴾ لما ذكر الله ما للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الجنات بين عز وجل أن دعاءهم فيها التسبيح بقولهم سبحانك اللهم ثم قال ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ﴿٧﴾ قيل: هي تحية الله لهم. وقيل: تحية الملائكة لهم. وقيل: تحية بعضهم لبعض (١) كما قال عز وجل ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ ﴿٨﴾. وقوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿٩﴾. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿١٠﴾. قوله ﴿وَعَاظِرُ

(١) زاد المسير ص ٦١٧-٦١٨، وتفسير البغوي ص ٥٩٥-٥٩٦.

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٤٤.

(٣) سورة الرعد من الآية ٢٣.

(٤) سورة الرعد من الآية ٢٤.

دَعَوَتْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ أي: أن آخر دعواتهم حمدهم وشكرهم لله على ما أنعم وتفضل به عليهم من نعمه، وأولها رضاه عنهم ودخولهم الجنة وتجليه لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من خسارة العبد نسيانه الآخرة ولهوه في الحياة الدنيا. ومن خسارته أيضاً غفلته عن التفكير في آيات الله وهذا يقتضي وجوب التفكير في هذه الآيات. ومن الأحكام: أن الإيمان وعمل الصالحات هو الطريق إلى الجنة.

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

بيان الآيتين:

يخبر تعالى أنه لو يعجل العقوبة للناس كحال استعجالهم الخير لهلكوا كما فعل أبو جهل ومن معه من المشركين في دعوتهم على أنفسهم حين قالوا ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ

عَلَيْنَا حِكَاةٌ مِّنَ السَّمَاءِ ﴿١﴾. فلو استجاب الله دعوتهم لهلكوا. وقيل: إن الآية نزلت في الرجل يدعو على نفسه أو ماله أو ولده في حال غضبه فلو استجاب الله له لقصي أجله ﴿٢﴾ والمراد أن الله سبحانه وتعالى حلیم على عباده لا يستجيب لهم حال غضبهم لأنه لو استجاب لهم لهلكوا ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: نتركهم فلا نعجل لهم العقوبة لأنهم ربما يرجعون إلى أنفسهم فيتوبون. قوله ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: حائرون غير مهتدين.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ يخبر تعالى عن حال الإنسان وسلوكه خاصة الكافر إذا أصابه مرض أو مصيبة ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي: دعا الله وهو على فراشه من شدة المرض أو كان في حال قعوده أو قيامه. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ أي: لما شفيناه ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ أي: استمر على كفره أو جحوده كأنه لم يكن قد دعانا لكشف ضره ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: زين الشيطان لهؤلاء سوء عملهم فيدعون الله عند الشدة ثم ينسونه في حال الرخاء كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلَاكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣﴾.

(١) زاد المسير ص ٦١٨، والآية في سورة الأنفال الآية ٣٢.

(٢) تفسير البغوي ص ٥٩٦، وزاد المسير ص ٦١٨.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٥.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير رحمة الله لعباده ورأفته بهم، وأنه لا يعجل لهم العقاب بل يرجئهم لعلهم يتوبون إليه فيتوب عليهم. ومن المسائل: تقرير سوء سلوك الإنسان الكافر؛ فإذا مسه الضر تضرع إلى الله أن يكشف عنه ضره ويزيل بأسه، فإذا استجاب له أنكر نعمة ربه عليه وعاد إلى معصيته.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِفِرْعَوْنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَنْتَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ * الخطاب لأهل

مكة وللمشركين والكافرين عموماً يبين الله تعالى فيه أنه سبق أن أهلك الأمم البائدة لما أشركوا به وكفروا به. ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ تبين لهم طريق الهدى وتدعوهم إليه وكذلك تبين طريق الضلال وتحذرهم منه ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: رغم ما جاءهم من البينات أصروا على كفرهم. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: إن هذا الهلاك الذي حصل لهم كان جزاء أعمالهم كما قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١). قوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: خلقناكم من بعد هلاك الأمم البائدة. ﴿لِنَنْظُرَ﴾ أي لنختبركم ونرى ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فإما أن تهتدوا وحينئذ تنجوا من الهلاك أو تصروا على الكفر فتكون حالكم مثل حالهم.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ المراد بهم أهل مكة حال شركهم إذا تلا عليهم رسول الله ﷺ القرآن بما فيه من البشارة والندارة لم يعجبهم ذلك فقالوا ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ يعني أن مرادهم من ذلك إتيانهم بقرآن غير ما تلاه عليهم أو تبديله بما يوافق أهواءهم كإقرار أوثانهم وأصنامهم

ومعاملاتهم. ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ أي: قل لهم يا محمد: لا أستطيع أن أبدل أو أغير في كلام الله. ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: لا أتبع إلا ما تلوته عليكم لأنني مأمور بإبلاغه لكم بعد ما أوحى إلي به. ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي: إن بدلته أو غيرته أخاف ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يصيبني يوم القيامة.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ أي: لو أراد الله ما أرسلني إليكم ولا تلوت عليكم هذا الكتاب ولا دريتم به؛ فأرسالي إليكم وتلاوتي للكتاب الذي أنزل إلي هو بمشيئة الله وإرادته ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: لبثت فيكم عمراً لم أتل عليكم شيئاً فقد كنت لا أقرأ ولا أكتب وإنما كنت أميناً صادقاً مع نفسي ومعكم والمراد بقوله ﴿عُمُرًا﴾ أي: سنوات عمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: ألا تتفكرون وتعرفون بعقولكم أن هذا الذي أتلوه عليكم هو كتاب من الله، وليس من عندي ولا من عند غيري من الخلق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وعيد الله بالعذاب لأهل الشرك والضلال المعاندين لرسول الله ﷺ والمكذابين بنبوته ورسالته. تقرير سنة الله في إهلاك المجرمين بعد إمهالهم. ومن الأحكام: تقرير أن أهل الشرك والضلال

ينازعون في القرآن، ويريدون تبديله تبعاً لأهوائهم، وقد تعهد الله عز وجل بحفظ كتابه كما قال جل ذكره ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ١٨ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله أو بدّل أو غيّر أو حرّف في كلامه. ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ ﴾ أي: جحد ما أنزله، والمراد أنكم أيها المشركون ستكونون أظلم الخلق كلهم إذ كذبتكم كتاب الله وما بيّنه لكم من الآيات الدالة على توحيده وطاعته وإخلاص العبادة له. ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: لن تفلحوا أيها المشركون إذا كذبتكم بكتاب الله ولن يكون أحد أظلم منكم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ المراد بذلك المشركون يعبدون أصناماً من الحجارة لا تنفعهم ولا تضرهم ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: يزعمون أنها تشفع لهم عند الله من ذنوبهم وخطيئاتهم وهذا غاية الحماقة والجهل؛ فأنى لهذه الأصنام الصماء التي لا تنفع ولا تضر أن تشفع عند الله ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ المراد أنتم أيها المشركون الجهلة تخبرون الله أن له شريكاً في ملكه أو شافعياً بغير إذنه والله يعلم أن ليس له شريك لأنه الواحد الأحد. ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه عن الشريك فهو أجل وأعظم من أن يكون له شريك في ملكه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه ليس أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب بتبديل كلامه أو تحريفه. كما أنه ليس أحد أظلم ممن يكذب بكلامه، أو يتنقص منه، أو يستهزئ به أو نحو ذلك من الأقوال أو الأفعال المنافية لقدسيته وشرفه. ومن الأحكام: تكذيب ادعاء المشركين بأن أصنامهم تشفع لهم عند الله.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ أي: ما كان الناس إلا أمة على دين واحد لا يعرفون الشرك منذ عهد آدم إلى زمن نوح، ثم حدث فيهم الشرك فبعث الله إليهم الرسل ليحذروهم منه فيكون عقابهم بعد قيام الحجة عليهم كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١). قوله ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ المراد أن حكمة الله اقتضت تأجيل الحكم بينهم في الدنيا لأنها مرحلة عبور، أما الفصل بينهم فيكون يوم القيامة فيجزى المحسن على إحسانه، والعاصي على عصيانه.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ المراد أهل مكة قالوا: لماذا لا يأتي لنا محمد بآية نراها بأعيننا كما في قول الله تعالى عنهم ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٢). ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٣). ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

(١) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٠ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٩١ .

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالَهُ الْوَالِمَتِكُمْ فَبَلَا^(١) ﴿١﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ^(٢) ﴿٢﴾ ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد: إن نزول الآيات هو من غيب الله ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ أي: تربصوا إني معكم من المنتظرين أي: انتظروا ما يقضي الله بيننا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الشرك لم يحدث إلا من قوم نوح، وكان هذا هو السبب في اختلاف الناس بعد أن كانوا على التوحيد. ومن الأحكام: تقرير حكمة الله أن أهل الشرك والضلال يعيشون إلى أن تنتهي آجالهم. ومنها: تقرير أن نزول الآيات التي طلبها المشركون هو من غيب الله، وأن عليهم انتظار قضاء الله بينهم وبين رسوله وقد حدث هذا حين أهلك الله رؤساءهم في معركة بدر.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١١﴾﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبَقَ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

(١) سورة الإسراء الآية ٩٢.

(٢) سورة الإسراء من الآية ٩٣.

وَضَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

ما زال السياق في سلوك المشركين في مكة وتكذيبهم لرسول الله ﷺ. ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ﴾ أي: إذا رحمانهم فأغنيانهم بعد الفقر وبدلنا شدتهم رخاء وجذبهم خصباً ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَانَا﴾ أي: إنكار وجود ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي قل لهم يا محمد: الله أسرع في العقوبة لكم جزاء مكرهم وجحودكم لنعم الله ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْفُرُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾ أي: إن الحفظة عليكم يكتبون عليكم ما تقولون وما تفعلون كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١). ﴿كَرَامًا كَنِينٍ﴾ (٢). ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣).

﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرًا﴾ ما زال السياق في إقامة الحجة على المشركين والمراد أن الله هو

(١) سورة الانفطار الآية ١٠.

(٢) سورة الانفطار الآية ١١.

(٣) سورة الانفطار الآية ١٢.

الذي يسيركم في البر أي: على الدواب كما قال تعالى ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لَتَرَكُّبُوهَا﴾^(١). ويسيركم في البحر على السفن وأنتم
آمنون. ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: جرت
في سيرها في البحر والريح مناسبة لجريانها. ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ أي:
استبشروا بذلك لما فيه من الأمان لهم. ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾
أي: ريح شديدة. ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: أحاط بها
الموج من جوانبها وارتفع إلى ظهرها. ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾
أي: تيقنوا أنهم معرضون لخطر الغرق ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ﴾ أي: وحدوا الله وأخلصوا له الدعاء ونسوا ما كانوا يعبدون
من الأصنام. ﴿لَئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكِرِينَ﴾
أي: لئن أنجيتنا من هذه الكارثة المحيطة بنا لنشكرن لك ونعبدنك
وحدك لا شريك لك.

﴿فَلَمَّا أَنجَيْنَاهُمْ﴾ أي: أنقذهم مما هم فيه من الفزع والخوف
﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: يفسدون في الأرض
وينشرون المعاصي والظلم والطغيان، وهذا دليل على فسادهم فلم
يقابلوا إحسان الله لهم بالطاعة بل نكثوا ما وعدوا به من إخلاص
الدين لله ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: إن سوء بغيكم

(١) سورة النحل من الآية ٨.

دائماً يعود عليكم فالله غني عنكم وعن طاعتكم ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: ليس لكم إلا متاع الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: سترجعون إلينا بعد موتكم. ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف نخبركم بأعمالكم التي أحصيت عليكم فتجزون عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكافرين يمكرون بآيات الله أي: يجحدونها ويكفرون بها، ولكن الله أسرع في عقوبتهم جزاء مكرهم. ومن الأحكام: تقرير فساد المشركين والكفار؛ فهم يلجؤون إلى الله عندما تنزل بهم مصيبة في البر أو البحر، وإذا نجاهم عادوا إلى طغيانهم وفجورهم. ومنها: تقرير أن من بغى وظلم يرتد بغيه وظلمه إليه. ومنها: تقرير البعث والجزاء على العمل في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَرَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَتْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)

بيان الآيتين:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ في هذا تشبيه الحياة الدنيا في توقيتها ونهايتها بالماء الذي أنزل من السماء ﴿فَاخْطَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي: امتزج بالنبات الذي وصفه الله بقوله ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ أي: ما يأكلون من الثمار ومن نبات الأرض وما تأكله الأنعام من الكلاء ونحوه. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: إذا بدا في الأرض جمالها من جراء النبات الذي اختلطت ألوانه. ﴿وَأَزْيِنَتْ﴾ أي: ازدهرت ونضرت بما فيها من الحبوب والثمار والأزهار ومختلف النبات. ﴿وَوَضَعَتْ أَهْلَهَا﴾ أي: تيقن أهلها أنها جاهزة للحصاد والاستغلال والانتفاع منها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ أي: جاءها أمرنا بهلاكها في الليل أو النهار. ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: محصودة مجتثة من أصلها. ﴿كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ أي: كأنها لم تكن قائمة مزدهرة. ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبينها. ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ أي: يتدبرون في أمر الله وحكمته وتصريفه لخلقه.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ لما ضرب الله مثلاً للحياة الدنيا وأنها فانية زائلة حث عباده على العمل من أجل الدار الباقية التي لا تفنى فقال عز ذكره ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: يدعوكم إلى العمل من أجل الجنة التي هي دار سلام وأمن وخلود. ﴿وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠﴾ أي: يوفق برحمته ولطفه من يشاء من عباده الذين استجابوا لدعوته لهم وصدقوا رسوله وما جاءهم به من البينات فيدخلهم دار السلام.

وفي هذا روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: (رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ومكائيل عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً فقال له اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك: إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل مما فيها) ^(١) ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الحياة الدنيا مجرد وقت سرعان ما ينتهي، وأن على العباد أن يعملوا للحياة الآخرة ولا يغتروا بالحياة الدنيا. ومن الأحكام: أن الله عز وجل فصل الآيات لعباده وأن عليهم أن يتفكروا

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده، برقم (٢٨٦٠)، سنن الترمذي ج ٥ ص ١٣٤، والبخاري بلفظ قريب منه في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم (٧٢٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٢٦٣.

فيها. ومنها: أنه عز وجل دعا عباده إلى العمل من أجل الجنة لكونها دار بقاء وأمن ونعيم.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ۖ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيْلَانَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبِينُنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ﴾ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣٠)

بيان الآيات:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ المراد أن المحسن في عمله يجزى بالحسنى، ويجزى زيادة على الحسنى كما قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (١). وهذه الزيادة تفضل من الله على من أحسن من عباده فيجازه أكثر من جزائه. وفي حديث صهيب أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك

وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل^(١).

﴿وَلَا يَرَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ أي: لا يغشى وجوههم غبار كما قال عز وجل عن وجوه أهل الكفر ﴿تَرَهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾^(٢). ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ أي: لا يغشى وجوههم ذل أو هوان. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذا بيان وتوكيد أنّ الذين أحسنوا الحسنى هم أصحاب الجنة الذين يخلدون فيها.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ لما ذكر الله عز وجل أهل الحسنى وما يستحقونه من الفضل والإحسان ذكر حال أهل السيئات أي: الذين عصوا وأوامر الله وارتكبوا محارمه وما يستحقونه. قوله ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾ أي: يجازيهم كل سيئة بمثلها فلا يزيدهم عليها وهذا من رحمته بهم، فلم يزد في عذابهم بل جعل السيئة بمثلها. ﴿وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تغشاهم الذلة والهوان. ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِمٍ﴾ أي: لا أحد يعصمهم من عذاب الله لا ولي ولا شفيع. ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا﴾ أي: كأنما كسيت وجوههم أجزاء من

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، برقم (١٨١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٩٩٦.

(٢) سورة عبس الآية ٤١.

الليل المظلم من السواد. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذا بيان أن الذين كسبوا السيئات هم أصحاب النار الذين يخلدون فيها. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: يوم نحشر جميع الخلائق ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: الذين كانوا يجعلون شركاء لله ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ﴾ أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم في مكان لوحدكم بعيداً من المؤمنين. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرقنا ما كان بينهم وبين شركائهم من العلاقة والمودة. ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: تبرؤوا منهم وقالوا: إنما كنتم تعبدون الشياطين الذين أضلوكم وأغووكم عن عبادة الله فأطعتموهم.

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ المراد يقول الذين عبدتهم المشركون من الملائكة أو الأصنام وغيرها: الله يشهد وكفى به شهيداً بيننا أننا لم نأمركم بعبادتنا أو أنا رضىنا بفعلكم. ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ أي: إننا كنا غافلين عن عبادتكم لنا ولا نعلم عنها.

﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في يوم القيامة. ﴿تَبْلُؤُا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي: تمتحن كل نفس ما عملت من خير وشر وتجزى عليه كما قال عز وجل ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١). وقوله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (٢). ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ

(١) سورة القيامة الآية ١٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٣ .

الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١١﴾. قوله ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: ردت الأمور يوم القيامة إلى الله الحق ليقضي فيها بالقسط فيجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بسيئاته. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: زال وبطل عن المشركين والكافرين ما كانوا يفترونه من الكذب على الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ من كسب حسنة كانت له العاقبة في زيادة حسناته وأمن من أهوال يوم القيامة، ومن كسب سيئة جازاه الله بمثلها دون زيادة؛ وهذا من رحمته وفضله على عباده. ومن مسائل الآيات بيان أن من عبد من دون الله من الأصنام وغيرها يتبرأ يوم القيامة ممن عبده. ومنها: أن كل نفس تمتحن يوم القيامة بما عملته في الحياة الدنيا من الخير أو الشر.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ في هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يحاج المشركين فيقول لهم ﴿ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: من هو الذي ينزل المطر من السماء، وينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب وسائر الثمرات.

﴿ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ أي: من خلق السمع لتسمعوا به والبصر لتبصروا به. ﴿ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ أي: المؤمن من الكافر ﴿ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ أي: الكافر من المؤمن ﴿ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ أي: يقضي به بين عباده ويقدره بينهم. ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ أي: يقرون بربوبيته وأنه الخالق والرازق والمدبر ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المراد أنكم إذا كنتم تقرون بربوبية الله لكم فلماذا تشركون معه غيره أفلا تخشون أن يعاقبكم في الدنيا والآخرة؟

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ﴾ أي: هذا الذي يخلق ويدبر هذه الأمور التي اعترفتم بقدرته عليها هو ربكم الحق الذي لا رب غيره ولا إله غيره ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ أي: فما بعد هذا الحق الذي بان لكم إلا الضلال. ﴿ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ ﴾ أي: كيف تصرفون أفهامكم عن الهدى إلى الضلال، وعن الحق إلى الباطل، وعن السعادة إلى الشقاوة. ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: حكم بحكمه وقضائه. ﴿ عَلَى

الَّذِينَ فَسَقُوا ﴿٢٤﴾ أي: على أهل المعاصي الذين كذبوا وكذبوا. ﴿٢٥﴾ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ أي: خارجون عن طاعة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنَّ المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لإخبار الله عنهم بقوله عز وجل ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، ولكنهم كانوا يشركون في توحيد الألوهية فلم يك ينفعهم إيمانهم. ومن الأحكام: أن الله عز وجل هو الحق، وأن على العباد أن يوحده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن لم يفعل فهو ضال لا محالة. ومنها: أن من كذب بالحق يصبح هذا التكذيب أساساً في سلوكه فيكون من الضالين الذين لا يهتدون بهدي الله لعباده.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٣٤) ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلَكُمُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

بيان الآيات:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ المراد قل يا محمد لهؤلاء المشركين

﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ أي: أصنامكم ممن تعبدون من دون الله
 ﴿مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: هل منهم من يخلق خلقاً كالإنسان
 والحيوان ثم يعيده ميتاً ثم يحييه؛ وهذا على وجه التعجيز والتوبيخ
 لهم وسوف يجيبون أنهم لا يستطيعون ذلك لأنه من المستحيل
 عليهم وعندئذٍ ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: هو الفاعل
 لذلك وحده ولا أحد غيره يستطيعه ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: تتركون
 الحق إلى الباطل.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ أي: هل من أصنامكم
 ومن تعبدونهم من يدل الضال على الحق والعاصي على الطاعة
 فسيقولون لا، لأن ذلك مستحيل عليهم وحينئذٍ قل لهم ﴿قُلِ اللَّهُ
 يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ ثم قل لهم وأنت توبخهم وتؤنبهم ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى
 الْحَقِّ﴾ أي: يدل ويرشد إليه وهو الله عز وجل ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ
 أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ أي: هو الأحق بالاتباع من الأصنام التي
 لا تدل أحداً ولا ترشده، بل هي أحجار وأخشاب صم فلا يعبدها إلا
 الذين غشاهم الجهل وانطبعت قلوبهم بالكفر.

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: إن أكثر هؤلاء المشركين وخاصة
 رؤساءهم يعبدون هذه الأصنام جهلاً وضلالاً في زعمهم أنها تشفع
 لهم. أما البقية منهم فهم رعا عاقلون يقلدونهم ويتبعونهم. ﴿إِنَّ الظَّنَّ

لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ الظَّنَّ لَا يَسْقُطُ الْحَقَّ وَلَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ
فَالْأَصْلُ فِي الْعِبَادَةِ الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ
الرَّسُولُ ﷺ مَبْلَغًا بِهِ عَنْ رَبِّهِ ﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾ هَذَا وَعِيدٌ
لَهُمْ وَتَوْكِيدٌ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ كُفْرَهُمْ وَجُحُودَهُمْ.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عجز أصنام المشركين وكل ما يعبدونه من دون الله عن
بدء الخلق أو إعادته؛ لأن كل ما عدا الله عز وجل فهو مخلوق لا
يقدر على جلب نفع أو دفع ضرر. ومن الأحكام: أن العبادة لا تبني
على الظن بل يجب أن تبني على اليقين المتمثل في كتاب الله عز وجل،
وفي سنة رسوله محمد ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا
يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ
بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا بيان وتوكيد من الله أن هذا القرآن هو كلامه المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وما كان لأحد أن يفتريه فهو معجز في آياته وحروفه وأحكامه لا يستطيع البشر لو اجتمعوا كلهم أن يأتوا بمثله كما قال عز وجل ﴿قُلْ لَنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١). وقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢). ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: جاء مصداقاً للتوراة والإنجيل، وفيهما الخير والبشارة به فهو مصدق لهذا الخير والبشارة ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: بيان ما في الكتب السماوية السابقة. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا ريب في هذا القرآن ونزوله من عند الله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ما زال السياق في توبيخ المشركين والمراد أنهم يقولون: وضعه محمد من عنده أو ساعده أحد على وضعه. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ المعنى إذا كنتم أيها المشركون تزعمون أن محمداً وضع القرآن من نفسه فأتوا بسورة مثله. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ﴾ أي: استدعوا من تشاؤون يعينكم على وضع سورة واحدة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ

(١) سورة الإسراء الآية ٨٨.

(٢) سورة يونس الآية ٣٨.

صَدِّقِينَ ﴿۱۰﴾ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا وَضَعَ الْقُرْآنَ مِنْ نَفْسِهِ.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ المراد أنهم كذبوا بالقرآن وهم لم يعرفوا معانيه أو أحكامه أو مقاصده ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: أنهم كذبوا به وهم لم يفهموا ما فيه من دعوة الله لهم إلى الهدى وفهم ما جاءهم به رسوله ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثلهم في ذلك مثل المشركين في عدم فهمهم وزيفهم مثل الأمم البائدة الذين كذبوا ما جاءهم به أنبياءهم من الكتب. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: عليهم أن يتذكروا كيف أهلك الله هذه الأمم من قوم نوح وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الأمم البائدة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: ومن الذين أرسلت إليهم قوم آمنوا بالقرآن وصدقوه وهم الذين اتبعوك كبلال وصهيب وسلمان. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: لم يصدقه بل كذبه وعانده كحال أبي لهب وأبي جهل وغيرهما من رؤساء المشركين. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي: إن الله هو أعلم بمن تنفعه المواعظ فيؤمن بالقرآن وبما جاء به وأعلم بمن يستمر على كفره وكل سيجازي بعمله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن القرآن كلام الله المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وما كان لأحد أن يفتره لأنه إعجاز لا يقدر البشر أن يأتوا بسورة

مثله. الحكم بأنه مصدق للكتب السابقة المنزلة من الله عز وجل على عدد من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام. ومن الأحكام: أن تكذيب المشركين بالقرآن كان نتيجة جهل وضلال حيث إنهم لم يفهموا أحكامه مثلهم في جهلهم وضلالهم مثل الأمم البائدة الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم فأهلكهم الله بسبب ظلمهم. ومنها: ثناء الله على الذين آمنوا بالقرآن وصدقوه، ووعيده للذين كذبوه.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ أي: كفروا بما جئت به يا محمد فقل لهم ﴿لِي عَمَلِي﴾ أي: لي أجر عملي ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: وزر عملكم ﴿أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ المعنى إني أبرأ إلى الله من شرككم وكفركم ولن يؤخذ أحد بذنب الآخر. وهذه الآية نسختها آية السيف كما قاله جمع من المفسرين (١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ١١٩، وتفسير البغوي ص ٦٠١، والجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٣٤٦.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ المراد أنهم يسمعون كلام الله بأسماعهم ولكن لا يعونه بقلوبهم لما ران عليها من الكفر ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ هذا استفهام تقريرى بمعنى إنك لاتستطيع يا محمد أن تُسمع الصم لأن الكفر انطبع على قلوبهم فأنْتَ لاتقدر على هدايتهم لأن الهادي هو الله ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي: يبصر ما أنت عليه من علامات الرسالة والتأييد من الله ولكنه لا يريد الهداية. ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ هذا استفهام أيضاً تقريرى المراد أنك لا تستطيع أن تهدي من أعمى الله قلبه وأعمى بصره وقلبه بسبب كفره فالهادي هو الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ المراد أن الله لا يظلم أحداً من عباده لأنه حرم الظلم على نفسه كما قال عز وجل في الحديث القدسى (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)^(١). بل يدعوهم إلى الهداية وإلى اتباع ما أنزل عليهم لما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لما كان الله لا يظلم أحداً من عباده كما اقتضت حكمته ذلك؛ دل على أن الناس يظلمون أنفسهم بسبب عصيانهم لما أمرهم الله والعدل أن المأمور إذا عصى من له حق الأمر عليه كان لهذا معاقبته.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٢.

أحكام ومسائل الآيات:

توجيه الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يحاج المشركين إذا كذبه بأن عليهم وزر تكذيبهم، وأنه يبرأ إلى الله من شركهم. ومن الأحكام: أن الكفر إذا انطبع على قلب العبد لم يعد يعقل أو يفهم معنى الهدى. ومنها: الحكم بأن الله لا يظلم أحداً من خلقه ولكن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم بسبب انتهاكهم لمحارم الله.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤٥) وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ أي: يوم يحشر الله الخلائق يوم القيامة. ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ أي: كأن لم يلبثوا في الدنيا أو في قبورهم إلا ساعة من النهار كما قال عز وجل في آيات أخرى ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (١). وقوله ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لِّئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (٢). قوله

(١) سورة النازعات الآية ٤٦ .

(٢) سورة طه الآية ١٠٤ .

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يعرف بعضهم بعضاً إذا اتجهوا إلى الحشر فيعرف الأبناء آباءهم، ويعرف الأقارب والأصدقاء بعضهم بعضاً وكل مشغول بنفسه كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾^(١).
 ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٢). ﴿وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾^(٣). ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٤).

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ لما ذكر الله حال الحشر وما فيه بين حال الذين كذبوا بالبعث وهو الخسران بفقدهم الجنة. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: كانوا ضالين معرضين عن الهدى.

﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي: قد نريك بعض مانعدهم به من العذاب جزاء تكذيبهم لك أو نتوفأك قبل ذلك؛ ففي كل الأحوال سيرجعون إلينا وحينئذ سنجازيهم الحسنی بالحسنی والسيئة بالعذاب وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿فَالِئِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾. قوله ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: هو الشهيد على أفعالهم بعد مماتك. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ أي: أُرْسِلَ لكل أمة من الأمم السابقة رسول كنوح وإبراهيم وصالح وغيرهم ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ

(١) سورة عبس الآية ٣٤ .

(٢) سورة عبس الآية ٣٥ .

(٣) سورة عبس الآية ٣٦ .

(٤) سورة عبس الآية ٣٧ .

بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴿٤٨﴾ أي: يحكم بينهم بالعدل، أو ينكر الكفار من هذه الأمم ما جاءهم من البلاغ من رسولهم فحينئذ يشهد رسول الله محمد ﷺ عليهم كما قال عز وجل ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١). ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ أي: لا يبخسون شيئاً من أعمالهم فلا يعذبهم الله إلا بما كسبت أيديهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الناس يوم المعاد كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. تقرير أنهم في ذلك الموعد يتعارفون بينهم فيعرف الأب ولده، ويعرف الولد والديه، ويتعارف الأصدقاء ولكنهم مشغولون بأنفسهم. تقرير أن الخاسرين في ذلك اليوم هم الذين أنكروا البعث وكذبوا به. ومن الأحكام: إخبار الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بأنه شاهد على الذين كذبوه وسوف يحاسبهم على ذلك يوم يرجعون إليه. ومنها: أن كل رسول سوف يأتي يوم المعاد مع أمته فيحكم الله بينهم بالعدل، ولن يبخس أحداً حقه ولو كان مثقال حبة من خردل وحاشاه أن يظلم وهو الرحيم بعباده - فجل ثناؤه وتقدس أسمائه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَغْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ؕ ءَلَكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ *

بيان الآيات:

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: يقول الكافرون المنكرون للبعث وهم مشركو مكة ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي: العذاب أو يوم القيامة الذي تذكره لنا يا محمد فإن كنت صادقاً فأنتنا به. ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ في هذا رد على استهزاء الكفار وسؤالهم عن العذاب فأرشد الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم: لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً وكذلك غيري من المخلوقين ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي: إلا إذا أراد الله ذلك ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ وسؤالكم عن العذاب مرهون بأجل لا يعلمه إلا الله كما قال عز وجل ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ كِتَابٌ ﴾ (١). ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ أي: انقضى وانتهت مدته. ﴿ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أي: لا يتأخرون ساعة في الدنيا ولا يتقدمون للآخرة قبل أجلهم.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ أي: في الليل أو

النهار. ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى كيف تستعجلون العذاب وإذا حل بكم لم ينفعكم إيمان ولا عمل كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (١). ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: هل إذا وقع العذاب آمنتم وهل ينفعكم إيمانكم حينئذٍ ؟ وسوف تقول لكم ملائكة العذاب: أتؤمنون الآن وقد كنتم تستعجلون العذاب ؟

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: يقال للذين كذبوا واستكبروا عن عبادة الله ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: أقيموا فيه إلى الأبد. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: هذا هو جزاء كفركم. ﴿وَيَسْتَبِشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: يستخبرك المشركون يا محمد على سبيل الإنكار والسخرية فيقولون عن قيام الساعة أحق هو ﴿قُلْ إِي﴾ أي: نعم ﴿وَرَبِّي﴾ أقسم بربي. ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: واقع لا محالة ولن تنجوا من العذاب ونظيره قول الله عز وجل ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٣).

(١) سورة غافر الآية ٨٤ .

(٢) سورة غافر الآية ٨٥ .

(٣) سورة التغابن الآية ٧ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين في سؤالهم لرسول الله ﷺ عن موعد العذاب، وتعليم الله لرسوله أن يقول لهم، بأن سؤالهم هذا مرهون بأجل قدره الله ولا يعلمه إلا هو. تقرير أن الآجال محددة ومن بلغ أجله فلن يتقدم عليه أو يتأخر عنه. ومن الأحكام: أن الأجل إذا حل سواء بالعذاب أو بالموت فلن ينفع حينئذ الإيمان ولا التوبة. ومنها: أن قيام الساعة واقع لا محالة.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أي: أشركت وكفرت. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ما فيها من الكنوز وغيرها. ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أي: لقدمته فدية من عذاب الله. ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ قد يكون المراد أن رؤساء المشركين أسروا الندامة من أتباعهم الذين أضلوهم عن الهدى وذلك خشية من تأنيبهم لهم كما قال عز وجل عنهم ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ

أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴿١﴾. وقد يكون المراد أسروا الندامة أظهروها والكلمة من الأضداد. ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أي: أسروا الندامة قبل دخولهم النار. أما إذا دخلوها فهم في شغل عن الكلام مما يصيبهم من العذاب ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: يقضي الله بعدله بين الظلمة والمظلومين والمؤمنين والمشركون. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُظْلَم أحد بل كل يجزى بما عمل.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا بيان وتوكيد لكون كل ما في السموات والأرض ملكاً لله يتصرف فيه كيف يشاء لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: كل ما يعد الله به المؤمنين من الثواب وما يعد به المشركون من العذاب حق وواقع لا ريب فيه. ﴿وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن الكثير من هؤلاء المشركين لا يعلمون ذلك حق العلم ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو خالق الحياة وخالق الموت ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إليه المال والمآب فيرجع الخلق كلهم إليه ليجزيهم بما عملوا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه لو كان للظالم كل ما في الأرض لتمنى أن يفترق به نفسه يوم القيامة لما يراه من شدة هوله، مع أن من المحال أن يكون هناك

فداء يوم القيامة، وإنما هي الأعمال توفى لأصحابها. ومن الأحكام: أن كل ما في السموات والأرض وما بينهما ملك لله عز وجل يتصرف فيه بحكمته ومشيئته.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّهُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ٥٨ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ٥٩ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ؕ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ٦٠ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٦١﴾

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ المخاطب هنا جميع الناس بما فيهم كفار قريش. ﴿قَدْ جَاءَ تَكُفُّهُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: جاءكم القرآن فيه وعظ من ربكم وفيه بشارة ونذارة لكم. ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: شفاء من أمراض القلوب والأنفس كالكفر، والنفاق، والوساوس كما

قال تعالى ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١).
 ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أي: خير وبركة ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين آمنوا بالله
 واتبعوا ما أمرهم به وابتعدوا عما نهاهم عنه.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ أي: بفضل القرآن وبرحمة الإسلام ونبية
 محمد ﷺ. ﴿ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ أي: يكون فرحهم واستبشارهم
 بهذه النعم التي أنزلها الله عليهم. ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي:
 إن فضل الله هذا خير لهم ﴿ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ في الدنيا.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ المخاطب هنا المشركون في مكة ﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ
 مِنْ رِّزْقٍ ﴾ أي: ما أنزل الله من المطر وما أنبت به النبات وما خلق
 في الأرض من الأنعام ﴿ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾ المراد ما كانوا
 يحرمونه ويحلونه من البحائر والسوائب والوصائل والحام. ﴿ قُلْ أَلَا
 أَذِنَ لَكُمْ ﴾ أي: في تحليل ما تحلون، وتحريم ما تحرمونه ﴿ أَمْرٌ عَلَى
 اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ أي: إنكم تكذبون عليه وتقولون إنه أمركم بهذا.

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ أي:
 هل يظنون أن الله لن يحاسبهم ويجازيهم على كذبهم عليه ﴿ إِنَّ
 اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي: في تأخير العذاب لهم وإمهالهم لعلمهم
 يتوبون من ضلالهم. وقيل: المراد أهل مكة حيث جعل لهم الأمن ورغد

العيش ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: المشركون ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يشكرون الله على ما أنعم عليهم في وحدوه ويتبرؤوا من الشرك به.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمعنى أن ما تكون فيه من العبادة كالصلاة وغيرها من العبادات ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أي: ما تتلوه من كتاب الله. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: ما تعمله أنت يا محمد وأمتك من عمل. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نشهده ونعلمه كما قال تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١). وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تأخذون في قولكم وعملكم. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ أي: ما يغيب عنه ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزن نملة صغيرة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: كل هذه الأشياء مدونة في اللوح المحفوظ كما قال تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣). فتعالى الله في ملكه

(١) سورة غافر الآية ١٩ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ٧ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

وتقدست أسماؤه وصفاته وتنزه عن الند والمثيل والنظير.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن في القرآن موعظة للمؤمنين وبشارة لهم، ونذارة للمعرضين، وأنه شفاء للقلوب من الأمراض والوساوس. ومن الأحكام: أن من الخير للعباد أن يفرحوا بنزول القرآن لأنه خير لهم مما يجمعونه من حطام الدنيا. ومنها: توبيخ المشركين ووعيدهم بالعذاب عندما تنكروا لنعم الله عليهم فحرّموا ما لم يحله لهم، وأحلوا ما حرمه عليهم. ومنها: تحريم الكذب على الله ووعيد الله بالعذاب للمكذبين. ومنها: أن الله عز وجل شهيد على أعمال الخلق جلائلها ودقائقها سرها وعلانيتها.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ المراد بهم المتقون فلا هم يخافون في الآخرة كما قال تعالى ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ (١).
﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لفقد الدنيا وفي وصفهم روى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى) قيل: يارسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبههم قال: (هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم نور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس) ثم قرأ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ هذا وصف وتعريف لأولياء الله. ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الرؤيا الصالحة، وفي هذا روى عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله ﷺ: لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا؟ قال: (الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً أو سبعين جزءاً من النبوة)^(٢). وقيل: إن

(١) أخرجه أحمد في مسنده مطولاً ج ٥ ص ٣٤٣، بألفاظ مختلفة وأبو داود في كتاب الإجارة، باب في الرهن برقم (٣٥٢٧)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٢٧٤، مختصراً، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، برقم (٢٣٩٠)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥١٥، والزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ١٥٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٧٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، بالأرقام من (٢٨٩٣-٢٨٩٨)، والترمذي في كتاب الرؤيا قوله تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ برقم (٢٢٧٣)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦٣، وأحمد في مسنده ج ٥ ص ٣١٥، والدارمي في كتاب الرؤيا، باب في قوله تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ برقم (٢١٣٦)، سنن الدارمي ج ٢ ص ١٦٥.

المراد بالبشرى في الدنيا بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١). ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٢).

﴿لَا بُدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: إن هذا وعده وأنه لا يخلف الميعاد. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: إن ما ينال أوليائه من البشرى في الدنيا وفي الآخرة هو الفوز العظيم الذي يفوزون به.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن من آمن بالله إيماناً صادقاً واتقاه بفعل وأمره، وترك نواهيه أصبح من أوليائه فلا يحزن على ما فاتته من الدنيا، ولا يخاف من هول الآخرة. ومن الأحكام: أن البشرى في الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له. ومنها: أن ولاية الله للمؤمنين وبشراهم في الدنيا والآخرة وعد منه عز وجل لا يتبدل ولا يتغير.

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

(١) سورة فصلت الآية ٣٠.

(٢) سورة فصلت الآية ٣١.

﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾
بيان الآيات:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد
تسليته عليه الصلاة والسلام عما لقيه من المشركين، والمعنى لا
يحزنك تكذيبهم لك وافتراءهم عليك ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي:
له القوة الغالبة والعظمة القاهرة فهو الذي يعينك وينصرك على
أعدائك ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: هو السامع لأقوال المشركين
العليم بأفعالهم.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: إن
الكون علوه وسفله وما فيه هو لله وحده يتصرف فيه كيف يشاء
لأراد لقضائه ولا معجز لحكمه. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ المراد أن الذين يدعون من دون الله شركاء
لا يدعون شركاء حقيقيين لأن الله ليس له شريك في ربوبيته وألوهيته
أو أسمائه أو صفاته ومحال أن يكون له ذلك ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾

﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: إن هؤلاء يظنون كذباً أن لله شركاء يشفعون لهم
 ﴿وإن هم إلا يخرضون﴾ أي: يخمنون تخميناً باطلاً.
 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ هذا إخبار من
 الله عزوجل بما امتن به على عباده بأن جعل لهم الليل سكناً وراحة
 لهم مع أزواجهم وذرياتهم، وجعل النهار مبصراً لهم يبتغون فيه
 من فضله لمعاشهم وحياتهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: علامات
 ودلالات بينات. ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يعلمون أنه المستحق
 وحده للعبادة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن على الدعاة إلى دين الله ألا يحزنوا أو يتأثروا من أقوال
 أهل الضلال أو تكذيبهم لهم؛ لأن سنة الله قد مضت في إظهار
 دينه ونصرة أوليائه على أعدائهم. ومن الأحكام: أن الذين يدعون
 مع الله غيره ليس لهم برهان أو دليل، وإنما يظنون كذباً أن من
 يعبدونهم يشفعون لهم عند الله. ومنها: أن قدرة الله المتجلية في
 الآيات الكونية كافية للعقلاء في الإيمان بأنه الإله الواحد المستحق
 وحده للعبادة.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثَمَرًا إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

بيان الآيات:

قوله ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ المراد بهم الكفار كقول النصراني إن المسيح ابن الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تعظم وتنزه عن صاحبة والولد ﴿هُوَ الْعَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: غني في ذاته العلية وغني عن خلقه كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ (١). ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: كل من فيهن خلقه وعباده وتحت مشيئته كما قال عز ذكره ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٢). ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي: ما عندكم من برهان ولادليل إشارة إلى قولهم ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام إنكاري وتوبيخ لهم على ما قالوه.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: إن الذين يكذبون على الله ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا فلاح ولا أمن لهم. ﴿مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا﴾

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤.

(٢) سورة مريم الآية ٩٣.

أي: يكون مكثهم في الدنيا مدة قليلة. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: يرجعون إلينا. ﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: الأليم. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: نذيقهم هذا العذاب بسبب كفرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم نسبة الولد إلى الله، فهو جل ثناؤه منزّه عن الصاحبة والولد، وأن كل من في السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما ملكه وعبيده وتحت تصرفه. ومن الأحكام: كذب من ينسب الولد إلى الله لأنه يقول ذلك بلا علم ولا برهان. ومنها: أن من يفتري الكذب على الله لن يفلح أبداً وأن بقاءه في الدنيا مجرد متاع زائل ثم يرجع إليه ليذيقه العذاب جزاء كفره.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا لِقَوْمِي إِنَّ كَانَ كِبَرُ عَلَيْنَا مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بَيَانَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (٧١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٧٣)

بيان الآيات:

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ فقد أمره الله أن يقص على المشركين خبر قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم وما حل بهم من العذاب جزاء كفرهم ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ أي: صعب عليكم ﴿مَقَامِي﴾ أي: مكثي بينكم. ﴿وَتَذِكْرِي بِثَابِتِ اللَّهِ﴾ أي: قيامي بموعظتكم وبيان آيات الله لكم. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: استعنت واستعذت فلا يضرني حينئذ عداؤكم لي ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: اعزموا أنتم وشركاءكم من الأصنام الذين تعبدونهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا تستهزئوا وتستخفوا فيما أجمعتم عليه ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ أي: لا تتأخروا فيما أنتم متفقون عليه ضدي فإني متوكل على الله وهو حسبي وكافي فلا تضرني عداوتكم. وما كان نوح عليه السلام ليقول هذا لقومه إلا وهو يعلم أن الله سيحمله لأنه يبلغ رسالته، ومن يحميه الله وينصره فلا يخشى أحداً من خلقه.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: إن أعرضتم عن دعوتي لكم فهذا شأنكم فلم أسالكم عن أجر لي على دعوتي لكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إنما انتظر الأجر من الله على إبلاغ رسالته. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: إن الله أمرني أن أكون

من عباده الموحدين المخلصين في عبادته المحاربين لمن يشرك به.
﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذبه قومه. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ أي:
أنقذناه والمؤمنين معه في السفينة من الغرق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾
أي: بقي هؤلاء المؤمنون الذين هم الخلف بعد الذين غرقوا. ﴿وَأَغْرَقْنَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أمر لرسول الله ﷺ
وأتباعه أن يعرفوا أن عاقبة الذين يكذبون رسل الله هي الهلاك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير شجاعة نبي الله نوح عليه السلام وهو يدعو قومه إلى
توحيد الله وطاعته. ومن الأحكام: فضل التوكل على الله وما يتحلى به
صاحبه من الإيمان والشجاعة والقوة لعلمه أن الله يكفيه ويؤيده كما
قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١). ومنها: أن من دعا
إلى الله لا يكون له أخذ أجر على دعوته خاصة الأنبياء والرسل عليهم
السلام. أما من عداهم فالأصل - كما سبق ذكره - عدم أخذ الأجرة على
الدعوة ما لم يكن الداعي محتاجاً إليها بسبب انقطاع رزقه. ومنها: أن
مآل المكذبين لرسول الله الهلاك والعذاب.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُمِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَزَمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ ومنهم صالح وهود وإبراهيم ولوط وشعيب. ﴿فَجَاءَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالبراهين والمعجزات. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ما كانوا ليؤمنوا بالذي كذب به من كان قبلهم من الأمم كقوم نوح والمراد تكذيبهم بما جاءتهم به رسلهم من وجوب توحيد الله وترك الشرك ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: نختم على قلوب المعتدين بسبب تكذيبهم لرسولهم وكفرهم بما جاؤوهم به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعثنا من بعد الرسل المشار إليهم ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: خاصته. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: أعرضوا عن الحق والهدى. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ أي: ضالين. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي: لما جاء موسى إلى فرعون

وقومه بالحق من عند الله ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: وصفوا المعجزات التي جاء بها موسى بأنها سحر من عند موسى ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾ استفهام إنكاري عليهم حين وصفوا رسالة الله ومعجزاته بالسحر ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ أي: قولهم لا يفلح موسى الذي أتى به.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا﴾ أي: قال فرعون وقومه: أجئتنا بما تقوله لكي تصدنا وتثنيينا. ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: العبادة التي تعبد بها آبائنا. ﴿وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: العزة والسيادة وملك مصر. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لن نؤمن بما قلت أنت وأخوك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الأمم التي كذبت رسلها واستمرت على فسادها انطبعت قلوبها بالضلال فحرمها الله الهداية، وهذا يقتضي أن كل أمة أو قوم يكفرون بالله سوف يتعرضون لمثل ما تعرضت له الأمم البائدة. ومن الأحكام: في الآيات: تحريم الكبر والطغيان. ومنها: أن السحر كفر - كما سبق ذكره - وأن الساحر لا يفلح في سحره كما قال عز وجل ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (١).

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُؤْتُونِي بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ﴾ ٧٩ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ

لَهُمْ مُوسَىٰ الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتَوْنِي بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ﴾ أي: أمر فرعون خاصته أن يأتيه بالمهرة من السحرة في مصر ظنا منه أن المعجزات التي جاء بها موسى هي سحر من عنده.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ أي: بعد ما جمعوهم من أقاليم مصر. ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي: ابدؤوا سحركم بإلقاء حبالكم وعصيكم لنرى كيف تكون. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ أي: ما جئتم به سحر. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ أي: سوف يزيله بقدرته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: يفسد عمل المفسدين لأن السحر فساد، والفساد لا يدوم. ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ أي: يبينه. ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ أي: ببراهينه. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ المراد بهم فرعون وقومه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل فرعون وغبائه حين ظن أن الآيات التي جاء بها موسى سحر. تقرير أن السحر عمل فاسد، وأن الله لا يحب الفساد. ومن الأحكام: أن الحق لا بد أن يعلو ولو فعل المجرمون ما فعلوا لصدّه.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣)
 وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ (٨٤)
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥)
 وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
 أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) ﴿

بيان الآيات:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ قيل: إنه لم يؤمن به إلا طائفة من ذرية بني إسرائيل لأنه كما قيل: دعا آباءهم فلم يستجيبوا له خوفاً من فرعون وإن الذي أجابته طائفة من ذرياتهم (١) ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أي: كانوا مع إيمانهم على خوف ووجل من فرعون وقومه. ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: يعاقبهم. ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: متكبر ظالم. ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: من المتجاوزين الحد في الظلم والفساد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: إن كنتم صدقتم به وبوعده لكم ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ أي: استعينوا به واعتمدوا عليه ﴿إِن

(١) تفسير البغوي ص ٦٠٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٣٣ .

كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٢٧٧﴾ أي: مستسلمين له بالطاعة مجتنبين للمعصية. والمراد أنه عليه السلام قال لهم: إذا كنتم صادقين في إسلامكم فلا تخافوا من فرعون وقومه لأن الله سوف يحميكم من ظلمه وينصركم عليه.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: استجبنا لما قلت وأسلمنا أنفسنا وحاجاتنا إلى الله ورضينا بما يحكمه فينا، وفي فرعون وقومه. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تعذبنا بأيدي أعدائنا فيكون في ذلك شماتة بنا ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي: أنقذنا برحمتك ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: من فرعون وقومه.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي: أمرنا موسى وأخاه أن يجعلا لقومهما بيوتا في مصر يعبدون الله فيها خاصة وكانوا يخشون من الجهر بصلاتهم ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: اجعلوا هذه البيوت شطر القبلة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: حافظوا عليها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بشر المؤمنين بأن الله سينصرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه رغم تكذيب الأمم لرسولهم فإن طوائف منهم تؤمن بهم وتصدقهم كما آمنت طائفة من بني إسرائيل، وكما فعلت طائفة من العرب مع رسول الله محمد ﷺ في بداية دعوته. ومن الأحكام: تحريم

الطغيان والاستكبار على المضعفاء. ومنها: وجوب توكل الداعي على الله، وأن يتوسل إليه أن يوفقه في دعوته وينجيه من أعدائه. ومن الأحكام: وجوب إقامة الصلاة في المساجد تجاه القبلة؛ فإن تعذرت إقامتها في حال الخوف وجب إقامتها في البيوت^(١).

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: وهبتهم أموالاً من كل صنف ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي: إنهم مع ما أعطيتهم من نعمك وفضائلك فإنهم كفروا بذلك وليس ذلك منهم فحسب، بل إنهم يصدون عن سبيلك بالظلم والطغيان. ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: أهلك أموالهم ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اطبع عليها. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ في هذا معنى الدعاء على فرعون وقومه؛ ذلك أن موسى لما يئس من قبول فرعون لرسالة الله دعا عليه وعلى قومه بهلاك أموالهم والطمع

على قلوبهم وإنزال العذاب بهم فكان يدعو وأخوه هارون يؤمن.
﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ المراد أن الله استجاب دعاءهما
لإهلاك فرعون وقومه ﴿فَأَسْتَقِيمَا﴾ أي: اثبتا على ما أمرتكم به
﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: تجنبنا طريق الذين
لا يعلمون ما وعدتهم به من الثواب إذا اهتدوا، وما حذرتهم من
الوعيد إذا ضلوا.

أحكام ومسائل الآيتين:

مشروعية الدعاء على الكافرين في شرع من قبلنا. أما في شرعنا فكان
رسول الله ﷺ يدعو على قوم من العرب فأنزل الله تعالى قوله ﴿لَيْسَ
لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١). وقال
عليه الصلاة والسلام (لم أبعث لعاناً ولكني بعثت رحمة)^(٢). وكان
عليه الصلاة والسلام يقول (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)^(٣).
قلت: وإذا تمادى الظلمة في ظلمهم، وانتهكوا حرمة الله، وعتوا
في الأرض فساداً فالدعاء عليهم مستحب، بل ومشروع لما فيه من طلب
نصر الله للمؤمنين وكف أذى الظالمين.

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٩)، صحيح
مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦١٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، برقم (٣٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري
ج ٦ ص ٥٩٣ .

ومن الأحكام: تقرير أن اتباع الشهوات والملذات واللهو عن ذكر الله وسيلة إلى الفساد. ومنها: تحريم اتباع سبيل أهل الضلال.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ،
بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي
ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَقَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي: دخلوا البحر وهو بحر القلزم
-البحر الأحمر- حتى خرجوا منه ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغْيًا
وَعَدُوًّا﴾ أي: أن مراده كان البغي والعدوان على موسى وأخيه. ﴿حَتَّى إِذَا
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ أي: إن فرعون لما عرف أنه سيغرق لا محالة. ﴿قَالَ
ءَامَنْتُ﴾ أي: صدقت وأخلصت الإيمان لله. ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ
بِهِ، بَنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لما آمن فرعون عند معرفته بغرقه لم
يك ينفعه إيمانه لأنه عصى وظلم في الوقت الذي كان له فسحة من عمره
ونظيره قول الله تعالى ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُبَّتَ اللَّهُ
الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾

﴿ اَلْكَنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ والمعنى أفي هذا الوقت تقول آمنت وقد ظلمت واستكبرت وطغيت وكذبت بما جاءك به موسى ﴿ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: من الطغاة والظلمة في الأرض.

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِدَنِكَ ﴾ المراد أن الله طرحه على نجوة الأرض أي: مكان مرتفع بعد غرقه؛ ذلك أن بني إسرائيل من شدة رهبتهم وخوفهم من فرعون ما كانوا ليصدقوا أنه غرق في البحر فألقاه الله على الأرض حتى يروه ﴿ لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ أي: عبرة لبني إسرائيل ومن لم يدركه الغرق من القبط لعدم وجوده مع فرعون وجنوده ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ أي: ساهون عن التفكير والتدبر في آياتنا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير غرق فرعون وجنده جزاء بغيه وظلمه، وعدم قبول توبته لأن التوبة لا تنفع عند مشاهدة الهلاك كما قال تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اَلْكَنَّ ﴾ (١). ومن الأحكام: أن الاستمرار على الفساد والظلم يحول بين الظالم وبين الهداية. ومنها: وجوب الاعتبار بما يحدث للظالمين من العذاب وأن من خطأ الناس غفلتهم عن التفكير والتدبر في آيات الله، وما يمن به من الفضل على المؤمنين منهم، وما ينزله من العذاب على الظالمين.

(١) سورة النساء من الآية ١٨ .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٣)

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ﴾ لعل المراد أن الله بعد أن أهلك فرعون وقومه بالغرق جعل لبني إسرائيل منزلاً طيباً في مصر حيث سادت ديانتهم هناك على يد موسى عليه السلام ثم دأبوا يطلبون الرحيل إلى بلاد الشام فقادهم موسى ولكنهم نكلوا عن قتال الكنعانيين الوثنيين كما قال الله عز وجل عنهم ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (١). فلهذا غضب الله عليهم فتشردوا في التيه أربعين سنة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: مأمّن الله به عليهم من طيبات الأرض من ثمار وغيرها ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ المراد أن بني إسرائيل كانوا على دينهم ولم يختلفوا فيه، وكانوا ينتظرون مبعث النبي الذي بشر الله به في التوراة لينقذهم من التشرد ومن العذاب الذي ينزل بهم في أي مكان يكونون فيه كما حدث لهم من

قَبْلِ الرُّومَانِ. فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمُنْزَلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فَأَمَّنَ مِنْهُمْ قَوْمٌ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَكَفَرَ مِنْهُمْ قَوْمٌ وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أَي: يَحْكُمُ وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَي: يَفْصِلُ فِي عَمَلِهِمْ فَيَجَازِي الْمُحْسِنَ بِالثَّوَابِ وَالْمُسِيءَ بِالْعِقَابِ.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير فضل الله على المؤمنين من بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون، وإنعام الله عليهم بالطيبات من الرزق مما كانت الأرض تنتج لهم من الثمرات المختلفة. تقرير أنهم حين أنكروا نعم الله عليهم فلم يشكروها غضب عليهم فتشردوا في التيه. ومن الأحكام: أن من أسباب الهلاك الاختلاف في الدين، وهذا ما حدث لبني إسرائيل حين أنكروا رسالة رسول الله ﷺ وكذبوها رغم علمهم بها في كتابهم.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ٩٥ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٩٧﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد غيره لأن رسول الله ﷺ لا يشك فيما أنزل الله إليه، وحاشاه أن يكون كذلك. وقيل: إن المراد قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك^(١). ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: إن كنت في شك من القرآن فاسأل الذين يعرفون الكتاب ويعلمونه ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: جاء القرآن بالهدى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكين فيه.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به غيره كذلك ومعنى كذبوا بآيات الله أي: جحدوها واستكبروا عن التصديق بها ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ أي: الهالكين الذين خسروا دنياهم وأخراهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون إيماناً صحيحاً يكون لهم عليه أجر وثواب لأنهم كفروا بآيات الله واستكبروا عنها فطبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ أي: لو جاءتهم كل الآيات فلن يؤمنوا لأن الله غضب عليهم بسبب إصرارهم على الكفر ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: لن

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٨٢، وتفسير البغوي ص ٦٠٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٣٧.

يؤمنوا حتى يحل بهم العذاب - كما فعل فرعون عندما حل به الموت -
 - وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم كما قال عز وجل ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ
 إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا﴾^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ ونفي الشك عنه. ومن
 الأحكام: أن من كذب بآيات الله سيكون حتماً من الخاسرين. ومنها:
 أن من لا يؤمن بآيات الله أو يكذب بها يطبع الله على قلبه فلا يؤمن
 حتى يرى العذاب وحينئذ لا ينفعه إيمانه.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا
 كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٩٨) وَلَوْ
 شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ
 حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ^(٩٩) وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١٠٠)

بيان الآيات:

﴿فَلَوْلَا﴾ أي: هلا، وهي هنا لتوبيخ المشركين في مكة على شركهم
 وإصرارهم على عدم التوبة كما تاب الله على قوم يونس ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ

ءَامَنْتَ فَفَعَلْنَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴿١٠﴾ أي: أن القرى التي أهلكتها الله ما كانت آمنت إلا قوم يونس؛ ذلك أن قومه عليه السلام كانوا يسكنون في (نينوى) في العراق وكانوا عبدة للأوثان فأرسل الله إليهم يونس يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان فأبوا عليه وهو يدعوهم تسع سنين. فلما يئس من هدايتهم قيل له: أخبرهم أن العذاب سوف يصبحهم ففعل فقالوا: إنه لرجل لا يكذب فراقبوه فإن أقام معكم فلا عليكم، وإن ارتحل عنكم فهذا دليل على نزول العذاب.

فلما كان من الليل خرج عنهم فلما أجمعوا لم يجدوه فتجردوا للتوبة، وأظهروا الإيمان، ولبسوا مسوحهم، وضجوا بالدعاء وفرقوا بين الأمهات والأولاد من الناس والبهائم، وردوا المظالم وكان الرجل يأتي الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويرده. فلما علم الله صدق توبتهم تاب عليهم ورد عنهم العذاب الذي كان يحيق بهم^(١) وأساس هذا قوله عز وجل ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو العذاب الذي وعدهم به يونس وحذرهم منه ﴿وَمَغْنَمُ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: منعنا عنهم الهلاك إلى أجلهم المسمى.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ المراد أن الله عز ذكره لو أراد لجعل الناس كلهم مؤمنين؛ فهو القادر على ذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٣٨٤ . سيرد الحديث عن يونس وقومه في موضعه.

كما قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (١). ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ في هذا جواب لرسول الله ﷺ على حرصه على إيمان الناس فأرشده الله إلى أن الناس لن يؤمنوا كلهم؛ فلن يؤمن إلا من علم الله إيمانه فكتب له الإيمان كما قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: لا تستطيع نفس أن تؤمن إلا بعدما قدر الله لها أن تؤمن. ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: يجعل العذاب على الذين يصرون على الكفر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله لطيف بعباده يحب توبتهم وإنابتهم إليه حتى يرحمهم ولا يعذبهم. ومن مسائل الآيات وأحكامها: أن العباد إذا أذنبوا ثم تفكروا في علامات الهلاك - كما فعل قوم يونس - ثم تابوا تاب الله عليهم وكشف عنهم ما كان سيصيبهم لو استمروا على ذنوبهم. ومنها: أن الإيمان بيد الله فهو يعلم المهتدين فيهديهم إلى الإيمان كما قال عز وجل ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ. وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (٣). ومنها: أن العذاب يصيب الذين يصرون على الكفر.

(١) سورة هود من الآية ١١٨ .

(٢) سورة القصص من الآية ٥٦ .

(٣) سورة الكهف من الآية ١٧ .

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ .

بيان الآيات:

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ المراد الأمر للكفار أن يتدبروا ما في السموات والأرض من الآيات والبراهين الدالة على صنع الله وعظمته وتدبيره لهذا الكون، وما يستحقه من عبادته وتوحيده وطاعته ونفي الشرك عنه ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ ﴾ أي: الدلالات ﴿ وَالنُّذُرُ ﴾ أي: المرسلون. ﴿ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أن هذه الدلالات والنذر لا تغني شيئاً عن أصر على الكفر واستكبر عن دعوة الله وفضل الكفر على الإيمان والضلال على الهدى.

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا أن يأتيهم العذاب والهلاك الذي أتى من كان قبلهم من الأمم كحال قوم نوح وصالح ولوط. ﴿ قُلْ فَانْظُرُوا ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ فَانْظُرُوا ﴾ أي: تربصوا وفي هذا تهديد ووعد لهم. ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ أي: المتربصين لما وعدني ربي.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ لما ذكر الله ما ينتظر الكافرين من العذاب بين عز وجل أنه إذا أحل العذاب بقوم نجى رسولهم الذي أرسل إليهم كما نجى المؤمنين منهم. ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لازم علينا.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الذكرى والموعظة لا تنفع من صد عن ذكر الله واستمرار الكفر والضلال لأن المواعظ والذكر لا ينفع إلا المؤمنين كما قال عز وجل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). ومن الأحكام: تهديد الظالمين بما يصيبهم من العذاب إذا استمروا على ظلمهم لأن حالهم في ذلك حال الأمم التي أهلكها الله بسبب ظلمها. ومنها: أن الله عز وجل ينجي المؤمنين من الهلاك والعذاب.

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٠٤) وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ^(١٠٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(١٠٧)

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد قل يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ أي: إن كان قد ارتابكم ريب من دين الإسلام الذي أمركم الله به. ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا أعبد أبداً الأوثان التي تعبدونها لأن عبادتكم لها شرك وضلال. ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾ أي: أعبد الذي نفسي وأنفسكم بيده؛ فهو الذي خلقكم ثم يتوفاكم ثم يحييكم فهو المستحق للعبادة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من الذين آمنوا بالله وصدقوه وامتثلوا لأمره واجتنبوا نهيه.

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هذا عطف على قوله ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمراد أن أستقيم على ما أمرني به ربي وهو دين الإسلام وترك كل دين سواه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عطف كذلك على قوله ﴿وَأُمِرْتُ﴾ والمراد أن الله أمرني أن أعبد وحده ولا أشرك معه غيره. ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ المخاطب رسول الله وأمته والمعنى لا تعبد من دون الله ما لا ينفعك إن عبدته ولا يضرك إن عصيته فإن عبدت غير الله كنت من الظالمين.

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي: إن أصابك بضر فلن يمنعه ولا يزيله إلا هو فهو القادر على ذلك ولا أحد يقدر عليه غيره. ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ أي: ينعم عليك بنعمة ﴿فَلَا

رَأَدَ لِفَضْلِهِ ﴿١٠٨﴾ أي: لا يقدر أحد على منعها. ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿١٠٩﴾ أي: يصيب من يشاء من عباده بالسراء والضراء. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١١٠﴾ أي: الغافر لسيئات عباده وذنوبهم، الرحيم بهم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الثبات على الدين والاستقامة عليه مهما كان المشككون فيه، ومهما تعاظمت الفتن نتيجة هذا التشكيك لأن المؤمن إذا ثبت على دينه ثبته الله عليه كما قال عز وجل ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿١١١﴾. ومن الأحكام: أن دعاء المخلوقين مع الله يعد شركاً لأن الدعاء عبادة، وهذه لا تكون إلا لله وحده. ومنها: أنه يجب على العبد أن يؤمن إيماناً صادقاً بأن ما يصيبه من السراء والضراء إنما هو من الله وأن أي مخلوق لا يستطيع رده عنه.

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٠٨﴾
 ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُفَّكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَافِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾

بيان الآيتين:

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿١٠٨﴾ أي: قل يا محمد

لكفار مكة وغيرهم: قد جاءكم كتاب الله المنزل علي من ربكم. ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ أي: صدق ما جئت به ﴿فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: إن نفع هذا الهدى عائد له. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ أي: كفر بما جئت به واتبع هواه واستمر على الشرك. ﴿فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: إن ضرر ذلك على نفسه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: لست عليكم بحفيظ أحفظ لكم أعمالكم وإنما تحفظها الملائكة الموكلون بكم.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ﴾ أي: اعمل بما أوحى إليك واصبر عليهم وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت جمع رسول الله ﷺ الأنصار وحدهم وقال لهم: (إنكم ستجدون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض). ﴿حَتَّىٰ يَخُصِّمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: انتظروا حتى يوم المعاد ليحكم بين خلقه بالميزان والقسط.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن القرآن قد أنزل على رسول الله ﷺ هدى للناس، وأنه حق، وأن رسالة رسول الله ﷺ حق. الحكم بأن من اهتدى فإن نفع ذلك يعود عليه وحده ومن ضل فضلته على نفسه كما قال عز وجل ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (١). وقوله جل ثناؤه ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٢).

(١) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود

مكية وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية^(١)

﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ^(١) ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ^(٢) ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ ^(٣) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٤) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونْ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ^(٥)

بيان الآيات:

﴿الرَّكَتَبُ﴾ سبق القول فيها. ﴿رَكَتَبُ﴾ المراد به القرآن ﴿أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ﴾ أي: جعلها الله محكمة متقنة لا خلل ولا تناقض فيها. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ أي: بينت بياناً شافياً أحكام الله في الحلال والحرام والثواب والعقاب. ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ أي: جاء هذا التفصيل من عند الله الحكيم لما يفعله، الخبير بما يكون وما لا يكون.

(١) لما قيل لرسول الله ﷺ يا رسول الله قد شئت قال: (شييتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ١٧٩، وتفسير البغوي ص ٦١٢.

﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ المراد أن الله أحكم آياته وفصلها للعباد
 بالأيام مخلصين له الدين كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(١). ﴿إِنِّي
 لَكُمْ مِنْهُ﴾ أي: من الله. ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: منذر بالعذاب لمن أعرض عنه بعد
 أن جاءت به هذه الآيات المحكمات. ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب لمن أطاعه واتبع
 ما جاءت به هذه الآيات. ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: اطلبوا مغفرته
 وتجاوزوه عن سيئاتكم. ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: تخلوا عن معصيتكم له
 وذلك بالرجوع إليه ليتوب عليكم. ﴿يُمْنَكُمْ مَنَعًا حَسَنًا﴾ المراد أنكم
 إذا استغفرتموه وتبتم إليه هيأ لكم أسباب الرزق والعيش الحسن كما
 قال تعالى على لسان نبيه نوح لقومه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ
 غَفَّارًا﴾^(٢). ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾^(٣). ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
 وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٤). ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى
 نهاية حياتكم في الدنيا. ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: يحاسب
 كل صاحب عمل على عمله فمن تاب وعمل صالحاً استحق ثواب
 الله. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ أي: إن أعرضوا
 عن التوبة وعن الاستغفار وعن عبادة الله وحده فإنني أخاف عليهم

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

(٢) سورة نوح الآية ١٠ .

(٣) سورة نوح الآية ١١ .

(٤) سورة نوح الآية ١٢ .

من عذاب يوم القيامة. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: معادكم ومآلكم يوم القيامة. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على جزاء كل عامل بعمله. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ المراد به المعادون لرسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين. قال ابن عباس: المعنى يخفون ما في صدورهم من العداوة والشحناء ويظهرون خلافه ومنهم الأخنس بن شريق؛ فقد كان هذا حلو اللسان يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وقلبه ينطوي على العداوة له^(١). وقيل: إن المراد أن أحد المنافقين إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وطأطأ رأسه وغطى وجهه لكيلا يراه فيدعوه إلى الإيمان^(٢). وقيل: إن المراد قوم من المسلمين كانوا يسترون أجسامهم ولا يكشفونها تحت السماء^(٣) فبين الله تعالى أن المهم ما في قلوبهم من الاخلاص له. ﴿لَيْسَتْ خَفُوءًا مِنْهُ﴾ أي: يتخفوا من رسول الله ﷺ. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يضعون ثيابهم على رؤوسهم ليغطوها. ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ﴾ أي: ما يخفونه في أنفسهم. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: ما يقولونه علانية لرسول الله ﷺ خلاف ما في قلوبهم. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما في قلوبهم كما قال تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٤).

(١) تفسير ابن وهب ج ١ ص ٣٥٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٤٢.

(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٧ ص ١٨٣، وتفسير البغوي ص ٦١٣.

(٣) تفسير البغوي ص ٦١٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٤٢.

(٤) سورة غافر الآية ١٩.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ثناء الله على القرآن وأنه أحكم آياته وفصلها ليعلم العباد علم يقين أن عليهم عبادة الله وحده، وأن رسوله جاءهم بالندارة إذا عصوه، وبالبشارة إذا أطاعوه؛ وليعلموا كذلك أن عليهم أن يستغفروه ويتوبوا إليه لكي يهيا لهم أسباب الرزق إلى حين بلوغ آجالهم المسماة. ومن الأحكام: أن من أقام على المعصية وأعرض عن التوبة والاستغفار من ذنوبه معرض لعذاب الله بعد رجوعه إليه. ومنها: تقرير جهل المشركين والمنافقين وغبائهم في التخفي عن رسول الله ﷺ لكيلا يراهم فيدعوهم إلى عبادة الله. ومنها: الحكم بأن الله يعلم أسرار خلقه وعلاانيتهم لا تخفى عليه منهم خافية.

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد بالدابة كل شيء حي يمشي على الأرض من الإنسان والحيوان والحشرات. ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي: إن الله تكفل برزقها تكفل فضل لا وجوب كما قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾^(١). والمراد أن الله قد بسط الرزق لعباده فعليهم السعي إليه لأن ذلك هو ما تقتضيه الحكمة الإلهية؛ فالنملة الصغيرة تسعى لرزقها، والطير والحيوان وكل حي ألهمه الله أن يبحث عن رزقه الذي تفضل به عليه. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي: يعلم مستقر كل دابة في الأرض. ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: مستقرها في الرحم أو المراد القبر الذي تؤول إليه بعد موتها. ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: كل هذا الذي رتبته الله ونظمه مدون في اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا بيان من الله وتقرير أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء. وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)^(٢). ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

(١) سورة الملك من الآية ١٥ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٠٧ .

أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿١٠﴾ أي: أنه خلق عباده ليبتليهم بالعمل في الدنيا لأجل الآخرة، وليعلم من هو الأحسن منهم في إخلاصه العبادة لله وتوحيده وطاعته والبعد عن محارمه. ﴿١١﴾ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ﴿١٢﴾ أي: لو قلت يا محمد للمشركين أنكم ستبعثون بعد الموت وتعودون إلى الله ليجزيكم على أعمالكم. ﴿١٣﴾ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ أي: لن يصدقوك بل سيقولون إن ما قلته سحر وليس حقيقة.

﴿١٥﴾ وَلَئِنْ أَخْرَنَاهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴿١٦﴾ المراد بالأمة هنا المدة والمراد أننا لو أخرنا العذاب لهؤلاء المشركين إلى أجل معين ﴿١٧﴾ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِبُ سُهُ ﴿١٨﴾ أي: ما يؤخره عنا؟ وقصدتهم من هذا إما التكذيب بأنه لن يأتيهم من الله عذاب أو أنهم يستهزئون بما قاله رسول الله ﷺ لهم عن البعث والجزاء. ﴿١٩﴾ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴿٢٠﴾ قيل: المراد بذلك ما حدث للمشركين من قتل يوم بدر^(١).

﴿٢١﴾ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٢﴾ أي: حاق بهم القتل جزاء استهزائهم وتكذيبهم بما أنزل الله إليهم من الآيات.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله جل ثناؤه قد تكفل بأرزاق خلقه من الإنس والجن

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ١٠.

والحيوان والطير. الحكم بأنه عز وجل خلق الكون علوه وسفليه، وأن عرشه كان على الماء. ومن الأحكام: تقرير جهل المشركين وكذبهم في اتهامهم لرسول الله ﷺ بالسحر. ومنها: أن العذاب قد حل بالمشركين جزاء كذبهم بآيات الله واستهزائهم برسوله والمراد به ما حدث لهم يوم بدر.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوسُ كَفُورٌ ۝٩ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾

بيان الآيات:

في هذا إخبار من الله تعالى عن سلوك الإنسان وجوده لنعم الله عليه إلا من هداه الله منه فعرف هذه النعم وشكر الله عليها قوله ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أي: إذا رزقناه وأنعمنا عليه ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ بسبب عدم شكره لها. ﴿إِنَّهُ لَيَكُوسُ كَفُورٌ﴾ أي: ييئس من الرحمة ويجدها، قيل: إن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أمية المخزومي أو الوليد بن المغيرة^(١).

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ﴾ أي: أسبغنا عليه الصحة وبسطنا له في

الرزق. ﴿بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ﴾ أي: بعد ما تعرض له من البؤس والفقر ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي يقول: ذهب ما عانيت من الشدة. ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ أي: بجلاء الشدة والفقر عنه، ولكنه لا يتذكر نعمة الله التي أنعم بها عليه، ولا يشكره على ما تفضل به عليه من زوال الشدة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثنى الله من ذلك المؤمنين الصالحين الذين يصبرون على ما ينالهم من الله فيحمدونه ويشكرونه في السراء والضراء. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) (١). ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: سيحظى أولئك المؤمنون الصالحون بالمغفرة لذنوبهم والأجر الكبير على أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من سلوك الإنسان وصفاته كونه ييأس من رحمة الله، ويجحد نعمه ولا يتذكرها. ويستثنى من ذلك المؤمنون الصالحون في أقوالهم وأعمالهم، وكونهم يصبرون في السراء والضراء؛ وهذا يقتضي عدم القنوط أو اليأس من رحمة الله.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧١٧٨.

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُزٌّ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد ألا تترك ما يوحى إليك رغبة في إيمان المشركين؛ ذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: سوف نتبعك لكن اترك سب آلهتنا فنزلت هذه الآية (١)، والمعنى أن عليك أن تبلغهم بما أنزل الله إليك. ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ أي: لا يضيق صدرك. ﴿ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُزٌّ ﴾ أي: مال. ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ أي: نزل عليه ملك يؤيد ما يقوله لنا والقاتل بذلك عبد الله بن أبي أمية المخزومي (٢). ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ أي: يا محمد إنما أنت مبلغ عن الله رسالته وتنذرهم بها، ولا تهتم ولا يضيق صدرك بما يطلبونه منك من الآيات. ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: هو الحافظ والشاهد على ما يقولون.

(١) تفسير البغوي ص ٦١٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٤٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٩٠.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: سيقولون لك إنك أتيت بهذا القرآن من عندك فقل لهم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ أي: فليفتروا عشر سور مثله إن كانوا يستطيعون. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: استعينوا بمن ترونه من البلغاء والفصحاء والكهان إن كنتم صادقين أن محمداً قد افتراه.

﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: إن لم يأتوا بما دعوتهم إليه يا محمد من الإتيان بعشر سور مثل القرآن - وهم لن يأتوا بها أو أقل منها-. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي: بإرادته وحكمته وأن محمداً صادق في قوله. ﴿وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: إن الذي أنزل هذا القرآن هو الإله الذي لا إله غيره. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ أي: فهل تسلمون بعدما جاء تكلم هذه البراهين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المشركين وسائر الكفار يجحدون الحق ويجادلون بالباطل، وهذا يقتضي عدم قبول جدلهم وأن على الداعي إلى الله ألا يضيق صدره منهم بل يصبر على دعوته وهو غير معني بهدايتهم؛ لأن الهادي هو الله. ومن الأحكام: تكذيب الله للمشركين في اتهامهم لرسول الله ﷺ بأنه افترى القرآن ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا فقامت الحجة عليهم.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَارُ مُوعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

بيان الآيات:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ المراد بهم الذين يراؤون بأعمالهم فيصلون ويصومون ويزكون ويتصدقون ليقال ذلك عنهم. ﴿نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أي: يجزون على أعمالهم هذه ولا ينقصون منها شيئاً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ أي: لاحظ لهم في الآخرة إلا النار جزاء ريائهم. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي: خسروا ما كانوا يعملونه في الدنيا. ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بطل كل ما كانوا يعملونه لأنه ليس لوجه الله وطاعته. ونظير هذا قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (١).

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ ﴿نحو عبد الله بن سلام وهو على دليل من ربه، وذلك باتباعه القرآن وليس مثل من يريد الحياة الدنيا وزينتها.﴾ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ﴿أي: يتبعه شاهد يؤكد صحته، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي الاعتراف بربوبيته وألوهيته كما قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه)﴾^(١). ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ ﴿أي: جاءه شاهد آخر قبل القرآن وهي رسالات الأنبياء، ومنها التوراة التي تشهد جميعها لهذا القرآن بالحق كما تشهد بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ.﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ﴿أي: طوائف من بني إسرائيل تؤمن بصدق القرآن ونبوة محمد كعبد الله بن سلام.﴾ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ ﴿أي: من بني إسرائيل ومن الطوائف الأخرى.﴾ ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ ﴿أي: ماله.﴾ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ ﴿أي: في شك والمخاطب رسول الله ﷺ والمراد غيره.﴾ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ﴿أي: إن القرآن هو الحق والقول الصدق الذي نزل من عند الله.﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿أي: رغم أنه الحق والصدق إلا أن كثيراً من الناس كحال المشركين

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم (٢٦٥٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٦.

وكثير من اليهود والنصارى لا يؤمنون به وسيجزون على كفرهم به كما قال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن النية أساس العمل كما قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(٢). والمراد أن من عمل عملاً ابتغاء عرض من عروض الدنيا أعطي نصيبه منها، وخسر آخرته. ومن الأحكام: أن المسلم على بينة من دينه وشاهده فطرته التي فطره الله عليها واتباعه لكتابه ولرسوله محمد ﷺ فمن لم يكن على هذا المنهج فليس له بينة يأتي بها يوم القيامة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ المثل بملته، برقم (١٥٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، برقم (١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١٥.

عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي
 الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ
 مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم ممن
 يفترون على الله الكذب فيقولون كلاماً لم يقله، أو يحرفون ما قاله
 كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ
 وَهَذَا حَرَامٌ لَنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا
 يُفْلِحُونَ﴾ (١). ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أي: سوف يعرضون
 عليه يوم القيامة فيجازيهم بما عملوا ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ﴾ أي:
 الملائكة الحفظة ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أي: هؤلاء هم
 الذين كانوا يفترون على الله الكذب وفي حديث ابن عمر أن رسول
 الله ﷺ قال: (وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق
 هؤلاء الذين كذبوا على الله) (٢). ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي:

(١) سورة النحل الآية ١١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم (٢٧٦٨)، صحيح

مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٩٥ .

طرده لهم وسخطه عليهم وحرمانهم من رحمته. ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذا وصف للذين يفترون على الله الكذب بأنهم
بفعلهم هذا يبتعدون بأنفسهم وبغيرهم عن توحيد الله وطاعته.
﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يعدلون بالفطرة التي فطر الله الناس
عليها - وهي الإيمان - إلى الشرك والكفر. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾
أي: مكذبون بالبعث والنشور.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ليسوا بمعجزين
لله إذا أراد أن يعذبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي:
أنصاراً يحمونهم من عذابه. ﴿يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي: يجزون
حسب كفرهم فكلما كانوا أشدَّ كفراً كانوا أكثر عذاباً ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ﴾ أي: أن يسمعوا كلام الله ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لم
يستعملوا سمعهم وأبصارهم في قبول الحق واتباعه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بما ضيعوها في الدنيا
حين اتبعوا الباطل وتركوا الحق ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾
أي: ذهب افتراءهم وكذبهم على الله فلم يعد لهم إلا الحسرة والندامة
والخسران. ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ أي: لا بد ولا
محالة أنهم أخسر الناس يوم القيامة، وذلك بما سيؤولون إليه من
العذاب المقيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من أشد الذنوب الكذب على الله إما بنسبة قول إليه لم يقله، أو تحريف كلامه أو نحو ذلك من الأقوال الباطلة. تقرير أن من يفعل ذلك سوف يعرض على الله يوم القيامة وتشهد عليه الملائكة ثم يطرد من رحمة الله. كما أن من أشد الذنوب صد العباد عن سبيل الله وإضلالهم عن الفطرة التي فطرهم عليها. ومن الأحكام: أن الظلمة كلما يشتد ظلمهم يشتد عذابهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ مثل الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لما ذكر الله حال الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة بين حال المؤمنين ومالهم من الأجر والثواب ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: أطاعوه ووجدوه وخشعوا له ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: هؤلاء هم ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: أهل الجنة المخلدون فيها.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ ضرب الله مثلاً للمؤمنين والكافرين فمثل

الكافر مثل الأعمى الذي لا يبصر والأصم الذي لا يسمع؛ فهو لا يبصر الحق ولا يسمعه. ومثل المؤمن كمثل البصير الذي يبصر الحق والسميع الذي يسمعه ويتبعه. ونظير ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾^(١) ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾^(٢). ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾^(٣). ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾^(٤). ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ وجوابه أنهما لا يستويان. ﴿أَفَلَا نَذْكُرُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون وتعقلون فتميزوا بين هؤلاء وهؤلاء.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المؤمنين الذين يعملون الصالحات من صلاة وزكاة وصيام، ويتبعون أحكام الله سوف يجزون بالخلود في الجنة. ومن الأحكام: تقرير ضرب الأمثال للناس لتقريب المعاني إلى عقولهم. ومنها: تشبيه الكافر بالميت حيث إنه لا يسمع ولا يبصر، وتشبيه المؤمن بالحي الذي يبصر ويسمع.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢٥) ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾^(٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ

(١) سورة فاطر الآية ١٩ .

(٢) سورة فاطر الآية ٢٠ .

(٣) سورة فاطر الآية ٢١ .

(٤) سورة فاطر الآية ٢٢ .

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ في هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ تسليية له أنه كما أرسله إلى الناس فقد سبق أن أرسل نوحاً من قبله، وكان هذا أول رسول أرسله إلى المشركين يحذرهم عن عبادة الأصنام. ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أحذركم من العذاب الأليم الذي سينزل بكم إذا استمررتم على الشرك بالله. ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: إفراده وحده بالعبادة. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أي: إني أشفق عليكم من العذاب الشديد إذا لم تتركوا عبادة الأصنام.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ المراد بهم ساداتهم ورؤسائهم. ﴿مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ أي: ما نراك إلا إنساناً عادياً مثلنا فكيف يوحى إليك. والمراد أنه ليست لك ميزة حتى نقبل منك ما تقول. ﴿وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ﴾ توكيد لما قالوه عن عدم مزيته، والمعنى ما رأينا الذين اتبعوك إلا من هم أحقر الناس عندنا ولم يتبعك الأشراف والسادة. ﴿بَادِىَ الرَّأْيِ﴾

أي: أنهم لما اتبعوك لم يكن بعد روية ومعرفة بل قبلوا ما قلته بمجرد دعوتك لهم ولو أنهم ترووا في أمرك لما اتبعوك. ﴿وَمَا زَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ المراد بهم نوح ومن آمن معه، والمعنى أننا لانرى لكم علينا مزية. ﴿بَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْكَذِبِ﴾ أي: أن ما قلتموه هو كذب وافتراء وهذا إمعان في جحودهم لنبوة ورسالة نوح عليه السلام.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن نوحاً عليه السلام أول من أرسل إلى أهل الأرض، وأن قومه أول قوم أشركوا مع الله غيره حين عبدوا الأصنام. ومن الأحكام: أن الأصل في دعوة الأنبياء والرسل توحيد الله وطاعته وحده. ومنها: أن المتبعين لنوح عليه السلام وغيره من الأنبياء هم المستضعفون في الأرض، وأن أصحاب الضلال المنكرين للحق هم السادة والمستكبرون.

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزِلْ مُكْمُومَهَا وَآتَمُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَقُونَ رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مِن بَيْنِ رُفِي مَنَ اللَّهِ إِن طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ

تَزِدْرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّي إِذَا لِمَنِ
الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ ❀

بيان الآيات:

❀ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِّن رَّبِّي ❀ أي: على ثقة ويقين.
❀ وَءَاثَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ ❀ المراد بها النبوة والرسالة ❀ فَعُمِّيَتْ
عَلَيْكُمْ ❀ أي: خفيت عليكم هذه النبوة والرسالة. ❀ أَنْزَلْنَاهَا ❀ أي:
أنزلناكم أن تقبلوها وهذا استفهام إنكاري، والمعنى أني لا أستطيع
إلزامكم بها. ❀ وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ❀ أي: لا يمكن إلزامكم بها مع
كرهكم لها لأن الإيمان يكون نتيجة قناعة وهدى من الله.

❀ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا ❀ أي: لست بسائلكم مالا عن
تبليغي لكم رسالة الله فيكون ذلك صعباً عليكم. ❀ إِنْ أَجْرِي إِلَّا
عَلَى اللَّهِ ❀ أي: أني أطلب أجري ومثوبتي من الله على إبلاغ رسالته.
❀ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ❀ لما طلبوا من نوح عليه السلام طرد
الذين آمنوا معه بوصفهم من الأراذل كما قالوا أجابهم: بأنه لا يمكنه
ذلك. ❀ إِنَّهُمْ مُّلَقُوا رِيبَهُمْ ❀ أي: سيلقاهم فيجازيهم على إيمانهم
ويعاقبني إذا طردتهم كما طلبتم. ❀ وَلَكِنِّي أَرْكُزُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ❀
أي: إنكم جهلة ضالون في تحقيركم لهم وطلبكم مني طردهم.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي: لا أملك شيئاً من خزائن الله فأنا عبد من عبيده، ولا أدعي شيئاً لا أملكه أو أقدر عليه. ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي: لست أحد الملائكة إنما أنا رسول من عند الله أبلغ رسالته إليكم. ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: لا أقول للذين تحتقرونهم ممن آمن بما جئت به ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ أي: لن يثيبهم الله ويؤجرهم على إيمانهم لأنكم تحتقرونهم. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: هو الذي يعلم سرائرهم فيجازيهم عليها. ﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لو قلت: إنَّ عندي خزائن الله أو أعلم الغيب، أو إني ملك، أو قلت للذين آمنوا بي: ليس لكم أجر عند الله بسبب احتقاركم لهم؛ لو قلت ذلك لكنت من الظالمين الذين يعاقبهم الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الداعي إلى الله لا يستطيع إلزام المدعويين بدعوته إذا كانوا لها كارهين. ومن الأحكام: أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لا يأخذون أجراً على دعوتهم كما أن الدعاة لا ينبغي لهم أخذ أجر على دعوتهم ما لم تكن أمور معاشهم تقتضي ذلك - كما سبق ذكره - . ومنها: تحريم طرد المؤمنين بسبب ضعفهم كما يريد ذلك الطغاة والمستكبرون. وفي هذا قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَلَا

تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴿١﴾. ومنها: أن علم الغيب عند الله وحده وأن خزائن الله عنده وحده.

﴿قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَبْحَرُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن استخفاف قوم نوح بالرسالة التي جاء بها إليهم، والمراد من قولهم جادلنا أي: نازعنا وأكثر علينا الخصام والنزاع وما كان ليجادلهم إلا لإظهار دين الله. ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: هات الذي تذكره لنا إن كنت صادقاً فيما تقول. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ أي: إن الذي يأتيكم به الله إن أراد عذابكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: ما أنتم بمستصعبين عليه لا بأموالكم ولا بكثرتمكم. ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ أي: تحذيري

لكم ومحبتي قبولكم لها. ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ أي: أأحذركم. ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: يضلكم. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: هو خالقكم الذي ترجعون إليه فيحاسبكم وفي هذا معنى التهديد والوعيد لهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ﴾ أي: قال قوم نوح: افترى أي: اختلق ما ذكره عن الوحي ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ﴾ أي: إن كنت اختلقته من عندي ﴿فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ أي: عليَّ عقاب ما افترعته. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ﴾ أي: أأبترأ من تكذيبكم لرسالة الله وكفركم بها، وقيل: إن المراد بالآية محمد ﷺ وتكذيب المشركين له، والأول أقوى لأن السياق في قصة نوح وقومه كما ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنه لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه وهو قول أكثر المفسرين^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير شرعية الجدل إذا كان المراد منه بيان الحق وإيصاله لمن يريده. وشاهده قول الله تعالى ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٣). ومن الأحكام: وجوب النصح لمن يريد

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٢٩ .

(٢) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

الهداية. أما من أضله الله بسبب عدم اتباعه للحق فهذا لا ينفع فيه النصح. ومنها: وجوب البراءة من الإجماع وأهله.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتِئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فيه بيان من الله أنه أوحى إلى نبيه نوح أن قومه لن يؤمنوا وأن تكذيبهم له سوف يستمر رغم دعوته المتكررة لهم فلهذا دعا عليهم كما حكي الله عنه بقوله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (١). ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا﴾ (٢). وسيأتي إن شاء الله سياق قصتهم في سورة نوح.

قوله ﴿فَلَا نَبْتِئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا تحزن بهلاكهم وما

(١) سورة نوح الآية ٢٦ .

(٢) سورة نوح الآية ٢٧ .

سوف يصيبهم من العذاب. ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي: اصنع السفينة التي سوف تتركبها أنت ومن آمن معك ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ أي: اصنعها بمرأى منا وبتعليمنا لك عن كيفية صنعها. ﴿وَلَا تُخَاطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ أي: لا تطلب انتظارهم وإمهالهم فإنهم لا محالة مغرقون، والمعنى اقطع علاقتك معهم فلم تك تنفعهم الدعوة ولا النصح.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي: بدأ يصنع السفينة. ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: من أشرافهم. ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾ أي: كانوا يستهزئون به كلما رأوه ويقولون كنت تدعي أنك نبي واليوم نراك نجاراً تعبت بالخشب فيرد عليهم. ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ أي: من صنعنا السفينة. ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ أي: سوف نستهزئ بكم عندما تغرقون. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هذا تهديد ووعد لهم ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: ينزل به في الآخرة عذاب دائم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عدم الحزن على هلاك أهل الضلال والفساد. تقرير أن نوحاً عليه السلام أول من صنع السفن بعد تعليم الله له كيفية صنعها، وأن قومه كانوا يستهزئون به وهو يصنعها؛ ذلك أن أهل الضلال في أي زمان ومكان يستهزئون ويسخرون بمن يدعوهم إلى الله.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٤١ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرَكَبٌ مِّمَّنَّا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝٤٣ وَقِيلَ يَتَاَرْضُ أَبْلِغِي مَاءَكَ وَبَسْمَاءَ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤٤﴾

بيان الآيات:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي: إذا جاء الأمر بهلاك المشركين من قوم نوح ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ أي: فارت الأرض بالماء كما قال تعالى ﴿ فَفُتِحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ (١). ﴿ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (٢). والمراد أنه لما صارت الأرض عيوناً تفور أمره الله أن يحمل معه في السفينة زوجين اثنين من المخلوقات وهو معنى قوله ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي: ذكراً وأنثى لكي يبقى النسل بعد الطوفان. ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ أي: واحمل معك أهلك.

(١) سورة القمر الآية ١١.

(٢) سورة القمر الآية ١٢.

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ منهم بهلاكه وهما ابنه وزوجته وكانا كافرين. ﴿وَمَنْ أَمِنٌ﴾ أي: واحمل معك في السفينة من آمن بي وصدق ما جئت به. ﴿وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: إن من آمن من قومه كانوا ثمانين^(١).

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ أي: أمر نوح من كان معه بركوب السفينة وقال ﴿بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِنَهَا وَمُرْسَهَآ﴾ أي: باسم الله يكون سير السفينة وباسم الله يكون رسوها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفور للمؤمنين رحيم بهم، ولكنه شديد العقاب للظالمين الذين لا يأترون بما أمر ولا ينتهون عما نهى.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ أي: تسير بنوح ومن معه وسط الأمواج الشبيهة بالجبال كما قال تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوِيحٍ وَدُسُرٍ﴾^(٢). ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾^(٣). ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٤). ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ أي: دعاه عندما هم بركوب السفينة بأن يركب معه ولا يكن مع الكافرين. ﴿وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ﴾ أي: في دينه أو كان في مكان غير قريب من

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ١١٨، وتفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ٣٦١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٤٣.

(٢) سورة القمر الآية ١٣.

(٣) سورة القمر الآية ١٤.

(٤) سورة القمر الآية ١٥.

السفينة. ﴿يَبْنِيْ اَرْكَبَ مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِيْنَ﴾ وذلك لأنه عليه السلام لم يعلم أن ابنه كافر فلهذا أمره بالركوب معه إشفاقاً عليه ﴿قَالَ سَاوِيَ اِلَى جَبَلٍ يَّعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ أي: سوف أذهب إلى جبل يمنعني من الماء فلا أغرق فيه فأجابه أبوه ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ أي: لامانع من أمر الله وهو الغرق إلا من رحمه. ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ أي: عزل الموج نوحاً وابنه عن بعضهما. ﴿فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِيْنَ﴾ أي: صار الابن في عداد الهالكين بالغرق.

﴿وَقِيلَ يٰۤاَرْضُ اَبْلَعِيْ مَآءَكَ وَبَسْمَاءُ اَقْلَعِيْ﴾ المراد أن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض بالطوفان أمر الأرض أن تبتلع ما عليها من الماء، وأن تقف السماء من إنزال المطر. ﴿وَعِصَ الْمَاءِ﴾ أي: نقص. ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: هلك كل كافر كان على الأرض. ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ قيل: إن الجودي جبل قرب الموصل (١). ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ﴾ أي: طرداً لهم من رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الأزواج التي حملها نوح معه في السفينة بعد أمر الله له بذلك أبقت النسل على الأرض بعد الطوفان الذي أغرقها. ومن الأحكام: أن الإيمان بالله والاعتصام به سبب للنجاة من عذابه.

(١) تفسير البغوي ص ٦١٢، وزاد مسير لابن الجوزي ص ٦٥٦.

ومنها: أنه يشرع لمن يركب طائرة أو سفينة أو دابة أن يسمي الله.
ومنها: عدم استثناء الكافر من العذاب لأي سبب؛ فلم ينج ابن نوح
ولا زوجته من الهلاك مع قربهما منه. ومنها: تقرير عظمة الله في
إهلاك الكافرين ونجاة المؤمنين.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ
وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ، عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرَ
لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٤٧) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ النداء هنا الدعاء. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ
أَهْلِي﴾ أي: من أهلي الذين وعدتني بنجاتهم من الغرق. ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ
الْحَقُّ﴾ أي: إن وعدك حق وصدق ولا تخلف الوعد. ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَكَمِينَ﴾ وأنت العدل بما حكمت به على الكافرين. ﴿قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ،
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس من أهل دينك وإن كان ابنك من جهة
النسب لأن الأصل هنا الدين. ﴿إِنَّهُ، عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي: إنه كافر وأنت
لا تعلمه، وفي هذا دلالة على أن نبي الله نوحاً لم يكن يعلم حقيقة ابنه،

فقد كان منافقاً يسر الكفر ونوح لا يعلم عنه إلا ما ظهر منه. ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: لا تطلب مني نجاة ابنك وأنت لا تعرف عن كفره. ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: أنهاك وأحذرك أن تكون من الغافلين القليلي المعرفة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: أستجير بك من سؤال ما ليس لي به علم فأنت العليم وأنا عبدك الذي أستمد العلم منك. ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي﴾ أي: تغفر ما بدر من سؤالي غير المناسب. ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ أي: تغمرني برحمتك. ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ أي: أكون من الذين خسروا أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الأصل - كما سبق ذكره - أن الدين هو الأساس في العلاقة بين الأب وابنه كما قال تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية^(١). الحكم بأن المرء ألا يقول على الله بغير علم، وأن عليه أن يتحرى حكم الله قبل أن يقول ما لا يعلم. الحكم أيضاً بدم الجهل ووجوب الاستغفار من الذنب الذي يعلمه المرء والذي لا يعلمه.

(١) سورة المجادلة من الآية ٢٢.

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨)

بيان الآية:

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ أي: انزل من السفينة إلى الأرض بعد أن جفت ويبست وأنت في نزولك محاط بسلام منا أي بأمن. ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ أي: ومع نجاتك وأهلك ومن معك من المؤمنين تمتع أنت والمؤمنون معك وذرياتهم بنعمتنا ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المراد بهم أمم لم يؤمنوا ويستمتعون في الحياة الدنيا ثم يمسهم العذاب يوم تقوم الساعة.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن المؤمنين من الأمم سينالون نعم الله وبركاته في الدنيا، وفي الآخرة سيكون حظهم الثواب المقيم. ومن الأحكام: أن الأمم الفاسدة ستمتع في الدنيا ثم يكون مآلهم العذاب كما قال تعالى ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (١).

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُنْقِيبِ﴾ (٤٩)

بيان الآية:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ المخاطب هنا رسول الله ﷺ أي: هذه الأنباء عمن كان قبلك من الأمم. ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ أي: نخبرك بها لتكون على علم بها. ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ أي: لم يكن لك ولا لقومك علم بها. ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي: من قبل ما أنزل إليك من العلم بخبر الطوفان. ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: تحمّل ما ستلقى من العنت بسبب حملك الرسالة. ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

بين الله لنبيه حال من كان قبله وأمه من الأمم وما حل بالظالمين منهم من العذاب، وفي هذا تقرير وتوكيد لنبوته عليه الصلاة والسلام وأمره بالصبر وتحمل المشاق في سبيل إبلاغ الرسالة كما فعل نوح؛ وكما صبر الرسل الآخرون كما قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾^(١). ثم حكم جلّ وعلا بأن العاقبة للمتقين.

﴿وَالِإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾^(٥٠) يَنْقُورِ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أي: أرسلنا هوداً إلى عاد وسماه أخاهم لكونه من قبيلتهم يتحدث لغتهم كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۚ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (١). وعاد كانوا من عبدة الأوثان ويسكنون في الرمال الواقعة بين الشام واليمن (٢). ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أي: اعبدوه ووحده ولا تشركوا معه أحداً فمالكم من إله إلا هو. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: إنكم باتخاذكم إلها غير الله كاذبون. ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: إني حين أدعوكم إلى عبادة الله وحده لا أطلب منكم مثوبة لأن أجري الذي أتطلع إليه عند ربي الذي خلقني. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: ألا تتفكرون وتتذكرون ما جرى لمن قبلكم من المكذبين لرسلم كقوم نوح. ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروا الله وتوبوا إليه من فعلكم

(١) سورة إبراهيم من الآية ٤ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ١٠، من سورة هود ويقول الرازي: «هذه القبيلة كانت قبيلة من العرب وكانوا بناحية اليمن»، والجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٥٠ .

وشرككم حتى يغفر لكم ويتوب عليكم. ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا﴾ أي: سوف يرسل لكم المطر متتابعاً وكان هؤلاء أهل زروع وثمار. ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ أي: يضاعف لكم أموالكم وما أنتم فيه من الرخاء. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تعرضوا عن دعوة الحق وتبقوا على شرككم.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أنّ دعوة الرسل إلى أقوامهم هي عبادة الله وحده وأن الذين يعبدون إلهاً غير الله كذبة مجرمون. تقرير أنّ الدعاة إلى الله لا يأخذون أجراً على دعوتهم وقد سبق ذكر ذلك. ومن الأحكام: تقرير أنّ الاستغفار والتوبة إلى الله من الذنوب والخطايا سبب في إنزال المطر ونظيره قول نوح لقومه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(١). ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا﴾^(٢). ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣).

﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) **﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ**

(١) سورة نوح الآية ١٠.

(٢) سورة نوح الآية ١١.

(٣) سورة نوح الآية ١٢.

ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ ۖ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
 مِنْ دُونِهِ ۖ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي
 وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۚ إِلَيْكُمْ وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا
 غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾ ❀

بيان الآيات:

❀ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ❀ أي: قال قوم هود له: يا هود
 لم تأتنا بحجة وبرهان على أنك رسول. ❀ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا
 عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ❀ أي: لهذا السبب لن نترك آلهتنا
 ولن نؤمن بما قلت لنا. ❀ إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ ❀
 أي: نرى أن بعض آلهتنا أصابتك بسوء لكونك تسبها وتعاديها
 ❀ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا ❀ أي: أشهد الله عليّ واشهدوا أنتم
 ❀ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ❀ أي: متبرئ منكم ومن أصنامكم. ❀ مِنْ
 دُونِهِ ❀ أي: من دون الله من سائر الأصنام. ❀ فَكِدُونِي جَمِيعًا ❀
 أي: ضروني أنتم وأوثانكم بما ترون. ❀ ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ❀ أي: لا
 تتأخروا في ضري. ❀ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ❀ أي: فوضت
 أمري إلى الله لأنه ربي وربكم وهو النافع الضار وليست أصنامكم.
 ❀ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ❀ أي: ما من نفس في الأرض

ولا في السماء إلا وهي تحت تصرفه وقدرته. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يدبر الأمور بحكمة وبصيرة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: إن تتولوا. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي: أوضحت لكم ما أُرسلني الله به إليكم وهي عبادته وحده لا شريك له. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأتي بآخرين غيركم ليعبدوه ويوحدوه. ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أي: لن يضار من معصيتكم وشرككم. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ أي: إن ربي هو المتولي لأوليائه ويحفظ أعمال عباده ويجازيهم عليها فمن عمل منهم صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء صنيع المشركين ومجادلتهم لأنبيائهم بالباطل وصلابة الرسل في دعوة قومهم، وتبرئهم من عبادتهم للأصنام وتوكلهم على الله لعلمهم أنه وليهم والقادر على حمايتهم ونصرهم. ومن الأحكام: اتفاق الأنبياء والرسل في دعوتهم أقوامهم على أن يدعوهم بالحسنى والحكمة فإن أجابوهم فذاك خير لهم وإن عصوهم أبلغوهم أن مهمتهم هي إبلاغ رسالة الله إليهم وتحذيرهم من سوء ما قد يصيبهم نتيجة عصيانهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ.

وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
 أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: لما أمرنا بعذاب عاد وإهلاكهم بالريح
 العقيم ﴿وَنَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي: أنقذناه
 ومن تبعه من المؤمنين لأن النجاة من الهلاك والعذاب لا تكون إلا
 برحمة من الله، وهذه الرحمة لا تكون إلا لمن حسن عملهم وأخلصوا
 عبادتهم لله وحده كما قال عز وجل ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ
 الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(١). قوله ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: أن ما
 حصل من نجاة هود والمؤمنين معه كان من عذاب شديد هو هلاك
 قومه بالريح .

﴿وَنَزَّلْنَا عَادًا جَحْدُوا بِثَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ المراد أن عاداً
 جحدوا ماجاءهم من البيئات والمعجزات وكذبوا نبيهم هوداً وعصوا
 رسله أي: هوداً وكافة الرسل لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب كل
 الرسل. ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: إنهم لما عصوا نبيهم وجحدوا
 رسالته اتبعوا رؤساءهم الذين أضلوهم وزينوا لهم المعصية.

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: ألحقهم الله في الدنيا سخطه

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: وأتبعوا يوم القيامة طردهم من رحمته ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: جحدوا ما أنعم الله به عليهم من الخيرات كالأمطار التي كانت تنزل عليهم لسقي زروعهم وثمارهم. ﴿أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ أي: وسخطاً لهم وإبعاداً لهم عن رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله ينجي برحمته المؤمنين من العذاب الذي ينزل بالظالمين. الحكم بأن كل من يجحد آيات الله وما جاء به رسله من البينات يطرد من رحمته.

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١) قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَنْقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أي: أرسلنا نبينا صالحاً إلى ثمود وهم قبيلة كانت تسكن وادي الحجر المعروف الآن باسمه. ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ المراد أن الله أرسل إلى ثمود واحداً منهم هو نبيه صالح يدعوهم إلى عبادة الله وحده لأنه لا إله في الوجود إلا هو. ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: بدأ خلقكم منها كما قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(١). ﴿وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا﴾ المراد أنه لما خلقكم من الأرض جعلكم تعمرونها وتستمتعون فيها. ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: توجهوا إليه بطلب المغفرة عن خطيئاتكم من عبادة الأوثان ثم بعد ذلك توبوا إليه من عبادتها واجعلوا عبادتكم له وحده. ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ أي: قريب لمن يدعو مجيب له في دعوته كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢).

ولما بين الله ما كان من حديث بين صالح وقومه يدعوهم فيه إلى توحيد الله ويردون عليه بالسفه من القول. ﴿قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ

(١) سورة طه الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة ١٨٦ .

فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ۖ أَي: كنا نرجو أن تتبعنا فيما نعبده أما الآن فقد يئسنا منك. ﴿أَنْتَهَمُنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ هذا استفهام إنكاري عليه بمعنى كيف تطلب منا أن نترك دين آبائنا ونتبعك. ﴿وَلِإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ ومرادهم أننا في ريبة وحيرة مما تدعوننا إليه خلافاً لدين آبائنا.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ أَي: أجابهم صالح عليه السلام أنه على بينة أي: هدى وبرهان من ربه وقد آتاه الله رحمة من عنده وهي الرسالة. ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ أَي: فمن ينصرني إن عصيت الله وحاشا أن أعصيه. ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أَي: إنكم بدعوتكم لي تزيدون خسراني وضلالي عن الحق.

﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أَي: معجزة حين أخرجها من صخرة صماء. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ أَي: اتركوها تسرح وترعى في أرض الله وتستفيدون منها. ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ أَي: لا تتعرضوا لها بأذى. ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ أَي: تتعرضون إلى عذاب يحيق بكم بمجرد ما يذالها منكم من الأذى ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أَي: ضربوها بالسيف في قوائمها والذي عقرها بعضهم وليسوا كلهم كما سبق

ذكره في سورة الأعراف فقال لهم صالح لما رأى ما فعلوه: تمتعوا في داركم وهذا على سبيل التهديد والوعيد لهم، وقوله ثلاثة أيام أي: لن يأتيهم العذاب إلا بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة، فقد اصفرت ألوانهم في اليوم الأول، ثم احمرت في اليوم الثاني، ثم اسودت في اليوم الثالث، وهلكوا في اليوم الرابع^(١). ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي: هذا الوعد الذي وعدوا به وهو الهلاك وقع بلا شك أو ريب.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله هو المنشئ للخلق من الأرض وجعلهم يعمرونها بالسكن فيها إلى آجالهم المسماة. وإعمار الأرض يقتضي عدم الفساد فيها لأنها خلقت صالحة كما قال تعالى على لسان نبيه شعيب ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢). وكما يقتضي الحكم إعمار الأرض بعدم الفساد فيها يقتضي استمرار الإصلاح فيها، وهذا لا يكون إلا بعبادة الله وحده وشكره على نعمه وما هيأه في الأرض لخلقه من السكن وعمارتها.

ومن مسائل الآية: تقرير طبيعة المشركين في الجدل، وعدم قبولهم ماجاءهم من البراهين والأدلة المعجزة كحال الناقة وتمسكهم بما كان

(١) تفسير ابن وهب ج ١ ص ٣٦٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٦٠، والجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٦٠.

(٢) سورة الأعراف من الآية ٥٦.

عليه آباؤهم من عبادة الأصنام مما يدل على جهلهم وعدم تفكيرهم وسوء إرادتهم، وقد حكم الله عليهم بالهلاك لما كذبوا رسوله وعقروا الناقة التي كانت فائدتها لهم.

وقد أخذ العلماء من إرجاء عذاب الله لقوم صالح ثلاثة أيام حكماً بأن المسافر إذا لم يجمع على إقامة أربع ليال قصر الصلاة لأن الثلاثة الأيام خارجة عن حكم الإقامة.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿ ٦٧ ﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ الثَّمُودِ ﴾ (٦٨).

بيان الآيات:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي: أمرنا بالعذاب لهم. ﴿ بَنَيْنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ أي: أنقذنا صالحاً ومن معه من المؤمنين وذلك برحمة من الله ولطف لأنه لا أحد ينجو من عذاب الله إلا برحمته. ﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ أي: وأنقذناهم من خزي ذلك اليوم ومهانته. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ أي: إن ربك يا محمد هو القوي في ملكوته العزيز في أمره.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ أي: وتعرض أولئك الظالمون للصيحة التي جاءتهم من السماء حتى تقطعت قلوبهم فماتوا منها. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ أي: منكبين على وجوههم من أثر الصيحة. ﴿كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا﴾ أي: كأنهم لم يكونوا ساكنين فيها. ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ المعنى أن ثمود كفروا بما جاءهم من ربهم فبعداً لهم عن رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله ينجي رسله ومن آمن معهم من قومهم مما يحيق بالكافرين من العذاب. أما الظالمون فيهلكهم الله بأي من أنواع العذاب كالرجفة، أو الصيحة، أو حبس المطر عنهم، أو إغراقهم في البحر.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾
 ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (٦١) ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٠) ﴿وَأَمْرًا لَهُ فَايْمَةً فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١)

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ المراد بالرسول هنا

الملائكة والبشرى قيل: إنهم أتوه ليبشروه بالولد^(١) وقيل: يبشروه بهلاك قوم لوط^(٢) ولعلمهم أتوه وهم في طريقهم إلى إهلاك قوم لوط فبشروه بغلام يولد له ﴿قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: بدؤوه بالسلام فأجابهم بالسلام. ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ أي: لما رآهم وسلموا عليه وسلم عليهم أسرع لإكرامهم. ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ أي: العجل صغير أو نضيج البقر والحنيذ المشوي على الحجارة ونظيره قوله تعالى ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾^(٣). ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: لما رأى عدم رغبتهم في الطعام استغرب ذلك وأحس بالخوف منهم كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾^(٤). وقيل: إنه لما قال ذلك قالوا: يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن قال: فإن لهذا ثمناً قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمّدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال: حق لهذا أن يتخذ الله خليلاً^(٥). ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: قالوا له: لا تخف منا ﴿إِنَّا﴾ ملائكة أرسلنا الله إلى قوم لوط لعذابهم. ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ١٢٥، وتفسير ابن وهب ج ١ ص ٣٦٦.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٦٨، وتفسير البغوي ٦٢٤.

(٣) سورة الذاريات الآية ٢٦.

(٤) سورة الذاريات الآية ٢٧.

(٥) تفسير البغوي ص ٦٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٣٣.

فَضَحِكَتَ ﴿١﴾ أي: كانت قائمة على خدمتهم فحينئذ ضحكت تعجباً من حال الملائكة الذين لم يأكلوا الطعام الذي قدمه لهم مضيفهم إبراهيم عليه السلام. وقد يكون ضحكها تعجباً من البشرى لها ولإبراهيم بالولد وهما مسنان وقيل: معنى ضحكت حاضت، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ﴾ ﴿٢﴾ أي: بولد اسمه إسحاق قيل: إنه لما ولد لإبراهيم إسماعيل من زوجته هاجر تمت زوجته سارة أن يكون لها ابن بعدما يئست فجاءتها البشرى أن يكون لها ولد وولد ولد تراه^(١) كما قال ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

الندب إلى تبشير المسلم بما يكون له فيه خير من أمور الدنيا كولد الولد له وخير الآخرة كالرؤيا الصالحة يراها له غيره. ومن الأحكام: في الآية: أهمية إفشاء المرء السلام إذا رأى غيره كما قال رسول الله ﷺ: (أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)^(٢). ومنها: وجوب إكرام الضيف خاصة عندما يكون المرء في حاجة إلى الطعام كحال ابن السبيل الذي ينقطع في الطريق وليس له مأوى.

﴿قَالَتْ يَوْنِلَيَّْ أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٦٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون .. وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، برقم (٥٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٤٩.

عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
 الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى
 يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابَرَهُمْ أَعْرَضَ
 عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا بِهِ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَتْ يَوْنِلَيَّ﴾ أي: قالت سارة: يا ويلتى وهذا استغراب منها لما
 رأت خلاف المعهود وهو حملها كما قالت ﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي
 شَيْخًا﴾ أي: كيف ألد وأنا بهذه السن واليأس من الولد وهذا زوجي
 طاعن في السن ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: إن ما بشرتموني به
 من الولد وولد الولد أمر عجيب. ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ هذا
 جواب من الملائكة لسارة، وفيه إنكار على عجبها أي: كيف تعجبين
 من الحمل بهذا الولد وهو من قدر الله وحكمته في أن يرزقكما هذا
 الولد واسمه إسحاق. ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: أن
 ما حصل هو من رحمة الله وبركاته عليكم يا آل إبراهيم. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ
 مَجِيدٌ﴾ أي: محمود في ذاته وصفاته كريم في عطائه وإحسانه.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: لما ذهب عنه الخوف من
 الملائكة. ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ أي: بأن إسحاق سوف يولد له وأن
 إسحاق سوف يولد له يعقوب. ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أخذ يجادل

الملائكة رسل الله، وفي هذه المجادلة روى حذيفة أنهم لما قالوا ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾^(١). قال لهم: رأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، قال: فعشرون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها عشرة - أو خمسة - قالوا: لا، قال: رأيتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فقال إبراهيم عند ذلك ﴿إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ﴾^(٢).

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ الأواه المتأوه أسفاً على فعل قوم لوط، وكفرهم برسالة الله، وإصرارهم على فعل الفاحشة، والمنيب الراجع إلى الله.

﴿يَتَابَرِهِيُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ هذا أمر لإبراهيم أن يترك الجدل في قوم لوط لأن أمر الله نزل بهلاكهم على أفعالهم ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: حق عليهم عذابه ﴿وَأَنَّهُمْ عَذَابُ غَيْرِ مَرْدُودٍ﴾ أي: سوف ينزل بهم عذاب خاص بهم لا مدفع منه عنهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الدلالة على أن المرأة قد تلد بعد طعنها في السن ويأسها من الولد

(١) سورة العنكبوت من الآية ٣١.

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن بألفاظ مختلفة ج ٧ ص ٧٩-٨٠، وذكره القرطبي في تفسيره ج ٩ ص ٧٢، وذكره الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٢١٨، والآية في سورة العنكبوت الآية ٣٢.

وذلك بقدرة الله عز وجل. والدلالة على أن الذبيح هو إسماعيل ابن إبراهيم وليس إسحاق لكون البشارة حصلت به وأنه سيولد له ولد اسمه يعقوب فلا يمكن أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل ولم يولد له بعد يعقوب. ومن الأحكام: عدم مشروعية الجدل في الأحوال التي يكون الحكم فيها مبنياً على الشرع ومشروعيته في الأحوال التي ليس فيها مثل هذا الحكم. ومنها: الحكم بأن الله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين الذين يعرضون عن الحق ويصرون على المعصية. وهذا يقتضي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ لا تبرأ ذمة أحد يرى آخر على المعصية ولا ينكر عليه كما قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَن﴾
 اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُزِيدُ ﴿٧٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ في هذا بيان من الله تعالى أن الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم جاؤوا إلى لوط وهو ابن عم إبراهيم، وكان يحترث في أرضه فلما رآهم ساءه مجيئهم وضاق صدره بهم خوفاً عليهم من قومه؛ ذلك أنه لم يعلم أنهم ملائكة ولم يعلم غرضهم من المجيء. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: هذا يوم صعب وعسير علي. وقيل: إنه لما صحبتهم في طريقه إلى البيت أشار أو عرض لهم أن يتركوه فكان يقول: يا هؤلاء والله ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أشر وأخبث من هؤلاء وكان يمشي ويكرر عليهم هذه الكلمات أربع مرات. وقيل: إن الملائكة لم يؤمروا بعذابهم إلا بعد أن يشهد عليهم نبيهم^(١).

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: أتوه مسرعين. ﴿وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ المراد أنهم كانوا على فعلتهم الشنيعة من ارتكاب الفحشاء. ﴿قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ وقصده من هذا عليه السلام إرشادهم إلى نسائهم، وهم بناته بوصفه النبي الذي أرسل إليهم ذكورهم وإناتهم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أي: اخشوا الله واستحيوا منه ولا تجعلوني في ضيق وعنت أمام ضيوفي

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٨١، وتفسير البغوي ص ٦٢٦.

﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ أي: أليس فيكم رجل عاقل يطيعني فيما أمرتكم به من غشيان نساءكم.

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ والمراد أن جدال لوط عليه السلام ونصحه لهم لم يزداهم إلا طغياناً وكفراً فأجابوه ليس لنا رغبة في زوجاتنا. ﴿ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ أي: أنت تعلم رغبتنا في غشيان الرجال وعدم رغبتنا في غشيان النساء.

أحكام ومسائل الآيات:

إكرام الضيف يقتضي حمايته والمحافظة عليه. تقرير أن المعصية تجعل صاحبها عبداً لهواه فلا يردعه عن فعلها دين ولا عقل.

﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَكُمْ قُوَّةٌ أَوْءَاوَيْتُ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨٠) قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِن مَّوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿ ٨٢ ﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِي مِّنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (٨٣)

بيان الآيات:

﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَكُمْ قُوَّةٌ أَوْءَاوَيْتُ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ في هذا بيان من

الله أن لوطاً كان يتوعد قومه بالعذاب لو كانت له قوة يلجأ إليها أو عشيرة يركن إليها. وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد^(١)) فما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه^(٢). ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ لما رأت الملائكة ضيق صدر لوط، وتحسره من سوء قومه وكفرهم، وبشاعة سلوكهم أخبروه أنهم رسل من عند الله، وأن قومه لن يصلوا إليه، وكان هؤلاء وقوفاً عند الباب وهو يدفعهم وكانوا يهددونه فعند ذلك خرج جبريل عليه السلام فضربهم بجناحه فانطمست أعينهم كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾^(٣). ثم أمره أن يسري بأهله في آخر الليل كما قال عز وجل ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وقوله ﴿وَلَا يَلْنِفْتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: استمر أنت وأهلك في السير كما أمرت ولا تلتفت عندما تسمع أصواتاً أو غيرها. ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ أي: استثنيت من السير معه لكفرها وإقرارها بالفحشاء فقل: إنه أمر أن تبقى ولا تخرج معه. وقيل: خرجت ولكن التفتت

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، برقم (١٥١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٧٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٣٥.

(٣) سورة القمر الآية ٣٧.

فنزل عليها حجر من السماء فأهلكها^(١) ثم أخبرته الملائكة بقرب هلاك قومه، فاستعجله من شدة ما يجد في نفسه عليهم فقالوا ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ أي: إن موعدهم هو الصبح وهذا الموعد قريب فانتظروه.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: لما حق العذاب على قوم لوط ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا﴾ قيل: إن جبريل جعل جناحه في أسفل قراهم ثم رفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم ثم أنزلت عليهم الحجارة^(٢) كما قال تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ ومعنى السجيل أي: الكثير في عدده الشديد في قوته والمنضود أي: المنظم. ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ معلّمة أي: عليها علامات ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ أي: إن هذه الحجارة ليست ببعيدة عن الظالمين أي: ليست ببعيدة عن المشركين من قومك حيث إن قرى قوم لوط تقع بين الشام والمدينة^(٣) وليست ببعيدة عن الظالمين عموماً.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن القوة مصدر لرد الأذى، وما كانت الأمم لتظهر على غيرها إلا عندما يكون لها قوة. والقوة تنقسم إلى قسمين: قوة الإرادة، وقوة المادة وكلتاها مكملتان بعضهما لبعض، وفوق ذلك لا معنى ولا بقاء لأي قوة إذا لم تكن مستندة على طاعة الله. ومن مسائل الآيات: الندب

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٣٥ .

(٢) تفسير البغوي ص ٦٢٧ .

(٣) وتسمى سدوم وتقع في منطقة البحر الميت أو الغور في الأردن بين الأردن وفلسطين.

للسير في الليل عندما يكون المرء في حاجة إلى تبييت أمر له فيه مصلحة أو خشية من حادث يقع له. ومنها: الحكم بأن فاحشة قوم لوط من أسوأ الفواحش وأرذلها، ومن أكثر سخط الله على أصحابها وما من قوم تشيع فيهم إلا يسلط الله عليهم عذابه. وقد سبق أن ذكرنا أن هذه الفاحشة أصبحت شائعة وظاهرة في بلدان عديدة مما ينذر بعقاب من الله. وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: (لا تذهب الليالي والأيام حتى تستحل هذه الأمة أدبار الرجال كما استحلوا أدبار النساء فتصيب طوائف من هذه الأمة حجارة من ربك)^(١).

قلت: وليس استحلالها وفعلها هو الحرام فحسب، بل وعدم إنكارها على من يفعلها من الأمم كذلك؛ ذلك أن هذه الأمة مسؤولة مسؤولية مطلقة عن تبليغ دين الله الذي حرم هذه الفاحشة وغيرها من الفواحش.

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَتَقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين قبيلة من قبائل العرب وكانت تقطن بين الحجاز والشام من جهة مدينة معان الحالية^(١) وشعيب منهم أرسله الله إليهم لعبادته كما قال تعالى ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هذه هي دعوة جميع الرسل إلى قومهم أن يعبدوا الله ويوحده ويقرؤا أنه لا إله غيره. ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ وفي هذا دلالة على أنه مع إشراكهم بالله وكفرهم كانوا يبخسون الناس في معاملاتهم ويطففون في الكيل والميزان فإذا كان البيع لهم من طعام وغيره استوفوا أكثر مما لهم وإذا كان البيع منهم باعوه بكيل ووزن ناقص. ﴿إِنِّى أَرِىكُمْ بِخَيْرٍ﴾ أي: قال لهم نبي الله شعيب: انتهوا عن الشرك بالله وعن فعلكم في معاملاتكم فأنتم في سعة من الرزق مما يجب عليكم حمد الله تعالى وشكره ﴿وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: إني أخاف عليكم من عذاب يحيط بكم في الدنيا فيهلككم فيها أو يمسك عنكم نعمه وسعته في الرزق فتصبحوا خاسرين. ﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧، وتقع مدينة معان في الجهة الجنوبية من الأردن على الأطراف الغربية للهضبة الصحراوية الممتدة من شبه الجزيرة العربية حتى بادية الشام.

بِالْقِسْطِ ﴿٣٤٧﴾ أَي: أدوا ما يجب من الوفاء بالكيل والميزان على أساس العدل بحيث لا تظلموا من يتعامل معكم. ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أَي: لا تأخذوا منهم شيئاً لا تستحقونه. ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أَي: لا تفسدوا في الأرض بالتطفيف في الكيل أو الوزن وفي هذا دلالة على أن ذلك من الفساد في الأرض ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المراد أن ما يبقى لكم بعد الوفاء بالحقوق كاملاً غير منقوص خير لكم بما يجعل فيه بركة أكثر مما تبخسونه ظلماً ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أَي: إن كنتم تؤمنون بالله حق الإيمان فهذا يوجب عليكم عدم تطفيف الكيل والوزن. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ﴾ أَي: قال لهم شعيب: هذه هي رسالة الله إليكم، أما أنا فلا أستطيع حفظ مكاييلكم وموازينكم بل الله هو الذي يحفظ عليكم أعمالكم فيجازيكم عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم بخس الناس حقوقهم كالغش ونحوه، وتحريم تطفيف الكيل والوزن وكل ما يدخل في هذا المعنى من صور التعامل. الحكم بوجوب الوفاء في التعامل. تقرير أن بخس الناس أشياءهم وتطفيف الكيل أو الوزن معهم يعد فساداً في الأرض. وقد عدَّ الله الفساد في الأرض محاربة له تستوجب أشد العقوبة كما قال تعالى

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ الآية (١).

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٨٧)
 قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
 اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨).

بيان الآيتين:

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ ﴾ كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة والعبادة فهذا جواب من قومه قالوه له على سبيل الاستهزاء بمعنى هل صلاتك ﴿ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ أي: نتخلى عن عبادة كان يفعلها آبائنا من أجل صلاتك. ﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ أي: وهل نطيعك فنفسد ما كنا نتعامل به مع غيرنا ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ لم يقصدوا بهذا مدحه عليه السلام فقد آذوه وعيروه وإنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء.

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ أي: قال

شعيب لقومه: أرأيتم إن كنت على دليل وبرهان من ربي فيما جئتكم به. ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: رزقاً كثيراً وحلالاً والمراد أن الله أعطاني البينة والبرهان على عبادته وحده ورزقني وكان عليه السلام كثير المال فهل أتبع ضلالكم وأطيعكم فيما تفعلونه من تطفيف الكيل والوزن؟ وهذا على سبيل الإنكار منه عليه السلام لسلوكهم. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ﴾ أي: من المستحيل علي أن أنهاكم عن شيء وأفعله ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: إن ما أريده منكم هو إصلاح عبادتكم وجعلها لله تعالى وإصلاح تعاملكم مع الناس وهذا هو ما أستطيع أن أقوله لكم. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: إن هدايتي ورشدي من الله. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت. ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: أتوب وأرجع إليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

بيان أن عادة الكفار الاستهزاء بأحكام الله وتكذيب رسله مما يعد كفراً يستحق معه صاحبه الهلاك في الدنيا والآخرة، وقد بين الله ذلك في المنافقين الذين كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ وأصحابه في قوله تعالى ﴿قُلْ أَيْدِي اللَّهِ وَأَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١). ﴿لَا تَعْذَرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٢). ومن الأحكام: أن من ينهى

(١) سورة التوبة من الآية ٦٥ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

عن فعل أمر غير مشروع عليه ألا يخالفه بل يكون هو القدوة في اجتنابه كما قال تعالى محذراً المؤمنين عن مخالفة أفعالهم لأقوالهم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١). ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢). ومنها: الحكم بأن الأمر بالإصلاح يكون بقدر الاستطاعة، وأن التوفيق في الدعوة هو من الله فهو الموافق والمرشد لعباده.

﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾^(٨٩)
 ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٩٠)

بيان الآيتين:

﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ أي: لا تحملكم عداوتكم وبغضكم لي على الاستمرار في الكفر وترك الإيمان. ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ أي: إن بقيتم على كفركم فسيصيبكم ما أصاب الكفار من الأمم قبلكم ممن أهلكهم الله بالعذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ كانوا يعرفون عذاب قوم لوط ويعونه لقرب عهده ولقرب ديارهم من ديارهم.

(١) سورة الصف الآية ٢.

(٢) سورة الصف الآية ٣.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه من ذنوبكم الماضية ثم توبوا إليه منها. ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي: يرحم ويحب من يتوب إليه ويتقيه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحذير من يكفر بآيات الله ويرتكب المحرمات بأن العذاب يصيبه كما أصاب من قبله من الكفار، وأن الواجب على من أذنب أن يستغفر الله من ذنوبه ويتوب إليه منها ويقطع علاقته بالكفر وأهله ومن فعل ذلك رحمه الله وأحبه.

﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِيزٍ﴾ (١١) قَالَ يَنْقُومِ آرْهَطِيحَ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢) وَيَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (١٣) .

بيان الآيات:

﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ أي: لا نفهم ما أنت

تدعونا إليه وفي هذا دلالة على توليهم عن سماع ما كان يقوله لهم مع احتقاره ﴿وَإِنَّا لَنَرَنَّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: واحداً. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي: لولا قوة عشيرتك لرجمناك أي: قتلناك أو خاصمناك. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ أي: ليس لك عز عندنا ولا مكانة. ﴿قَالَ يَنْقُومُ آرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: هل عشيرتي وقومي أعظم عندكم من الله الذي خلقكم ثم يميئتم ثم يحييكم. ﴿وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ أي: اتخذتم رسالة الله التي جئت بها إليكم وراء ظهوركم. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر وتطفيف الكيل والوزن وبخس الحقوق. ﴿مُحِيطٌ﴾ أي: حفيظ لما تعملونه.

﴿وَيَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: اعملوا على ما أنتم عليه طالما أنكم لم تقبلوا مني وفي هذا تهديد ووعد لهم. ﴿إِنِّي عَمَلٌ﴾ أي: عامل بما أمرني الله به وهداني إليه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: سوف ترون من يصيبه العذاب أنتم أو أنا. ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ أي: ومن هو كاذب منا. ﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ أي: انتظروا ما سيأتيكم. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أي: منتظر.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن قوة الداعي إلى الله تمنعه من سفه قومه. وإيذائه؛ فكلما

كان ذا قوة ومكانة كان ذلك أخف عليه من عنت قومه بل إن قوته وبسط يده تنفع في نشر الدعوة ولهذا كان رسول الله ﷺ كريماً في دعوته سخياً في عطائه وفي ذلك روى أنس أنه عليه الصلاة والسلام ما سئل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل يسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها^(١).

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا يَمْنُونَهَا إِلَّا بَعْدَ لَمَدَيْنِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي: الأمر بالعذاب وهو صيحة جبريل فيهم حتى ماتوا ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ أي: سلمنا شعيباً ومن آمن معه من قومه من الصيحة التي نزل بها جبريل. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ أي: هامدين. قال الامام ابن كثير: ذكر في سورة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا. وكثرة عطائه، برقم (٢٣١٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦١٢٩-٦١٣٠.

الأعراف أنها الرجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه ففي الأعراف لما قالوا ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾^(١) ناسب أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها. وههنا لما أسأوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم وأخمدتهم. وفي الشعراء لما قالوا ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢) قال ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) وهذا من الأسرار الدقيقة ولله الحمد والمنة^(٤). ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: كان لم يعيشوا في بلادهم. ﴿أَلَا بَعْدَ لِمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ﴾ أي: بعداً لهم جميعاً على كفرهم بالله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله ينجي المؤمنين من العذاب الذي يحيق بالكافرين، وأن هذا العذاب يناسب نوع الظلم والكفر ودرجته؛ فالظالم يجزى بما يناسب ظلمه، والكافر كذلك ولا يظلم الله أحداً ولا يعاقبه إلا بذنب اقترفه.

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٨ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٨٧ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٨٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٣٩ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه أرسل موسى إلى فرعون ملك القبط بالآيات البينات وهي تسع سبق ذكرها في سورة الأعراف. ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أرسلناه بحجة بينة. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: قومه ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: اتبعوا فرعون ولم يؤمنوا بما جاء به موسى. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: ليس يدلهم على خيرهم. ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يتقدم فرعون قومه يوم القيامة بوصفه رئيسهم الذي علمهم الكفر. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أي: يدخلهم النار ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ أي: تعس وبئس المكان الذي يؤولون إليه.

﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ أي: حلت عليهم اللعنة في الدنيا. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ أي: وحلت عليهم اللعنة أيضاً في الآخرة، وتعس وقبح الرشد المرفود وهو العطاء الذي أعطي لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

التحذير من اتباع الرؤساء والقادة الذين يضلون أتباعهم عن سبيل الله. الحكم بأن هؤلاء سيقدمون أتباعهم يوم القيامة إلى النار وسيكون لهم العذاب في الدنيا والآخرة وهذا أشد أنواع العذاب.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

بيان الآيات:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ لما بين الله ما حدث لقوم نوح وقوم هود وصالح ولوط وقوم فرعون قال لنبيه: إن ما حدث لهذه القرى وأصحابها قصصناه عليك ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أي: إن هذه القرى منها ما بقي له أثر كديار ثمود، ومنها ما لا أثر له كديار قوم عاد وهو معنى قوله تعالى وحصيد ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ أي: لما جاءهم من البينات وهو معنى قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قوله. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾ أي: ما منعت عنهم أوثانهم وأصنامهم العذاب الذي حاق بهم ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ ﴿٢﴾ أي: لما جاء هذا الأمر بهلاكهم. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ ﴿٣﴾ أي: ما وجدوا من هذه الأوثان إلا الخسران. ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ ﴿٤﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد أن ربك كما أخذ قرى قوم نوح وعاد وغيرهم قادر على أن يأخذ أهل كل قرية ظالمين. ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿٥﴾ أي: موجه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وحي الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما حدث للأنبياء من قبله وما لاقوه من العنت من قومهم، ونصر الله لهم. وفيه دلالة على أن الله جل وعلا ناصر لدينه ومظهر لرسالته كما قال تعالى ﴿وَيَأْتِيكَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزِّلَ نُورُهُ﴾ ﴿١﴾. ومن الأحكام: أن الله لا يظلم أحداً وحاشاه ذلك، ولكن الكافرين يظلمون أنفسهم بسبب تكذيبهم لرسول الله وارتكابهم ما حرمه عليهم من الفواحش. ومنها: تقرير أن الله يهلك الظالمين هلاكاً أليماً، وقد يكون هذا الهلاك معجلاً لهم في الدنيا أو مؤخراً لهم في الآخرة وقد يرى الظالم الاستمرار على الظلم ظناً منه أن الله لا يعاقبه وما يدري أن الله يملي له ويستدرجه كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾. وفي حديث أبي موسى

(١) سورة التوبة من الآية ٣٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٢.

أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾ الآية (١).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: إن ما حدث من إهلاك الكافرين المكذبين لرسلم لعظة ﴿لِمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ المراد به النار ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ أي: محشورون فيه كلهم أولهم وآخرهم ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي: يشهده الخلق لأنه اليوم الذي يجتمعون فيه للجزاء كل حسب عمله. ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾ أي: ما تؤخر يوم الحشر. ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ أي: أجل مقدر ومعلوم. ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ أي: يوم يأت ذلك اليوم. ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي: لا يتكلم أحد إلا بإذن الله. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ أي: من هؤلاء الناس شقي بسبب ذنوبه وخطاياها، ومنهم سعيد بما عمله في الدنيا من الإيمان بالله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، برقم (٤٦٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٥.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن يوم البعث يوم لا ريب فيه وقد قدره الله وعنده علمه وفيه تحشر جميع الخلائق من الإنس والجن والطير وكل ما خلق الله كما قال تعالى ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(١). ﴿وَعَرِضْهَُا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٢). الحكم بأن من الناس من هو شقي ومنهم سعيد. الحكم بأن الناس لا يتكلمون يوم القيامة إلا بإذن الله كما قال تعالى ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٣).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾^(١٠٦) خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾^(١٠٨).

بيان الآيات:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ﴾ أي: الذين حصلت لهم الشقاوة بسبب سوء أعمالهم فلهم النار ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ أي: لهم زفير في صدورهم وشهيق في حلوقةم وذلك يدل على حزنهم وضيقهم

(١) سورة الكهف من الآية ٤٧ .

(٢) سور الكهف من الآية ٤٨ .

(٣) سورة النبأ من الآية ٢٨ .

وشقاوتهم. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مخلدون فيها والمراد بالسموات والأرض في الآخرة وليس في عالم الدنيا. وقيل: أراد به السماء والأرض المعهودتين في الدنيا وأجرى ذلك على عادة العرب في الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده فأفهمهم الله تخليد الكفرة بذلك وإن كان قد أخبر بزوال السموات والأرض^(١). قوله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: من يستثنيه الله من الخلود وهم أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله ولكنهم ارتكبوا الكبائر فيشفع فيهم النبيون والملائكة والمؤمنون فيرحمهم الله برحمته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: يفعل ما يشاء بحكمته وإذا أراد أن يفعل شيئاً قال له كن فيكون تقدست أسماؤه وعز جلاله لا إله إلا هو.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ المراد بهم المؤمنون المتقون الذين استجابوا لأمر الله وصدقوا رسله. ﴿فَفِي الْجَنَّةِ﴾ أي: لهم الجنة. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مقيمين فيها أبداً. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ الاستثناء هنا لا ينصب على خروجهم منها كحال أهل النار عندما يشفع لهم المؤمنون، وإنما المراد أن خلودهم في الجنة كان بمشيئة الله ودوامهم فيها بمشيئته كذلك ولهذا قال عز وجل ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: دائم وغير مقطوع.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله قد قضى على أناس بالشقاوة بسبب ما كسبوه من شر في دنياهم، وهؤلاء يخلدون في العذاب. ومن الأحكام: أن الله قضى على أناس من عباده بالسعادة بسبب ما عملوه في الدنيا من خير واستقاموا عليه، وأن هؤلاء مخلصون في الجنة وخلودهم فيها لا ينقطع بل هو دائم لا يزولون عنه ولا يتحولون.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ﴾ نَصِيدُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لِيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ
 أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

بيان الآيات:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد غيره بألا يكون في شك مما يعبد هؤلاء من الأوثان فعبادتهم باطلة. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: تقليداً خاسراً لعمل آبائهم كما قال تعالى عنهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (١). ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ﴾ نَصِيدُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١١٠﴾ أي: سيوفون جزاء ما عملوا

من خير وشر لا ينقصون منه شيئاً. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ المراد بالكتاب التوراة وقد اختلف اليهود فيها؛ فمنهم من آمن بما جاء فيها، ومنهم من كفر. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ المراد بالكلمة أن الله أراد بحكمته أن يؤخر الجزاء إلى يوم القيامة وقد يكون المراد أنه لن يعذب أحداً إلا بعد أن تقوم الحجة عليه بعد إرسال الرسل. ﴿وَلِيَّائِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ أي: إن مشركي العرب في شك وريب من القرآن بسبب ضلالهم.

﴿وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لَيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: إن ربك يا محمد سيوفي كل واحد عمله ويجازيه عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بأفعال عباده كثيرها وقليلها جليلها وحقيرها.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن عبادة أهل الأوثان عبادة باطلة وسيلقون جزاء شركهم بالله. ومن الأحكام: أن الله أجل لهم العذاب إلى يوم القيامة لحكمة أرادها وقضاء قضاه فلا معقب لحكمه ولأراد لقضائه. ومنها: الحكم بأن الله سيوفي العباد أعمالهم يوم القيامة كثيرها وقليلها ويجزي كل واحد بما عمل.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

بيان الآيتين:

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ المخاطب بهذا رسول الله ﷺ وغيره من أمته وهذا أمر بالاستقامة على دين الله وعلى ما ينال المرء فيه من المشقة. ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ أي: استقم يا محمد أنت وأصحابك الذين تركوا الشرك واتبعوك وأقاموا معك على طاعة الله والجهاد في سبيله. ﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: لا تتكبروا ولا تتجبروا على أحد وادعوا إلى الله كما أمركم أن تدعوا واستقيموا على دينكم واعلموا أن الله يعلم أقوالكم وأعمالكم كبيرها وصغيرها.

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لا تميلوا إليهم ولا تحبهم ولا ترضوا عن أعمالهم ولا تمالئوهم. ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي: تصيبكم النار بموالاتكم لهم ومحبتكم لهم. ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: إن واليتموهم فلن يكون لكم ولي من دون الله ينجيكم من عذابه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا ينصركم أحد من عقابه.

أحكام ومسائل الآيتين:

أمر الله بالاستقامة على دينه؛ وفي ذلك روى سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: (قل آمنتم بالله فاستقم)^(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٠٢.

نزل على رسول الله ﷺ آية أشد ولا أشق من هذه الآية عليه ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب فقال: (شيبتني هود وأخواتها)^(١). الحكم بوجوب عدم موالاة الظالمين، أو مداهنتهم، أو موالاتهم، أو محبتهم بأي صورة ومن فعل ذلك فقد استحق عقاب الله.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤) ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥).

بيان الآيتين:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ المراد الصلوات المكتوبة. ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الطرف الأول صلاة الفجر والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر. ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ المراد بهما صلاة المغرب وصلاة العشاء. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ أي: إن الصلاة تكفر صفائر الذنوب، وإن الحسنات عموماً تذهب السيئات إذا اجتنبت الكبائر. ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ أي: اصبر على فعل الطاعات وعلى ما ينالك من أذى المشركين وعنهم، فإن الله لن يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا في أقوالهم وأفعالهم وأخلصوا نياتهم وطاعاتهم لله عز وجل.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٢٩٧)، بلفظ «شيبتني هود والواقعة والمرسلات»، ج ٥ ص ٣٧٥.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بفريضة الصلوات الخمس، وبيان أوقاتها. بيان أن الحسنات يذهبن السيئات وفي هذا روى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يُبْقَى من درنه؟) قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً قال: (فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)^(١). وما رواه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)^(٢). ومن أحكام الآيات: وجوب الصبر على طاعة الله، وعلى ما يلاقيه المسلم من عنت أو مشقة بسببها فكل ذلك مما يحفظه الله ولا يضيعه.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ ١١٦ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ١١٧ ﴿ .

بيان الآيتين:

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي: فهلا كان من الأمم

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، برقم (٥٢٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ١٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة.. مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، برقم (٢٣٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١١٤٩ .

قبلكم. ﴿أُولُوا بِقِيَّةٍ﴾ أي: أهل دين وتقوى. ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: كانوا قلة أنجيناهم من عقابنا بسبب إيمانهم وتصديقهم لرسولهم ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: دأبوا على ما هم عليه من الكفر مع ترفهم واشتغالهم بالمال وتركهم طاعة الله ولم يستجيبوا للذين دعوهم فحق عليهم العذاب بسبب ظلمهم وجرمهم كما قال تعالى عنهم ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أي: يهلك أهل القرى وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى. ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي: صالحون في أنفسهم، والمراد أن الله لم يهلك أهل هذه القرى إلا بسبب فسادهم في سلوكهم كفعل قوم لوط وفسادهم في التعامل بينهم كقوم شعيب.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الناس لا يزالون بخير إذا وجد فيهم من يردعهم عن الظلم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر. وأن الناس لا يزالون على أسوأ حال إذا وجد فيهم من يراهم على المعاصي فلا ينهاهم عنها كما قال تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

وَكَاثُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ
فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾. ولهذا أمر الله المؤمنين
أن يكونوا دعاة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر كما قال عز وجل
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾. وفي حديث أبي بكر رضي
الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا
على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب) ﴿٤﴾. ومن الأحكام: أن الله لم
يعذب أناساً إلا بسبب ظلمهم وفسادهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾.

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨)، سنن أبي داود ج ٤

ص ١٠٧، والترمذي في كتاب التفسير برقم (٣٠٥٧)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٣٩، وابن ماجه

في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥)، ج ٢ ص ١٣٢٧، وأحمد

في مسنده ج ١ ص ٧ .

(٥) سورة يونس الآية ٤٤ .

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لجعلهم على ملة واحدة هي الإسلام أو على ملة واحدة هي الكفر ولكن حكمته اقتضت أن يكونوا على أديان عدة. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: على ملل وأديان متعددة. ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا من رحم الله منهم فهداه للإيمان واتباع ما جاء به الرسل إلى أن جاء رسول الله ﷺ فصدقه واتبع ما جاء به فهذا لم يختلف لأن أهل الإيمان لا يختلفون. ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: خلق الناس منهم مؤمن ومنهم كافر فيجزي كلا بما عمل. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: قضى الله وقدر في الأزل أن يملأ جهنم من الجن والإنس ويملاً الجنة كذلك من الجن والإنس.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله عز وجل لو أراد لجعل الناس كلهم على دين الإسلام، ولكن حكمته اقتضت أن يجعل منهم مسلمين ويجعل منهم كافرين كما قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(١). ومن الأحكام: أن الله جعل الناس مختلفين في مللهم وسلوكهم وفي هذا قال رسول الله

(١) سورة يونس الآية ٩٩.

ﷺ: (تفرقت اليهود والنصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قيل: من هم يارسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)^(١). ويستثنى من هذا الاختلاف من رحمه الله، وهم أهل الإيمان فإن هؤلاء لا يختلفون لأنهم يتبعون كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ ومن يتبعهما لا يضل ولا يشقى.

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(١٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ^(١٢١) وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ^(١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ^(١٢٣) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ﴾ في هذا تسليية لرسول الله ﷺ والمراد أننا نقص عليك يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ الذين سبقوك وما نالهم

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٥-٢٦، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، برقم (٣٩٩١)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢١، والدارمي في كتاب السير، باب في افتراق هذه الأمة، برقم (٥١٨)، ج ٢ ص ٣١٤.

من العنت والمشقة في دعوتهم حين كذبوهم أقوامهم وأذوهم فصبروا على ذلك ﴿مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: نثبت به قلبك على أداء الرسالة والصبر عليها. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ المراد أنه جاءك الحق وهو القصص في هذه السورة عن أخبار الرسل. ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد أن يتعظ من عرف أخبار الأمم السابقة وما حصل لها من العذاب بسبب كفرها، وفي هذه السورة كذلك ذكرى للمؤمنين حتى يكونوا دائماً على حذر وعلى وجل وخوف من الله.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ في هذا تهديد ووعيد والمعنى اعملوا على طريققتكم. ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ أي: على منهجنا وهو عبادة الله وحده وعدم الاشرار به. ﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ وفي هذا تهديد والمراد انتظروا من سيكون السعيد ومن يكون الشقي.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في هذه الآية إخبار من الله عز وجل أنه يعلم الغيب في السموات والأرض وما فيهما من المكنونات والسرائر وهذا الغيب لا يعلمه إلا هو وأن مرجع كل الأمور إليه. ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: أفرد العبادة له وحده والجا إليه في السراء والضراء. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يحصي أعمال عباده كبائرها وصغائرها ويجازيهم عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أهمية القصص في القرآن وما فيه من معرفة أخبار الأمم البائدة، وأهمية الاتعاظ بما حل بها بسبب كفرها ليكون في معرفة ذلك دافع للإيمان وحاجز عن المعصية. ومن أحكام الآيات: توجيه الله لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين والمكذبين له - على سبيل التهديد والوعيد - اعملوا على طريقتكم في الكفر ونحن نعمل على طريقتنا في الإيمان وكل سيجزى بما عمل. ومن الأحكام: أن الله وحده يعلم مكنونات السماء والأرض وأن كل أمر يرجع إليه، وأن على العبد أن يعبد الله وحده ويخلص في هذه العبادة ويتوكل عليه كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة آية

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿الرَّ﴾ تقدم معناها ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي:
القرآن البين في آياته وأحكامه.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب وعلى لسان النبي
العربي وفي هذا تشريف للغة العرب وللعرب أنفسهم لأن القرآن هو
كلام الله، وليس أشرف ولا أعظم ولا أعز منه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
أي: لعلكم تتدبرون هذا القرآن وتؤمنون بما جاء به من الأحكام التي
أحلت الحلال وحرمت الحرام.

لما نزل القرآن وتلاه رسول الله ﷺ سأله أن يقص عليهم فنزل
قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (١)

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٤٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ١٥٠، وزاد
المسير لابن الجوزي ص ٦٧٩.

أي: نقص عليك بوحينا ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ أي: هذا الكتاب ﴿وإن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: أوحينا إليك الذي كنت لا تعرفه عن قصص الأنبياء قبلك ومنهم يوسف.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نزول القرآن بلغة العرب لكي يفهموا معانيه ويتدبروا أحكامه، ويدعوا غيرهم من الأمم إليه. وفي هذا تشريف لهم وقد وصفت هذه السورة بأنها أحسن القصص لما فيها من الحكم، والصبر، والقدرة على العفو والصفح كما فعل يوسف مع إخوته الذين كادوا له وأذوه. ومن الأحكام: في هذه الآيات تقرير نبوة رسول الله محمد ﷺ وما خصه الله به من الفضائل ومنها: إخباره عن قصص الأنبياء والأمم قبله وما حل بهم.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِنَّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤) قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾

بيان الآيتين:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ أي: اذكر يا محمد لمن سألك عما قاله يوسف بن يعقوب لأبيه أنه قال له ﴿يَتَابَتِ إِنَّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾

المراد بهم إخوته وكانوا أحد عشرًا ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: أبوه وأمه. ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ أي: رأى في المنام كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدوا له وقد تبين تأويل هذه الرؤيا بعد أربعين سنة اجتمع فيه مع أبيه وأمه وإخوته.

﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ لما عرف يعقوب عليه السلام أن هذه الرؤيا تدل على تفضيله على إخوته تفضيلاً زائداً يصل إلى حد السجود له خشي عليه منهم إذا عرفوها. ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يفعلوا ما يضرك بعد أن يغويهم الشيطان ويضلهم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: إن الشيطان أحد أعداء الإنسان لكونه يزين له المعاصي كما فعل مع آدم وحواء حين أغواهما بالأكل من الشجرة التي حرمت عليهما.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حصول الرؤيا ومشروعية عرضها على من يعرف تعبیرها، وقد يتأخر ثبوتها بعد عدد من السنين كما حدث ليوسف مع أسرته. والرؤيا الصالحة حق وهي من المبشرات كما قال رسول الله ﷺ: (لم يبق من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له)^(١). وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما حكم بذلك رسول الله عليه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم (٤٧٩).

صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٦٩٢.

الصلاة والسلام^(١). وما كانت بهذه المنزلة إلا لأن فيها شيئاً من الاطلاع على علم الغيب. وتختلف الرؤيا عن الحلم فالأولى من المبشرات أما الحلم فمن الشيطان ويدخل في باب الأضغاث والأحلام. وفي حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (الرؤيا ثلاثة منها: أهويل الشيطان ليحزن بها ابن آدم ومنها: ما يهيم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ومنها: جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)^(٢). ومن الأحكام: في قوله تعالى ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ * أن الرؤيا لا تقص إلا على عاقل أو صديق أو ناصح وفي هذا روى أبو رزین العقيلي أن رسول الله ﷺ قال: (رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة وهي على رجل طائر مالم يتحدث بها، فإذا تحدث بها سقطت، قال: وأحسبه قال: ولا يحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً)^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب القيد في المنام، برقم (٧٠١٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٤٢٢، وأخرجه الترمذي في كتاب الرؤيا، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، برقم (٢٢٧٠)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦١، وابن ماجه في كتاب الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٨٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الرؤيا، باب الرؤيا ثلاث، برقم (٣٩٠٧)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٨٥، والبخاري بلفظ آخر في كتاب التعبير، باب القيد في المنام، برقم (٧٠١٧)، صحيح البخاري مع الفتح ج ١٢ ص ٤٢٢.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الرؤيا، باب ما جاء في تعبیر الرؤيا، برقم (٢٢٧٨)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦٤، وابن ماجه في كتاب تعبیر الرؤيا، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد، برقم (٣٩١٤)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٨٨، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الرؤيا برقم (٥٠٢٠)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٣٣٤.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ ٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨ ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ١٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ﴾ هذا هو ما قاله يعقوب لابنه يوسف والمراد أنه يصطفيك لنبوته. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: يعلمك تأويل الرؤيا. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أي: بأن تكون نبياً يوحى إليك وإلى أولاد يعقوب. ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ أي: إبراهيم الخليل وابنه إسحاق. ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: هو أعلم بأحوال خلقه ومن يكرمه برسالته حكيم بما يقدر ويفعل.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ﴾ أي: كان فيه وإخوته عبر للذين يسألون عن قصتهم. ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ أي: والله

إِنْ يَوْسُفَ وَأَخَاهُ بَنِيَامِينَ وَكَانَ هَذَا شَقِيقَهُ ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ
عُصْبَةٌ﴾ أَي: إِنَّهُمَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَّا وَهُمَا اثْنَانِ وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ. ﴿إِنَّ
أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أَي: فِي خَطَأٍ وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِنَا بِإِثَارِهِمَا عَلَيْنَا مَعَ
أَنْ أَبَانَا وَاحِدٌ. ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ أَي: قَالَ أَحَدُهُمْ: تَخْلَصُوا مِنْ يَوْسُفَ
بِالْقَتْلِ. ﴿أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أَي: فِي أَرْضٍ تَبْعِدُهُ عَنْ أَبِيهِ ﴿يَخْلُ لَكُمْ
وَجْهٌ أَيْبُكُمْ﴾ أَي: تَكُونُ لَكُمْ الْأَثَرَةُ وَالْمَحَبَّةُ عِنْدَ أَبِيكُمْ بَعْدَهُ. ﴿وَتَكُونُوا
مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أَي: سَوْفَ تَكُونُونَ بَعْدَ قَتْلِ يَوْسُفَ أَوْ إِبْعَادِهِ
تَائِبِينَ مِنَ الذَّنْبِ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ التَّوْبَةَ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ قَتْلِهِ أَوْ إِبْعَادِهِ.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ أَي: كَبِيرُهُمْ. ﴿لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي
غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ الْمُرَادُ أَنَّهُ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِعَدَمِ قَتْلِهِ وَإِنَّمَا بِرُمِيهِ فِي
أَسْفَلِ الْبُئْرِ ﴿يَلْقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أَي: لِيَلْتَقِطَهُ الْمَسَافِرُونَ الَّذِينَ
يَرْتَادُونَ هَذَا الْمَكَانَ فَيَأْخُذُوهُ مِنْ أَسْفَلِ الْبُئْرِ فَيَرْمُونَهُ بَعِيداً فَيَكُونُ
إِبْعَادُهُ مِنْ قَبْلِهِمْ لَا مِنْ قَبْلِكُمْ وَهَذَا يَنْفِي التَّهْمَةَ عَنْكُمْ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ﴾ أَي: إِنْ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ إِنْ كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَى رَأْيِكُمْ بِإِبْعَادِهِ
عَنْ وَجْهِ أَبِيكُمْ.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: أنه لا يجوز للوالد تفضيل أحد ولده على إخوته لما

يؤدي إليه ذلك من العداوة بينهم. وشاهده مارواه النعمان بن بشير أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ثم بدا له فقالت: لا أَرْضَى حتى تشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابني فأخذ أبي بيدي وأنا يومئذٍ غلام فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها فقال رسول الله: (يا بشير ألك ولد سوى هذا؟) قال: نعم، فقال: (أكلهم وهبت له مثل هذا؟) قال: لا قال: (فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور)^(١).

ومن مسائل الآيات: أن التآمر والكيد من صفات البشر وسلوكهم وأهم أسبابه الحسد.

﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾
 ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ
 إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ
 غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا
 لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْوَيْدِ
 وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، برقم (١٦٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٤١٨.

بيان الآيات:

لما اتفق إخوة يوسف على إبعاده عن أبيه أخذوا برأي أخيهما الكبير في أن يتخلصوا من يوسف بإلقائه في البئر وقالوا لأبيهم في حيلة مأكرة ﴿يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ أي: لماذا لا تأمننا عليه ونحن إخوته. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ أي: سنعمل على رعايته وحفظه. ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ أي: اتركه يذهب معنا لكي يلعب وينشط ويكتسب صحة قوية ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: سوف نعمل على حفظه ورعايته وكان قولهم هذا لأن يوسف كان طفلاً وهم كبار.

لما قالوا مقاتلهم تلك خشي يعقوب على ابنه منهم لأنه كان يعيش هاجس الرؤيا التي رآها يوسف فكان جوابه لهم ما حكاه الله عنه بقوله عز ذكره ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: إنه ليؤسفني أن تذهبوا به بعيداً عني وهو في هذه السن ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ أي: أخشى أن يفترسه الذئب. ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ أي: تلهون في لعبكم واستمتاعكم وتتركونه فريسة للذئب. ولكي يقنعه لتنفيذ تأمرهم على أخيهما ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: إن أكله الذئب ونحن جماعة لا نستطيع الدفاع عنه ﴿إِنَّا إِذَا لَخَبِيرُونَ﴾ أي: لعجزة هالكون جاهلون بما ينبغي فعله، وفي هذا

توكيد منهم لأبيهم أنهم سوف يحفظون يوسف ويرعونه فلا يستطيع الذئب أن يقترب منه وهم جماعة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ﴾ أي: لما ذهبوا من عند أبيهم يعقوب نفذوا ما أجمعوا عليه فألقوه في البئر بما فيها من المخاطر فنجاه الله من الغرق حيث تقول الروايات أنه ارتفع إلى صخرة في البئر. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنِثْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ أي: أوحى الله إليه أنه في يوم ما سيلقاهم ويخبرهم بما فعلوا به من الغدر. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون ماسيكون لك من حسن العاقبة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المكر لا يكون من الأبعد فحسب بل يكون من القريب لقربه. ومن الأحكام: أن القدر لا بد أن يقع مهما كان حذر الإنسان وخوفه؛ فمع توجس يعقوب من أبنائه وخوفه على يوسف إلا أنه وافقهم على طلبهم وصدقهم فيما قالوه. ومنها: أن الحزن من طبيعة المرء عندما تكتئب نفسه إما ضيقاً بما حدث من حادث ساءها، وإما ضيقاً من حادث تتوقعه كما هو حال يوسف عندما ذهب به إخوته.

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦) ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧) ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ

لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ أي: جاء إخوة يوسف إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون أسفاً وجزعاً على ما حصل لأخيه يوسف رغم حرصهم عليه. ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نتسابق ونترامى ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا﴾ أي: تركناه عند أمتعتنا وثيابنا لأنه صغير لا يستطيع أن يتسابق أو يترامى معنا. ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ أي: عدا عليه الذئب ونحن لاهون عنه فأكله. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: لن تصدقنا بما قلنا ولو كنا صادقين فعلاً لأن محبتك ليوسف تجعلك لا تصدق ما قلناه عما حدث له. ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: دم سخلة ذبحوها ولطخوا بدمها قميصه وكان كذبهم واضحاً ذلك أن القميص كان سليماً من آثار الاعتداء؛ ذلك أنه لو كان الذئب اعتدى فعلاً على يوسف لبدت آثار الاعتداء على القميص بتمزقه أو بعضه، ولما كانت كذبتهم واضحة لم يصدقهم يعقوب. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: زينت لكم أنفسكم ما فعلتم بأخيك فساأصبر صبراً جميلاً لا أشكو منه. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: المعين على ما وصفتم لي من الكذب عن أكل الذئب ليوسف.

أحكام ومسائل الآيات:

البكاء يكون أحياناً وسيلة للعذر ويقصد به قوة التأثير على الرائي والسامع، ولكنه قد لا يدل على صدق الباكي:

إذا اشتبكت دموع في حدود تبين لك من بكى ممن تباكى

ومن الأحكام: مشروعية السبق لما فيه من تمرين الجسم والتمرين على القوة، وكان رسول الله ﷺ يتسابق مع عائشة وسابق بين الخيل وغيرها^(١). ومن الأحكام: جواز الحكم المبدئي بالتهمة إذا ظهرت دلالتها فمن يخرج هارباً من بيت ومعه بعض متاعه يدل مبدئياً على أنه سارق مالم يثبت عكس ذلك عند القضاء. ومنها: أن الكذب غالباً ما ينكشف ولو حاول الكاذب إخفاء كذبه. ومنها: عدم جواز الجزع عند المصيبة أو الحادثة وإنما يجب الاستعانة بالصبر كما قال رسول الله ﷺ (إن الصبر عند أول الصدمة)^(٢).

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، برقم (١٩٧٩)، سنن ابن ماجة

ج ١ ص ٦٣٦، والبخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على

اتفاق أهل العلم. برقم (٧٣٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٣١٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب، برقم (٧١٥٤)،

صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٤٢.

دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ
 مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا
 وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
 وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ المراد بهم جماعة مسافرون مروا بالمكان
 الذي فيه الجب وكان مرورهم هذا إكراماً من الله ليوسف لانتشاله من
 البئر حيث مكث فيها ثلاثة أيام بلياليها. ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ وهو
 الذي يقوم بالنيابة عنهم لاكتشاف موقع الماء. ﴿فَأَدَّلَىٰ دَلْوَهُ﴾ أي:
 أرسل دلوه إلى البئر لرفع الماء منها فتعلق بها يوسف وخرج من الجب
 ففرح صاحب الدلو بما رأى واستبشر به. ﴿قَالَ يَبْشُرِي هَٰذَا غُلَامٌ﴾
 أي: هذه بشرى كبيرة بوجود هذا الغلام، وكان يوسف عليه السلام
 جميلاً حسن الوجه قد بدت عليه علامات النبوة. ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةً﴾
 أي: أخفوه كما لو كان بضاعة من البضائع وقد ذكر ابن عباس رضي
 الله عنهما أن إخوة يوسف أسروه بضاعة لما استخرج من البئر؛ وذلك
 أنهم جاؤوا إلى الذين أخرجوه من البئر فقالوا لهم: بئس ما صنعتُم هذا
 عبد لنا أبق وقالوا ليوسف: إما أن تقر لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء

وإما أن نأخذك فنقتلك فأقرّ لهم فباعوه منهم^(١). ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عليم بما كان يفعله إخوة يوسف معه، وعلیم بما يعمله الذين اشتروه وكان الأمر يجري على ما كان عليه من حال يوسف وإخوته لقدر قدره الله وحكمة أرادها. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: باعه إخوته بثمن قليل ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ قيل: إن ثمنه كان عشرين درهماً^(٢). ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي: زاهدين في ثمنه فكان يهتمهم ببيعه بأي ثمن حتى لا يعود إلى أبيه.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ المشتري له هو وزير ملك مصر واسمه العزيز واسم امرأته زليخا كما ذكر^(٣) وكان من لطف الله بيوسف أن جعل محبته في قلب العزيز فأمر امرأته بإكرامه في طعامه ولباسه وسائر مقامه. ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَّا﴾ أي: لعله يساعدنا ويعيننا في شؤوننا إذا بلغ. ﴿أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا﴾ أي: يكون لنا ولداً لأن العزيز كان حصوراً لا يولد له. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مكنا له في أرض مصر لما ناله من محبة ملكها

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ١٦٩، وتفسير البغوي ص ٦٤، وزاد المسير ص ٦٨٦.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ٦٨٧.

(٣) تفسير الضحاك ج ١ ص ٤٦٣، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ١٤٤، وتفسير ابن وهب ج ١ ص ٣٨٠.

فأصبح آمناً بعد أن طرده إخوته وتآمروا عليه. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ المراد بذلك معرفته بتأويل الرؤيا. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ أي: هو الذي لا يرد أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يدركون حكمة الله وتصرفه في خلقه وتدبيره لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من أحكام الآيات أن اللقيط يعد حراً ويعد مسلماً. ومنها: جواز بيع الشيء الثمين بالشيء اليسير فعند الامام مالك: لوباع درة ذات حظ عظيم بدرهم ثم قال: لم أعلم أنها درة وحسبتها مَخْلَشَبَه (أي خرزاً أبيض أقل ثمناً) لزمه البيع ولم يلتفت إلى قوله^(١).

قلت: وقد لا يكون هذا عدلاً ومع أن في البيع غبناً لأحد المتبايعين إلا أنه لا يجوز أن يكون فيه غبن فاحش لأحدهما.

ومن مسائل الآيات: أهمية الفراسة فقد كان لعزیز مصر فراسة في يوسف وما سيكون له من شأن حين أراد أن يكون له ولداً. وفي الأثر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال لامرأته: (أكرمي مثواه) وابنة شعيب في فراسة موسى حين قالت لأبيها ﴿إِن خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢) وأبوبكر

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ١٥٧.

(٢) سورة القصص من الآية ٢٦.

في توليته عمر ابن الخطاب^(١). ومنها: الدليل على أن التبني كان شائعاً قبل الإسلام وقد حرمه الإسلام. ومنها: الحكم بأن أمر الله غالب على أمر المخلوقين وأنه إذا دبر أمراً لا يستطيع أحد رده.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَعَلَّقَتْ الْأَتُوبَ ۖ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ﴾ أي: لما بلغ قوته واستكملها. ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: النبوة بما فيها من الحكم والعلم. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزيه لكونه من المطيعين لله المستجيبين لدعوته.

﴿وَرَوَدَتْهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ المراد امرأة العزيز التي

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ١٧، وتفسير البغوي ص ٦٤٠، وزاد المسير ص ٦٨٧، والجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ١٩٠، وقال: «قال ابن العربي: عجبا للمفسرين في اتفاقهم على جلب هذا الخبر والفراسة هي علم غريب على ما يأتي بيانه في سورة الحجر وليس كذلك فيما نقلوه لأن الصديق إنما ولى عمر بالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصحبة وطولها والاطلاع على ما شاهد منه من العلم والمنه وليس ذلك من طريق الفراسة وأما بنت شعيب فكانت معها العلامة البينة على ما يأتي بيانه في القصص وأما أمر العزيز فيمكن أن يجعل فراسة لأنه لم يكن معه علامة ظاهرة. والله أعلم».

كان يوسف مقيماً في بيتها وقد أمرها زوجها بإكرامه فلما كبر ورأت ما فيه من الحسن والجمال طلبت منه أن يأتي منها ما يأتي الرجل من أهله ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي: أنها حين راودته عن نفسها أمعنت في هذه المراودة فأغلقت الأبواب وقالت: افعل ما أمرك. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي: أعوذ بالله من فعل ما طلبته. ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أي: إن سيدي والمراد به العزيز أكرمني وأعزني وائتممني فلا يمكن أن أخونه في أهله. ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إن الظالمين الذين يخونون أماناتهم ويرتكبون الفاحشة لا يفلحون في دنياهم ولا في آخراهم.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ المراد أنها أرادت ضربه لعصيانه لها. ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ أي: أراد دفع ضربها له وقيل: همَّ بها أي: خطر في نفسه شيء منها. ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي: لولا أن حدث له ما حدث في نفسه من آيات الله مما جعله يتوقف عما كان في نفسه من خطرات. ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي: كما رأى البرهان الذي أعطيناه فيها صرفنا عنه السوء والفحشاء سواء في قوله أو سلوكه. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: من عبادنا الذين أخلصوا في دينهم وطاعتهم فاستحقوا ما أعطاهم الله من المكرمات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ النبوة تعطى لصاحبها بعد بلوغه قوته العقلية والجسمانية هذا هو الأصل وقد يستثنى منه كما في حال يحيى الذي أعطاه الله النبوة وهو صغير كما قال تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١). ومن أحكام الآيات: أن الله يجزي المحسنين على إحسانهم وهو طاعتهم لله وإخلاصهم في عبادته. ومنها: تقرير أنّ النساء فتنة ومصادقه قول رسول الله ﷺ (ماتركت على أمتي فتنة أشد من النساء وأن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)^(٢). ومن الأحكام: وجوب احترام بيت المضيف وعدم خيانتة في أهله ولا يفعل هذه الخيانة إلا الأراذل من الناس، ولذلك عظم رسول الله ﷺ حرمة الجار فعن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يارسول الله أي: الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قال: ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك)^(٣). ومن مسائل الآيات: أن خطرات النفس من طبائع البشر مع أن الأنبياء معصومون من الخطأ والزلل. وإن حدثت لهم خطرات فلكونهم بشراً لا لكونهم أنبياء وفي الحديث المخرج في الصحيحين قول رسول الله ﷺ (يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بحسنة

(١) سورة مريم من الآية ١٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، برقم (٢٧٤١، ٢٧٤٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٤٥-٦٨٤٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا إِلَهًا آندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، برقم (٤٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٣ .

ولم يعملها كتبته له حسنة فإن عملها كتبته عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف. وإن هم بسيئة لم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبته سيئة واحدة^(١).

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٢٦ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ٢٩﴾

بيان الآيات:

ما زال السياق في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز فقد بين الله تعالى أنهما تدافعا إلى الباب، يوسف يهرب منها وهي تطلبه وأثناء هروبه منها جذبت قميصه فتمزق من شدة الجذب. وأثناء ذلك جاء زوجها عند الباب فلما رآته أخذت تمكر للتخلص مما هي فيه فاتهمت يوسف عليه السلام وقالت لزوجها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أي: فاحشة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب برقم (١٢٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٢٨.

﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: أن يحبس أو يضرب ويوجع على ما فعله وحتى يدرأ يوسف التهمة التي هو بريء منها. ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ أي: أرادت مني عمل الفاحشة بها. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ولكي يعرف الزوج حقيقة ماجرى فقد أوكل الأمر إلى رجل كان يستشير، وكان من أقرباء أهل المرأة وكان مع زوجها حين وقف عند الباب فحكم بينهما بأن قميص يوسف إن كان قد من أمامه فهي صادقة. وإن كان القميص خرق من دبره فهي كاذبة وهو صادق. وقيل: إن الشاهد في هذه القضية كان صبياً في السن أنطقه الله ولعل القول الأول أصح^(١).

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ عرف زوجها صدق يوسف وبرأته وكذبها. ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أي: هذا الذي قلته عن يوسف كيد ومكر. ﴿إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ﴾ تأكيد لكيد النساء ومكرهن ثم قال ليوسف ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: اترك البحث فيما حدث ولا تُفْشِهْ لأحد ومراده من ذلك الستر على زوجته حتى لا تلوث سمعتها الألسن ويتعرض لها الناس بالقول الفاحش ثم قال لزوجته ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لَذُنُوبِكِ﴾ أي: استغفري الله عما حدث منك من إغراء يوسف واستدراجه للسوء ثم الكذب عليه. ﴿إِنَّكَ كُنْتَ

(١) تفسير البغوي ص ٦٤٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٦٩٣.

مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٠﴾ أَي: إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا أَخْطَاءَ فُوجِبَ عَلَيْهِمُ
الاستغفار منها.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية الدفاع عن النفس كما فعل يوسف في درء الفعل الذي
حرمه الله. وفي القصة دليل على العمل بالعرف والعادة وتحكيم ذوي
المعرفة في الإشكالات التي تحدث بين الناس. ومن الأحكام: مشروعية
الستر وشاهده قول رسول الله ﷺ (من ستر مسلماً ستره الله
يوم القيامة)^(١). تحريم قذف البريء، ووجوب الاستغفار من الذنب
والخطيئة كما قال تعالى ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيِكِ﴾

﴿١١﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ
نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۚ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ
بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ۖ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ
سِكِّينًا ۖ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
حَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ
الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا
ءَامُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، برقم (٢٤٤٢) صحيح
البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ١١٦ .

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هذا بيان من الله تعالى لشيوع خبر يوسف مع امرأة العزيز وحديث الناس عنها وقولهم ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: تستميله إليها. ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: أثر في قلبها حبه. ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي قالت النسوة: إنها بهذا الفعل ترتكب ضللاً مبيناً إذ أن من يعمل مثل هذا الفعل قد جانب الطريق المستقيم واتبع هواه وأضل نفسه. ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ المراد أنها لما سمعت بهذا الحديث عنها وانتقادها وذمها على فعلها. ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أرسلت إليهن تدعوهن للحضور إلى منزلها لاستضافتهن بعد أن استأذنت في ذلك زوجها. ﴿وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَكَّةً﴾ أي: وضعت لهن مجالس يتكئن عليها بحكم اهتمامها بهن. ﴿وَأَنْتَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ وفي هذا دلالة على أنها قدمت لهن طعاماً يحتاج إلى استعمال السكين فيه قيل: إنه الأترج^(١). ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ أي: أمرت يوسف أن يخرج إلى النسوة وأمرتهن أن يقطعن ما معهن من الفاكهة. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ والمعنى أنهن اندهشن من جماله وحسنه، ومن أثر الدهشة صرن يجرحن أيديهن دون أن يدرين أكنَّ يقطعن الفاكهة أم أيديهن.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٦٩٤ .

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي: معاذ الله ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أي: أن هذا ليس من جنس البشر. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: يشبه الملائكة. ولما أدركت امرأة العزيز أنها ليست وحدها التي فتنت بيوسف كادت للنسوة اللاتي اغتبنها وقالت لهن ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ أي: هذا الحب الذي أصابني قد أصابكن فلا لوم علي ثم اعترفت لهن قائلة ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي: استملته إلى نفسي فاستعصى أو عصم نفسه ثم استمرت في إصرارها على استمالته فقالت ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِيُسْجَنَ﴾ أي: وإن لم يمل إلي ويحقق ما رغبته منه فسوف أسجنه. ﴿وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ أي: سوف يكون ذليلاً.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من طبائع البشر تنبؤهم لأخبار بعضهم، وحبهم للاطلاع على قضاياهم؛ وهذا يقتضي أن ما يقع للناس من حوادث قد يعرفها أكثر الناس كما قال الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

كما أن من طبائع البشر حب الثأر والانتقام كما فعلت امرأة العزيز مع صويحباتها. ومن الأحكام: أن قوة الإيمان تدفع مطامع النفس وتتغلب على ضعفها.

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٤) ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَايَاتِ لِيَسْجُنَنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥) .

بيان الآيات:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ لما توعدته امرأة العزيز بالسجن أو الميل إليها قال يوسف عليه السلام: إن السجن أحب إلي من ارتكاب المعصية. ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ المراد كيد النسوة، ذلك أن اللاتي دُعِينَ لرؤيته صرن يراودنه كل واحدة لنفسها وقيل: إن المراد زوجة العزيز كنى عنها بخطاب الجمع (١). ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ أي: أمل وأهواهن. ﴿ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أي: أكن حينئذٍ من الآثمين.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾ أي: قبل دعوته وعصمه من الوقوع في الإثم. ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ أي: كيد النسوة أو كيد امرأة العزيز. ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: الذي يسمع دعاء عباده. ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ أي: بأسرارهم ومن ذلك سماعه دعاء يوسف وعلمه بحاله.

﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ ﴾ أي: تبين للعزيز وبطانته ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَايَاتِ ﴾ وهي براءة يوسف من اتهام امرأة العزيز له وذلك بانشقاق

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٦٩٦ .

ثوبه من دبر. ﴿لَسَجُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: بدا لهم سجنه إلى مدة
اختلف فيها قيل: خمس سنين^(١) وقيل: تسع سنين^(٢) ولعل المراد من
سجنه محاولة نسيان الحادثة وسمعتها على امرأة العزيز.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن يوسف عليه السلام مكث في السجن بضع سنين مكرها
(قيل: هي خمس وقيل: هي تسع) حيث اختاره للحفاظ على عفته
ودينه. والإكراه في هذا له حالتان: الحالة الأولى إن أكره المرء على
الزنى أو السجن وجب عليه قبول السجن. الحالة الثانية إن أكره
على الزنى بالضرب المبرح فاختلف فيه ولعل الصواب أن ذلك يسقط
إثم الزنى وحده. وقيل: لا يسقط عنه الحد وهو ضعيف فإن الله
لا يجمع على عبده عذابين. ومن الأحكام: تقرير قوة إيمان يوسف
وصبره على السجن مقابل عفافه وتقواه وهي صفة يختص بها
المتقون الصادقون في إيمانهم. وفي هذا توجيه للمسلم أن يكون بهذه
الصفة ولهذا ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال
فقال إني أخاف الله)^(٣). ومن مسائل الآيات: أن من طبيعة البشر

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٦٩٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ١٨٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم (٦٦٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ١٦٨ .

محاولة السكوت عن حادث مؤلم حتى ينساه الناس.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعْصِرُ خَمْراً ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۚ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۖ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۖ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ۖ ابْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۖ﴾ المراد بهما خباز الملك وساقيه قيل: إن الملك أقام في قومه مدة طويلة فملوه وسئموه فأوعزوا إلى خبازه وصاحب شرابه أن يدخل السم في طعامه وشرابه فأجاب الخباز، وأبى صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك فأمر الملك بحبسهما جميعاً فتصاحبا مع يوسف في السجن فتوسما فيه تعبير الرؤيا أو هما سألاه عن ذلك (١). ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعْصِرُ خَمْراً ۖ﴾ أي:

(١) ذكره البغوي مفصلاً في تفسيره ص ٦٤٦، وابن الجوزي في زاد المسير ص ٦٩٦.

عَنْبًا ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَبْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: عبر لنا رؤيانا فإننا نراك تعمل الخير في السجن كزيارة المرضى ومداواتهم وتسليتهم عن أحزانهم.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ﴾ أي قال للسجينين: إني أستطيع تعبير ما تريانه من رؤى وأعلم ما يجيئكما غدا من طعام فقالا له: افعل لنرى فقال: يجيئكما غدا كذا وكذا فكان كما قال ثم قال لهما ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ أي: هذا ما أعطانيه ربي والسبب. ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: إني اجتنبت ملة الناس الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالبعث والنشور. ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هؤلاء هم آبائي وأجدادي الأنبياء فأنا على طريقتهم. ﴿مَا كَانُوا لَنَا﴾ أي: ما كان ينبغي لنا ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: أن ملتنا هذه هي عدم الشرك بالله والتبرؤ من المشركين. ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: أن هذه الملة هي من فضل الله ومنته علينا. ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ المراد بهم المؤمنون الذين سلموا من الشرك بعد ما أرسل الله إليهم آياته. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يشكرون الله على نعمه ومنها: إرسال الرسل إليهم ليدعوهم إلى توحيد الله وطاعته.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية تعبير الرؤيا ومشروعية تفسيرها ومن كان صادقاً في رؤياه كان صادقاً في حديثه لقول رسول الله ﷺ (أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً)^(١) ولا يجوز الكذب في الرؤيا لقول رسول الله ﷺ (من حلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين)^(٢). ومن الأحكام: أن الإيمان بالله والبراءة من المشركين سبيل إلى النجاة وإلى كرامة الله لأوليائه. ومنها: أن ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف هي توحيد الله والبراءة من الشرك وأهله وأن هذا من فضل الله عليهم وعلى الناس الذين أرسلوا إليهم.

﴿يَصْحَبِي السَّجَنُ عَازِبَاتٌ مُتَفَرِّقَاتٌ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمَ وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠﴾ يَصْحَبِي السَّجَنُ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَاسْقَى رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ٤١﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا، برقم (٢٢٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٤٠.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم (٧٠٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٤٤٦.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَيْثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾

بيان الآيات:

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾ لم يكن يوسف عليه السلام سجيناً كحال
السجناء الذين يأكلون ويشربون وينامون فحسب، بل كان سجيناً
وداعياً إلى الله وتوحيده فخاطب السجينين بل ونزلاء السجن قائلاً
﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ أي: آلهة متفرقة في عددها. ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ
الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ استفهام إنكاري ينكر فيه على أهل السجن عبادة
الأصنام ويقول: إن هذه الأصنام لا تنفعكم ولا تضركم فالذي ينفع
ويضر هو الله الواحد في ملكوته القهار في قوته وجبروته.

﴿مَاتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: أن ماتعبدون
من دون الله هي أصنام هامة وضعت لها أسماء من عندكم. ﴿أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ﴾ أي: توارثتموها ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي:
ما أنزل الله بها من حجة أو برهان أو بيان. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾
أي: لا يحكم إلا الله فهو الخالق والمدبر. ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾
أي: أمركم أن تفردوا له العبادة وحده. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي:
هذا هو الدين القويم الذي لا دين إلا هو. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة هذا الدين.

﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ أي قال يوسف للساقى: سوف تعود إلى عملك السابق وهو سقي الملك الخمر. ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ أي: قال له يوسف: سوف تصلب فتأكل الطير من رأسك فقالا: والله ما رأينا شيئاً مما قلناه لك فقال يوسف: سواء رأيتما أم لم ترياً. ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي: انتهى ما استفتيتما فيه.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ المراد به الساقى قال له خفية وحتى لا يسمعه الذي سوف يصلب. ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكر حالتى عند سيدك. ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أي: نسي ذلك الذي وصّاه يوسف أو يكون يوسف هو الذي نسي ذكره. ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ أي: جلس فى السجن من ثلاث سنوات إلى تسع سنوات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أهمية الدعوة إلى الله فى السراء والضراء والعسر واليسر، وتوكيد أنه لا دين إلا دين الإسلام، وأن كل دين غيره يعد باطلاً. ومن الأحكام: أنه لا يجوز الكذب فى الرؤيا وقد أشرنا إلى ذلك من قبل؛ فمن كذب فى رؤياه وفسرها هل يلزمه حكمها؟ والجواب أنه يلزمه كذبه لقول الله تعالى فى قصة يوسف ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾

وقال ابن العربي: لا يلزمه شيء لأن يوسف نبي^(١). ومن مسائل الآيات: أنه إذا قيل إن الشيطان هو الذي أنسى يوسف ذكر ربه بينما ذكر الملك المخلوق، وأوصى الناجي أن يذكره عنده دل على أن التعلق بغير الله محرم ناهيك أنه لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً. ولعل يوسف عليه السلام لبث في السجن هذه المدة لأنه لم يذكر الله وإنما ذكر غيره وهو الملك حاله في ذلك حال لوط عليه السلام حين قال لقومه ﴿لَوْ أَنِّي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فقال رسول الله ﷺ: (يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد)^(٢).

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ

(١) أحكام القرآن ج ٣ ص ١٠٨٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، برقم (١٥١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٢١٨، والآية في سورة هود من الآية ٨٠.

سِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ ﴿٤٩﴾ *

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ لما قرب فرج الله ليوسف بإخراجه من السجن رأى ملك مصر هذه الرؤيا التي أزعجته فجمع بطانته من المستشارين والكهنة فعبّر عليهم رؤياه وهي رؤيته سبع بقرات سمان. ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾ إلى آخر ماورد في الآية وقوله ﴿يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: أفيدوني عما رأيته إن كنتم تعرفون تعبيرها وفهمها ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أي: لما عجزوا عن فهمها قالوا: هذه أوهام وأخلاق لا نستطيع تعبيرها وهو معنى قوله ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾. ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ القائل هو الساقى الذي صحب يوسف في السجن وأوصاه عند خروجه من السجن أن يذكره عند الملك فنسي. فعندما رأى هذا الفتى عجز هؤلاء عن تعبير رؤيا الملك اذكر بعد أمة أي: تذكر بعد حين ما أوصاه به يوسف وتذكر قدرة يوسف على تعبير الرؤيا فقال:

أنا أنبئكم بتأويله أي: سوف أخبركم ﴿فَازْسِلُون﴾ الخطاب للملك
قاله بصيغة الجمع على سبيل احترامه. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾
هذا فيه بيان أن الملك وبطانته وافقوا على إرساله للحصول على تعبير
الرؤيا فنادى الفتى يوسف بقوله أيها الصديق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ
بَقَرَاتٍ﴾ إلى آخر ماورد في رؤيا الملك فلما علم يوسف بها قال:
إن سبع البقرات وسبع السنبلات الخضر هي سبع سنين مخصبة،
وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة وهو
معنى قوله تزرعون سبع سنين دأباً.

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ أي: اتركوا ما حصدتم في
سنبله بحيث لا تدوسوه ليكون أفضل لكم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾
أي: دوسوا ما تحتاجونه لحاجتكم الآنية. ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ
شِدَادٌ﴾ أي: سوف يأتيكم سبع سنين مجدبة وفيها الشدة ﴿يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: ما ادخرتم لأجل هذه السنين ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا
تُحْصِنُونَ﴾ أي: يبقى قليلاً من المدخر مما يحبسونه للزراعة في موسمها
القادم. ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ هذا زيادة على الرؤيا وهو من علم
الغيب الذي خص الله به يوسف تعزيراً لمكانته. ﴿فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ﴾
أي: يغيث الله الناس بنزول المطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: مع نزول
الأمطار سوف يعصر الناس العنب والزيتون وغير ذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

الرؤيا تحدث للبشر بصرف النظر عن ديانتهم؛ فيراها المسلم ويراهها غيره وهي كما قال رسول الله ﷺ: على رجل طائر مالم يتحدث الرائي بها فإذا تحدث بها سقطت^(١) ولا ينبغي التحدث بها إلا إلى عاقل.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بِأَلِ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾
 قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا وَرَوْدُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ۖ﴾ هذا بيان من الله تعالى أن الملك لما بلغه تعبير رؤياه من قبل يوسف قال: استدعوه من السجن لأراه. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ يستدعيه قال يوسف ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الرؤيا، باب ما جاء في تعبير الرؤيا، برقم (٢٢٧٨)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦٤، وابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد، برقم (٣٩١٤)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٥٠٢٠.

سيدك ومراده عليه السلام أن يتحقق ملك مصر بأنه أدخل السجن ظلماً وأنه بريء مما نسب إليه من امرأة وزيره العزيز ﴿فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أي: فاسأله أن يتحقق عن حال هؤلاء النسوة، ومنهن امرأة العزيز وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) (١).

وقد استجاب الملك لطلب يوسف في سؤال النسوة فاستدعاهن وقال ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: ما حقيقة ما فعلته مع يوسف يوم استضافتك امرأة العزيز فأجبهه ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: معاذ الله أن يكون يوسف متهماً ولم نعلم عنه سوءاً يمس دينه وعرضه فعند هذا ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكَ لَكِنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾ أي: بان الحق فلم يعد من الممكن كتمانها. ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: أني قد استملته إلى نفسي وأنه صادق في قوله إنني راودته عن نفسه.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ اختلف في القائل فقيل: إنها امرأة العزيز أي: أرادت أن تقول ليعلم زوجي أني راودت هذا الفتى عن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴿﴾ برقم (٣٣٧٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٤٧٣ .

نفسه، ولكن لم أخنه ولم يقع الإثم وقد اعترفت بهذا ليعلم زوجي ويعلم الناس إنني بريئة^(١). ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أي: أن الله لا يهدي من يخون أمانته. ﴿وَمَا أَتَّبِرُ نَفْسِي﴾ أي: أنا بشر لا أبرئ نفسي مما داخلها من مراودة يوسف. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي: أن النفس تأمر بالسوء إلا تلك التي عصمها الله وحماها. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده ذنوبهم ويرحمهم بفيض رحمته إذا تابوا إليه واعترفوا بذنوبهم

وقيل: إن القائل يوسف^(٢) ومراده من رد الرسول وإصراره على البقاء في السجن لكي يعلن براءته وليعلم العزيز أنه لم يخنه في أهله في غيبته وذلك معنى قوله ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا بِالْغَيْبِ﴾. وقوله ﴿وَمَا أَتَّبِرُ نَفْسِي﴾ أي: ما أبرئ نفسي من ضرب امرأة العزيز لما أصرت على استمالاتي وهمت بضربي، أو يكون المعنى مما خطر بقلبي أو هو تواضع منه عليه السلام أنه وإن كان فيه خصائص النبوة فإنه بشر. قلت: ولعل المراد في الآية الكريمة امرأة العزيز لأن قولها هذا متصل بما قبله وهو قولها ﴿الْكَذَّابُ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قوة يوسف وحلمه وصبره على السجن حتى تتم براءته،

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٢٠٩.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٠٢.

وفي هذا دلالة على مقاومة الظلم وعدم الاستكانة له والإصرار على التحقيق في التهمة. ولا يتصف بهذا السلوك إلا المؤمنون الصادقون في إيمانهم فلا يهتمهم ما قد يتعرضون له من المحن. ومن أحكام الآيات: وجوب التحقيق في مظالم الناس. ومنها: أهمية الصدق والجهر بالحق ولو كان فيه أذى للجاهر به. ومنها: أن الإقرار بالخطيئة فضيلة تدل على الشجاعة لأن البشر معرضون لارتكاب الخطايا واعترافهم بها والاستغفار منها مدعاة لمغفرة الله ورحمته لهم. ولهذا قال رسول الله ﷺ: (إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال: أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً وربما قال: أصبت فاغفره فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم أصاب ذنباً وربما قال: أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت أو أذنبت آخر فاغفره لي فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء)^(١).

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيَوْمٍ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، برقم (٧٥٠٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤٧٤.

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾

بيان الآيتين:

بعد أن حقق ملك مصر في قضية يوسف باستدعائه النسوة ومعرفته ببراءته وصدقه وإيمانه قال لحاشيته ﴿أَتُؤْنِنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله من خاصتي وأهل الرأي والمشورة عندي وقيل: إنه لما جاءه قام إليه ونزل عن سريرته وخر له ساجداً^(١) وقال له إنك اليوم لدينا ذو مكانة ومؤتمن فيما نكله إليك وهو معنى قوله ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أي: عيّنني أميناً على خزائن مصر وقيل: إن المراد الأهرام التي تجمع فيها الغلات^(٢) لتكون احتياطاً للسنين العجاف التي يستقبلونها كما عبر ذلك يوسف عنها ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ أي: حافظ لما يعهد به إلي وعليم بأمور الخزانة وتصريفها وتدبيرها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين حكمان: أولهما- أن الأصل عدم جواز طلب تولي الولاية لما رواه عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ (ياعبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ٢١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٦٣ .

إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها^(١). ولكن إذا كان المرء يعتقد أن في توليته صلاحاً لغيره كإقامة العدل ورد الظلم والإحسان إلى مستحقه، ولم يكن من هو أقدر منه، ولم تكن توليته لأجل محاباة من قرابة أو صداقة فطلبها جائز بل هو مشروع. ولهذا كان طلب يوسف للولاية لأنه وجد أنه ليس هناك من هو أقدر منه على إحقاق الحق وإقامة العدل.

الحكم الثاني - الأصل عدم جواز قبول الولاية من الكافر إذا كان المراد من المولى خدمة أغراض من ولاه ولكن يجوز قبول الولاية منه بشروط: منها - أن يكون الكافر قد تولى على أرض المسلمين بالقهر وفي قبول الولاية منه دفع لضرره أو التخفيف منه. ومنها - أن يكون في قبول الولاية منه مصلحة للأمة كرفع الظلم عنهم. ومنها - أن يكون في عدم قبول الولاية منه ضرر أكبر من ضرر قبول الولاية منه.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا نُجْزِيَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها. برقم (٧١٤٩)،

صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٣٢ .

المراد كما جعلنا يوسف قريباً لملك مصر بعد خروجه من السجن مكاناً له في الأرض بحيث صار خازناً على أرض مصر ومدبراً لأموالها. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ أي: نرحم من نشاء من عبادنا وهو ما تحقق ليوسف. ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نحفظ لكل محسن عمله ونجازيه عليه.

﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي: أن أجر الآخرة خير من أجر الدنيا وهو ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدقوا بالله وبما جاء من عنده ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ نعت لهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير تمكين الله ليوسف بسبب صلاحه وعفافه وكفه عن محارم الله وتحمله السجن في سبيل ذلك. وقد وعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١). ومن الأحكام: أن الله يصيب برحمته من يشاء ويحفظ أعمال المحسنين ويجازيهم عليها.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ﴾

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُم
عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرُوْهُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾
وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا
إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي: جاؤوا إلى مصر ليتزودوا بالطعام
بعد أن أصابهم الجذب في أرض كنعان (فلسطين)؛ ذلك أنه بعد أن
عم القحط في السنين السبع التي عَبرها يوسف واحتاط لها عليه
السلام بعد أن ولي الخزانة وأمر الناس بجمع غلالهم وادخارها، نتج
عنه وجود طعام كثير في أرض مصر. وكان من ضمن البلاد التي
عمها الجذب أرض كنعان فكان الناس يأتون منها ومن غيرها من
الأقاليم المجاورة للتزود بالطعام وكان من ضمنهم إخوة يوسف؛
فقد أخذوا معهم بضاعة يشترون بها طعاماً. فلما دخلوا على يوسف
عرفهم ولكنهم لم يعرفوه لأنهم حين باعوه كان صبيّاً ولم يتصوروا
أن يبلغ المكانة التي هو عليها وهو معنى قوله ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ﴾ وقيل: إن يوسف سألهم عن سبب قدومهم فأخبروه أنهم
قدموا للميرة ثم سألهم عن بلادهم فأجابوه أنهم من بلاد كنعان، وأن
أباهم يعقوب نبي الله. ثم سألهم إن كان له أولاد غيركم فأجابوه أنهم

كانوا اثني عشر، وأن أصغرهم هلك في البرية، وأنه أحبهم إلى أبيه وقد بقي شقيقه حيث احتبسه أبوه لكي يتسلى به عن فقدته. وبعد أن سمع يوسف مقالتهم أسكنهم وأكرمهم.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: لما أوفى لهم الكيل وحمل لهم طعامهم قال يوسف ﴿أَتُونِي بِأَخْ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ﴾ أي: جيئوا معكم في المرة القادمة بالأخ الذي ذكرتم أن أباكم احتبسه. ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أي: ألم تروا أنني وفيت لكم الكيل ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي: خير من استضافكم وأسكنكم.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ أي: إن لم تأتونني به فلن تجدوا عندي كيلاً أي طعاماً ولن يكون بيني وبينكم علاقة ﴿قَالُوا سَرُّوْهُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ أي: سنحاول مع أبيه أن يرسله معنا ولن ندخر جهداً في ذلك .

﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ أي: غلمانه. ﴿اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أي: اجعلوا البضاعة التي قدموا بها لأجل الحصول على الميرة في رحالهم سراً. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لأنه إن أخذها منهم لن يكون لديهم غيرها فلا يعودون وهذا حرص منه عليه السلام لكي يكتمل ما أراده الله من اجتماعهم.

أحكام ومسائل الآيات:

لقد كان في صبر يوسف وطهره وإيمانه ومن ثم خروجه من السجن وتوليّه خزّانة مصر وتدبير شؤونها وهو الطارئ عليها من أرض كنعان؛ كما أن في أمر الجذب في هذه الأرض ومجيء إخوة يوسف للميرة وجعله نقودهم في رحالهم لكي يعودوا للميرة مرة أخرى مع أخيه - في كل هذا عبرٌ للتفكير في تصرف الله في عباده لحكمة أحكامها، وقدر قدره فله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ ﴾ أي: لما عادوا إلى فلسطين ﴿ قَالُوا ﴾ يَتَأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴿﴾ أي: بلغنا صاحب الميرة أنه لن يكتال لنا إلا إذا كان معنا بنيامين. ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ ﴾ أي: أرسله معنا حتى نستطيع الاكتيال. ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي: نتعهد بحفظه فلا يصيبه أذى ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ أي: كيف آمنكم عليه وقد آمنكم من قبل على أخيه ففرطتم

فيه وضيعتموه. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ وفي هذا بيان أنه وافق على إرساله معهم واتكل على الله في حفظه. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي: أرجوه أن يرحم ضعفي وكبر سني وأن يرد علي ولدي.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الإنسان قد يتردد في فعل شيء يخشى عاقبته. تقرير أن المؤمن يتوكل على الله بعد أن يحتاط لما يفعل.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَكُنَّا بَانَاءً مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إنهم لما وصلوا مكان إقامتهم وفتحوا المتاع لإخراج الطعام وجدوا بضاعتهم التي ذهبوا بها للحصول على الميرة ردت إليهم. ﴿قَالُوا يَكُنَّا بَانَاءً مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ أي: أي شيء نبغي بعد هذا فبضاعتنا عادت إلينا وجئنا معنا بالطعام. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ﴾

كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿١٠﴾ بهذا خاطبوا أباهم يعقوب أن ذهاب أخيه بنيامين معهم سوف يجعلهم يأتون بالطعام مرة أخرى وسوف يحفظونه ويزدادون من الطعام كيل بعير لأن يوسف يعطي كل واحد حمل بعير منه. ﴿ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ أي: إن هذا يسير على الملك لكثرة غناه.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ أي: لن تذهبوا به. ﴿حَتَّى تُؤْتُونِ﴾ أي: تعطوني ﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً. ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن يصيبكم أمر لا تقدرُونَ عليه. ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه بيان أنهم أعطوه العهد الموثق ورضي به ثم قال: إن الله هو الذي أتوكل عليه لحفظ ولدي.

أحكام ومسائل الآيتين:

قوة إيمان نبي الله يعقوب جعله يصدق ما قاله أولاده ويرسل معهم أخاهم رغم أنه قد أصابه ما أصابه في يوسف. وقد أجابهم بعد أن توكل على الله، وفيه دلالة على أن المؤمن يتوكل على الله في أموره كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١). ولكن التوكل لا يعني التفريط فلكل أمر ما يستحقه من الحيطة والحذر ولهذا قال يعقوب ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ وهو العهد. ولما أراد صاحب الناقة أن يتوكل على الله في حفظ ناقته

(١) سورة الطلاق من الآية ٣.

قال له رسول الله ﷺ: (اعقلها وتوكل) (١).

﴿وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لما سمح يعقوب لبنيه بالسفر إلى مصر مع أخيه بنيامين أمرهم ألا يدخلوا من باب واحد بل يدخلوا متفرقين من أبواب عدة؛ ذلك أنهم كانوا أحد عشر رجلاً من أب واحد فخشي عليهم العين. ﴿وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ومع خشيته عليهم قال: لا أغني عنكم من شيء أحذر وأخشاه عليكم فالقدر ماض ولا راد له. ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: إن القضاء لله وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: اعتمدت عليه وحده وعليه يتوكل المؤمنون.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: دخلوا من أبواب

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٦٠)، برقم (٢٥١٧)، سنن

متفرقة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما كان حذر يعقوب وخوفه عليهم من النفس يرد قضاء الله إن أراد بهم سوءاً ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ أي: إنها حاجة خطرت في نفسه وهي أمره لأولاده أن يتفرقوا في دخولهم على الملك. ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي: إن ليعقوب علماً علمناه وهو النبوة. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن أكثر الناس لا يعلمون ما علمناه الأنبياء ومنهم يعقوب.

أحكام ومسائل الآيتين:

أكثر المفسرين على أن مراد يعقوب من تفرق أبنائه حين دخولهم على الملك خشيته عليهم من العين؛ ذلك أن العين حق وفيها قال رسول الله ﷺ: (العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا)^(١). وقد روى محمد بن سهل أنه سمع أباه يقول اغتسل أبي سهل بالخرار - بئر في المدينة - فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظره قال: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كالיום ولا جلد عذراء قال: فوعك سهل مكانه واشتد وعكه فأتى رسول الله ﷺ فأخبر أن سهلاً وعك وأنه غير رائج معك يارسول الله فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من أمر

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، برقم (٢١٨٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٨٧٩.

عامر فقال رسول الله ﷺ: (علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت إن العين حق تَوْضُأً له) فتوضأ له عامر فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس^(١). وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من العين ويقول (أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة)^(٢). فاقضى هذا أنه يجب على المسلم إذا رأى شيئاً يعجبه أن يبرك فإن لم يبرك وأصاب بعينه وجب عليه الاغتسال فإن امتنع أجبر على ذلك.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: لما أدخلهم محل ضيافته وأكرمهم وتحبب إليهم ضم أخاه إليه وأخبره سراً أنه أخوه وطلب منه ألا يخبرهم عن خبره وهذا معنى قوله ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي قال له: لا تحزن على ما فعلوه بي

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب الوضوء من العين، برقم (١٧٠١)، ص ٦٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب (١٠)، برقم (٣٣٧١)، صحيح البخاري مع فتح الباري

من رمي في الحب ومن ثم بيعي وأمره أن يكتم ذلك عنهم واتفق معه على أنه سيعمل على إبقائه عنده وعدم عودته إلى فلسطين.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ لما اتفق يوسف مع أخيه بنيامين على بقاءه عنده رتب يوسف أمراً يحقق ذلك دون أن يشعر إخوته بحقيقته؛ فلما جهزهم وحملت عيرهم الطعام أمر بعض فتيانه أن يدس الإناء الذي يشرب فيه ويكيل فيه الطعام في رحل بنيامين. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ أي: نادى مناد أصحاب العير لقد أخذتم ماليس لكم حق فيه فلما سمعوا النداء التفتوا إلى المنادي. ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أي: ماذا فقدتم ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ أي: فقدنا الصاع الذي يكيل به الملك. ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: حمل بعير من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أي: أنا به كفيل.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية الاتفاق على كتم سر معين فيه مصلحة لأحد الطرفين أو كليهما مالم يكن المراد منه الإضرار بالآخرين. ومن الأحكام: جواز الحيلة إذا كان فيها مصلحة ولا تتعارض مع أحكام الشرع، أو تكون سبباً للهروب من هذه الأحكام وما فعله يوسف عليه السلام كان نوعاً من الحيلة لإبقاء أخيه عنده بداية لاجتماع الشمل. ومن الأحكام:

جواز الجعل لمن يؤدي عملاً أو يقوم بمهمة وكذلك جواز الكفالة لتوثيق الحق.

﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞

بيان الآيات:

﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ﴾ لما سمع إخوة يوسف نداء المنادي قالوا لهم: لم نفعل ما قد يكون قد خطر ببالكم عنا ومنذ أن تعاملنا معكم ونحن نحرص على أن تكون هذه المعاملة حسنة. ﴿ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ أي: لم نكن من الذين يسرقون.

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ أي قال فتيان يوسف: فما جزاء الفاعل إن تبين كذبكم فكان جواب إخوة يوسف ﴿ جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ أي: يدفع إلى المسروق منه ليستترقه وهذه كانت شريعة نبي الله إبراهيم، وهو ما يريده يوسف من إبقاء

أخيه عنده بحكم هذه الشريعة. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: نفعل هذا بمن يظلم فيكون جزاؤه الرق.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِي﴾ أي: بدأ بتفتيش أوعية إخوته قبل وعاء أخيه بنيامين حتى ينفي الريبة عنهم. ﴿ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِي﴾ أي: أخرج الصواع من وعاء بنيامين فأخذه منهم بناء على ما أفتوا به حسب شريعة إبراهيم. ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: دبرنا ليوسف. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: بدون هذا التدبير ما كان يوسف يقدر أن يأخذ أخاه في سلطان وقوة الملك، ولكن لما تعهد له إخوته أن يأخذ من وجد الصواع عنده ووجده عند بنيامين حق له إبقاؤه عنده. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: ما كان يوسف يعمل هذا التدبير إلا بمشيئة الله. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ أي: بالعلم والتقوى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ المراد أن كل عالم يسبقه في العلم عالم آخر وفوقهم كلهم علم الله؛ فهو أعلم العالمين وأحكم الحاكمين لا علم لأحد إلا ما علمه.

أحكام ومسائل الآيات:

استرقاق المسروق منه للشارق شريعة إبراهيم عليه السلام وقد نسخها الإسلام وقد حدد عقوبة السارق وأعلها القطع إذا توفرت شروطه، ومنها: أن يكون المال في حرز، وأن يبلغ حداً معقولاً من

القدر، وألا يكون السارق مضطراً لما سرق لدرء الهلاك عن نفسه بسبب جوع أو ظمأ. ومن الأحكام: جواز استعمال الحيلة للتوصل إلى أمر فيه مصلحة إذا لم يكن مناقضاً لحكم شرعي كما سبق ذكره، أو كان يؤدي إلى الفرار من هذا الحكم. ومنها: أن كل شيء بإرادة الله ومشيئته وأن أحداً لا يستطيع القول أنه هو العالم وحده بل كل عالم فوقه عالم وفوقهم كلهم ربهم الذي خلقهم.

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (٧٧) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ لما ظهر الصواع في رحل بنيامين تبرأ إخوته منه وقالوا: إن كان هذا قد سرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف. ﴿ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ أي: أخفى في نفسه غضبه عليهم مما قالوه عنه ثم قال لهم ﴿ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ﴾ أي: أنتم أشر منزلة ومقاماً من

الذي رميتموه بالسرقة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: أن الله عليم بكذبكم ووصفكم لي بالسرقة.

﴿قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾^١ المراد بالعزیز يوسف ومرادهم أن يجد لهم حلاً في مسألة بنيامين فقالوا على سبيل التبرير: إن أباه شيخ وهو ذو مكانة ونحن إخوة بنيامين فخذ أي واحدٍ منا مكانه حتى نرده على أبيه. ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: لقد رأينا فيك صفات الإحسان فأحسن إلينا برد أخينا. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي: حاشا لله. ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ أي: كيف نأخذ من لم يأخذ متاعنا وقد قلتم ذلك. ﴿إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ﴾ أي: لو أخذنا غيره لكان ذلك ظلماً.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضيلة اعتذار المخطئ عن خطيئته والاعتذار معنى من معاني التوبة، أو هو التوبة نفسها وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (كل ابن آدم خطاءٌ وخير الخطائين التوابون)^(١). ومن الأحكام: مشروعية استعطاف القادر على دفع مظلمة أو جلب مصلحة مشروعة وتحريم تخطي الجاني بالعقوبة إلى غيره.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (٢٤٩٩)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٦٨، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٢٠، وأحمد في مسنده ج ٣ ص ١٩٨.

﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ ﴾ أي: لما يئسوا من إصرار يوسف على إبقاء بنيامين ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ أي: انفردوا يتناجون بينهم حول ما سيقولونه لأبيهم الذي أخذ عليهم الميثاق. ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ أي: كبيرهم في السن وكان أعقلهم ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: ألم تذكروا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد والميثاق بأن تحافظوا على ابنه وتردوه إليه. ﴿ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ أي: ألم تعلموا كذلك أنكم قد سبق أن فرطتم في يوسف. ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ أي: لن أفارق هذه البلاد. ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ أي: حتى يأذن لي بالرجوع. ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ أي: بأن أحارب من أجل بنيامين أو يحكم لي بأخذه بأي طريقة. ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ أي: خير من يحكم ويقضي لخلقه.

﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ﴾ أي: عودوا إليه قال هذا الأخ الكبير الذي قال إنه سيقوم في أرض مصر حتى يأذن الله في أخيه. ﴿فَقُولُوا يَتَابَانَا إِبْرَاهِيمَ ابْنُكَ سَرَقَ﴾ أي: سرق صواع الملك. ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ وما قلناه لك هو ما شهدناه وعلمناه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: ما كنا نعرف لما سافر معنا أنه سوف يسرق، ولو كنا نعلم الغيب ما أخذناه معنا.

أحكام ومسائل الآيتين:

مشروعية التنجاس في أمر يهم المتنجسين على أن لا يكون في ذلك أذى للآخرين لقول رسول الله ﷺ (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه)^(١). ومن الأحكام: وجوب تذكير من أخذ العهد على نفسه أن عليه الوفاء بهذا العهد. ومنها: أن الشهادة لا تكون إلا عن علم؛ فمن لم يكن له علم بالشيء المشهود به أو المشهود عليه فشهادته زور، ولما جاء الشاهد ليشهد عند رسول الله ﷺ قال له: (هل ترى الشمس؟) قال: نعم. قال: (على مثلها فاشهد)^(٢). والعلم بالشهادة له طرق فقد يكون الشاهد رأى الشيء المشهود عليه عياناً كمن يرى السارق يسرق المحل ويسرق ما فيه. وقد يكون الشاهد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة والمناجاة، برقم (٦٢٩٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٨٥.

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، ج ٤ ص ١٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ٢٣، برقم (٧٧٨٢).

سمع من آخر فيشهد على ما سمعه. وقد يشهد على خط أنه خط فلان ولا تقبل الشهادة إلا ما كان على معقول. فلا تجوز شهادة الصبي الذي لا يعقل. ولا تجوز شهادة من به غفلة ظاهرة. كما لا تجوز شهادة الغائب على شيء كان غائباً عنه بحكم الزمن.

﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأُیُصِّتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿ ٨٤ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي: اسأل أهل القرية والمراد بهم أهل مصر، واسأل كذلك أهل العير الذين رافقونا وشاهدوا معنا ما حدث من بنيامين. ﴿ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ أي: فيما قلناه.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي: زينت. ﴿ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ بقولكم أن ابني قد سرق صواع الملك. ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي: فساأصبر صبراً جميلاً. ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ أي: أرجو الله

أن يجمعني بهم جميعاً، وفي هذا دلالة على أن يعقوب كان على أمل أن يعود يوسف إليه. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أي: هو العليم بحالي الحكيم فيما يقضي به علي.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن بنيه لما أصابه من الحزن على يوسف. ﴿وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يَوْسُفَ﴾ أي: يا حسرتاه على يوسف. ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي: ضعف بصره مما أصابه من الحزن والبكاء. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: مكتئب من الحزن.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية دفاع المرء عن نفسه فيحق له أن يستشهد بمن يرى أنه يعزز دفاعه كما فعل إخوة يوسف في استشهادهم بأهل مصر ومن كان برفقتهم من أهل العير؛ كما فعل ذلك رسول الله ﷺ للرجلين اللذين مرا به وهو في صحبة صفية رضي الله عنها بقوله (على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي) فقال الرجلان: سبحان الله وكبر عليهما فقال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يُلقِي في أنفسكما شيئاً)^(١).

ومن الأحكام: مشروعية الصبر، ووجوبه عند حدوث المكاره.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه برقم (٢٠٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٣٣٠.

والأصل فيه قول الله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢). وقول رسول الله ﷺ (الصبر عند الصدمة الأولى)^(٣). ومن مسائل الآيات: أن الحزن والبكاء من طبيعة النفس البشرية عندما تتعرض لعارض يغير من اعتدالها وهذا لا يتعارض مع وجوب الصبر على أقدار الله والتسليم بقضائه وقدره ولهذا قال رسول الله ﷺ في فراق ابنه إبراهيم: (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا)^(٤). وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا) وأشار إلى لسانه^(٥). والمراد به ما يتلفظ به اللسان من النياحة أو الجزع أو السخط على قدر الله.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، برقم (١٣٠٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ «إنا بك لمحزونون»، برقم (١٣٠٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم (١٣٠٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٢٠٩ .

بيان الآيتين:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ لما رأى ولد يعقوب حزنه واكتنابه لطفوه لتسليته والتسرية عنه فقالوا له: تالله تفتأ تذكر يوسف أي: ما زلت تذكره. ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: ضعيفاً. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أي: الميتين. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إنما أشكو عظيم حزني إلى الله، والبهت: الشيء الذي لا يستطيع المرء أن يخفيه فيبثه إلى غيره. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم أن رؤيا يوسف التي سبق أن رآها صادقة.

أحكام ومسائل الآيتين:

استمرار الحزن يوهن القوة ويؤدي للهلاك، وفي الصبر وقوة الإرادة وسيلة للتغلب على ما تتعرض له النفس من الحزن والأذى. ومن الأحكام: أن الشكوى لا تكون إلا لله عز وجل، ويحرم بثها إلى غيره، ولكن هذا لا يمنع أن يخبر المرء أخاه أو صديقه بما يجد في نفسه من الحزن لكي يسليه ويسري عنه لا لقصد نفعه أو دفع الضر عنه.

﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا

عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِثْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَلَةٍ
فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

بيان الآيتين:

﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ كان يعقوب عليه السلام يؤمن أن يوسف لا يزال حياً ويترقب لقاءه، وهذا الإيمان إما نتيجة إحساس داخله أو علم علمه بحكم نبوته؛ فلهذا أمر أولاده بأن يذهبوا في الأرض فيتحسسوا أي: يطلبوا خبر أخيه يوسف وأخيه بنيامين عن طريق التحسس. ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أي: لا تقنطوا من رحمة الله وفرجه. ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: لا يقنط من رحمة الله وقرب فرجه إلا من كفر به.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ﴾ أي نادوه باسم العزيز وهو بمعنى الممتنع. ﴿مَسْنًا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ في هذا بيان عن كلام محذوف وهو أن إخوة يوسف عادوا إلى مصر مرة ثالثة يمتارون الطعام فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفون أنه أخوهم فشكوا إليه أن القحط قد أصابهم في بلادهم بلاد كنعان. ﴿وَجِثْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَلَةٍ﴾ أي: أتينا معنا بدراهم قليلة ورديئة. ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ أي: كما تبيعون بالدراهم الجيدة أوف لنا الكيل بما معنا من الدراهم. ﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ أي: اجعل قبول دراهمنا صدقة منك وقيل:

تصدق علينا برد أخينا^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي: سوف يجزيك حسنات إذا تصدقت علينا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحسس الخبر عن شيء يهم الأخ أمر مطلوب ويكون هذا عن طريق الفطنة، وهو غير التجسس لطلب الخبر فهذا مذموم. ومن الأحكام: أنه يحرم القنوط من رحمة الله ويعد من كبائر الذنوب، وقد أمر الله عزوجل عباده الا يقنطوا من رحمته في قوله ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢). ومنها: جواز الشكوى إلى الحاكم وطلب المساعدة في دفع ضرر وقع على صاحب الشكوى سواء كان فرداً أو كانوا جماعة، ومن ذلك حصول الجذب وطلب المعونة فيما يصيب بسببه؛ ذلك أن الحاكم يملك من المال ما يجعل الطلب منه مستحباً يكون هذا على سبيل طلب المعونة منه، وليس على سبيل التسخط من الجذب أو التشكي منه لأن ذلك مما يحرم كما ذكر من قبل.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾
 ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧١٦ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٣ .

مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا
 لَخَطِئِينَ ﴿١١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٢﴾ أَذْهَبُوا بِقِمِصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ
 أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ لما ذكر إخوة يوسف له ما تعرضوا له من الشدة تأثر لوالده وإخوته فسألهم سؤال استنكار وتوبيخ بقوله: هل علمتم ما فعلتم بي وأخي أي: هل تتذكرون فعلكم والسؤال هو لماذا لم يتعرف عليهم ولم يقل لهم هذا لما أتوه في المرتين الأوليين؟ الجواب والله أعلم أنه ما كان ليفعل ذلك إلا بعد أن أمره الله تعالى به. ﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ أي: بما سيؤول إليه أمر يوسف وفي غمرة دهشتهم مما سمعوه ﴿ قَالُوا أَمْ نَكُ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ أي: قال إخوته له على سبيل الاستفهام: هل أنت يوسف؟ ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ أي: أنا أخوكم يوسف وهذا أخي بنيامين ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أي: تفضل علينا بمنه وكرمه بأن جمعنا بعد زمن طويل ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المراد أن من اتقى الله حق تقاته، وصبر على ما أصابه من البلاء واحتسب الأجر من الله فإن الله لا

يضيع أجره لأنه لا يضيع أجر المحسنين المتقين. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ
 ءَاثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ مرادهم في ذلك أن الله قد أنعم عليه وفضله
 عليهم. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ أي: قد أخطأنا في حقك ﴿قَالَ
 لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: لست اليوم بمؤنب لكم ولن أذكركم بما
 فعلتم بي. ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ هذا دعاء
 منه عليه السلام لإخوته أن يغفر الله لهم ما فعلوه لأنه غفور وهو أرحم
 الراحمين ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ أي: خذوا قميصي هذا فألقوه على
 وجه أبي. ﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾ وكان يعقوب قد عمي أو ضعف بصره من
 كثرة بكائه ولعل المراد من إرسال القميص أن يتعرف أبوه على حياته وأن
 دعوته له للقدوم إلى مصر دعوة صحيحة جاءت منه وكون يعقوب يعود
 بصيراً لعل يوسف نبئ بذلك. ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
 أي: تعالوا بجميع آل يعقوب لتكون مصر مقراً لكم.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية السؤال المتضمن الإنكار على من فعل فعلاً غير مشروع، وقد
 يكون هذا السؤال توبيخاً له وقد يكون مقدمة للتحقيق معه لمعرفة
 ما إذا كان يمكن إدانته بسبب استحقاق ذنبه للإدانة. ومن الأحكام:
 التوكيد على أن من يتقي الله ويصبر على ما يصيبه يجزى على صبره.
 ومنها: مشروعية الاعتراف بالخطيئة واستحباب الصفح والعفو عنها

كما قال تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤) ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (٩٥).

بيان الآيتين:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي: لما خرجت من أرض مصر إلى بلاد كنعان ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ أي: قال لأهله ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ قيل: إن العير لما ذهبت متجهة إلى بلاد كنعان هبت ريح فجاءت بريح قميص يوسف فقال لأهله ورفاقه: إنني أجد ريح يوسف. ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تسفهون ما أقول لكم. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي: قالوا على وجه الحلف إنك ما زلت تتذكر يوسف وحبه وإنك لازلت تخطئ في ذلك.

أحكام ومسائل الآيتين:

إن خروج ريح يوسف من خلال قميصه من مسافة بعيدة من قدرة الله عز وجل، وهذه القدرة لا تحد بحدود، ولا توصف بوصف فهو في أمره وحكمته يقول للشيء كن فيكون. ومن الأحكام: عدم جواز إغلاظ القول للمخاطب؛ فما قاله أهل يعقوب أو خاصته أنه ما زال في

ضلاله القديم قول غليظ وجاف ومضاد للبر الذي يجب أن يكون عليه الأهل تجاه كبيرهم وقد نهى الله عن ذلك بالنسبة للولد تجاه والده في قوله عز وجل في حق بر الوالدين ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(١). ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢). وهذا النهي يشمل أهل المرء وخاصته من أقربائه.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٦) ﴿قَالُوا يَتَّبِعُنَا أَنْ نَسْتَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(١٧) ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١٨).

بيان الآيات:

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ قيل: إن المراد به يهوذا^(٣) وقد ألقى القميص على عيني يعقوب. ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ أي: رجع إليه بصره. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: ألم أقل لكم إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقلت

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧١٩ .

لكم: إني لأجد ريح يوسف فهو الذي سيرد عليّ ابني وأفرح به ويفرح بي. ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ وهذا إقرار من إخوة يوسف بذنبهم واعتذار منهم لأبيهم ودعوة له أن يستغفر لهم خطيئتهم فرد عليهم ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ أي: سوف أدعوه أن يغفر لكم خطيئتك. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: إنه يغفر ويتوب ويرحم من تاب وأناب إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية التبشير بحدث مشروع يُسرّ فيه صاحبه، ومن ذلك من يبشر آخر بمولود له أو يبشره برؤيا صالحة رآها له ونحو ذلك مما يكون فيه الخير للمرء. ومن الأحكام: وجوب الاعتراف بالخطيئة والتوبة منها، ومشروعية الاستغفار سواء استغفار الإنسان لنفسه أو لغيره كاستغفار الولد لوالديه وإخوته وأصدقائه ولعامة المسلمين.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۝١١﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَتِ هَذَا تَاوِيلُ رُءُيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝١٢﴾

بيان الآيتين:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ لما قال يوسف لإخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين رحل يعقوب وبنوه ومن معه من أهله تاركاً بلاد كنعان وقاصداً بلاد مصر استجابة لدعوة ابنه يوسف، فلما وصلوا ودخلوا قصر يوسف ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي: ضمهما إليه وقيل: إن يوسف وملك مصر وأعيانها وسادتها خرجوا لاستقبال يعقوب ومن معه^(١). ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ والمراد أقيموا في بلاد مصر إن شاء الله آمنين من الخوف ومن القحط الذي نزل بكم. ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: أجلسهما على متكئه أو السرير الذي يجلس عليه. ﴿وَخَرُّوْا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي: سجد له والده وإخوته سجود تحية وليس سجود عبادة. ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ﴾ والمراد بهذه الرؤيا تلك التي سبق أن قصها على أبيه من قبل بقوله ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢). قوله ﴿قَدْ جَعَلَهَا رِيَّ حَقًّا﴾ أي: جعل رؤيائي هذه صحيحة. ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ أي: قد تفضل علي بأن أنجاني من السجن وثبت براءتي وأعطاني من فضله بحيث جعلني في هذا المقام الذي رأيتهموني فيه.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢ ص ٤٧٢ .

(٢) سورة يوسف من الآية ٤ .

كما أحسن إلي ربي حيث جاء بكم من البادية والمراد أنهم كانوا في البادية. ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي: بسبب ما أفسده الشيطان بيني وبين إخوتي وهذا تطف من يوسف وصفح منه حيث نسب ما فعله به إخوته إلى الشيطان. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أي: رفيق رحيم بعباده. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ أي: العالم البصير بأحوال عباده ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمره وتصرفه.

أحكام ومسائل الآيتين:

قيل: إن سجود البشر للبشر كان معروفاً في الشرائع القديمة فكان الصغير يسجد للكبير. فلما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: (ما هذا يا معاذ؟) قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك فقال رسول الله ﷺ: (فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه)^(١).

قلت: ولعل المراد من السجود هنا سجود تحية وتقدير، وليس سجود عبادة؛ فإن الشرائع السماوية كلها تعظم الرب وحده ولا تعظم

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٧٢، والحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، برقم (١٨٥٣)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٥٩٥.

المخلوق على الصفة التي يسجد فيها له لأن السجود عبادة، والعبادة لا تصح إلا لله كما قال عز وجل في توجيهه للعباد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (١) وكانت دعوة جميع الأنبياء والرسل هي عبادة الله وحده بقولهم ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٢).

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠)

بيان الآية:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ هذا بيان من الله أن يوسف عليه السلام دعا ربه دعاء المبتهل والمتضرع إليه المقر بنعمه وفضله عليه بما آتاه من الملك في مصر وما من به عليه من معرفة تعبير الرؤيا ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ هذا ابتهاج إلى الله عز وجل. ﴿ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أي: أنت متولي وناصري ومعزي في الدنيا والآخرة. ﴿ تُوفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ أي: أمتني على دين الإسلام ﴿ وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ أي: يريد جمعه في الآخرة بأبيه يعقوب وإسحاق وإبراهيم.

(١) سورة الفاتحة من الآية ٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٦٥ .

أحكام ومسائل الآية:

وجوب الإقرار بنعم الله على عبده وشكره عليها في السراء والضراء،
 ووجوب شكر الله كذلك على ما ينعم به على عبده من العلم والمعرفة
 لأن الشكر مدعاة لزيادة النعمة وسبب في استمرارها كما قال عز وجل
 ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١). ومن الأحكام:
 وجوب سؤال الله حسن الخاتمة كما قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال
 بخواتيمها)^(٢). وكان عليه الصلاة والسلام يرفع إصبعه عند الموت
 ويقول: (اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى)^(٣).

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
 أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾^(١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ
^(١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ^(١٠٤)
 وَكَأَيْنَ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
 مُعْرِضُونَ^(١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ^(١٠٦)
 أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا
 يَشْعُرُونَ﴾^(١٠٧)

(١) سورة إبراهيم من الآية ٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، برقم (٦٤٩٣)،
 صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٣٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت، برقم (٥٦٧٤)، صحيح البخاري
 مع فتح الباري ج ١١ ص ١٣٣.

بيان الآيات:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ المخاطب هو رسول الله ﷺ وأمته يقول الله عز وجل له: هذا الذي ذكرناه لك عن قصة يوسف هو من أخبار الغيب أوحيناه إليك لتعلمه لأنك لم تكن حاضراً ولا مشاهداً له فأوحيناه إليك ليكون فيه عبرة وعظة ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: لم تكن مع إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ على رميه في الجب. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: كانوا يمكرون بيوسف ليتخلصوا منه. ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ لما قال العرب لرسول الله ﷺ: قص علينا خبر الأولين قص عليهم قصة يوسف التي أوحاها الله إليه فلم يؤمنوا فنزلت هذه الآية تسلياً له عليه الصلاة والسلام^(١) والمراد أنك يا محمد لو حرصت على أن تهدي هؤلاء لما استطعت لأن الهادي هو الله. ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: أنت لم تسألهم عن أجر من جعل أو غيره. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: القرآن الذي جاء هدى ورحمة للعالمين وعظة وعبرة للمعتبرين بما حدث لغيرهم من الأمم البائدة.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المراد كم من آية في السموات والأرض كتعاقب الليل والنهار وجريان الأفلاك ودورانها

(١) تفسير البغوي ص ٦٦٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٧٢١.

والبحار والأنهار وانتظام النبات والأشجار ورسو الجبال وغير ذلك من الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته. ﴿يَمْرُوتَ عَلَيْهَا﴾ أي: يرونها بأعينهم ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ أي: غير ملتفتين إليها ولا متفكرين أو متدبرين فيها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ أي: كثير منهم يقرون بربوبية الله، وأنه خالقهم ورازقهم وأنه يحييهم ويميتهم ولكنهم يشركون في ألوهيته كما كان مشركو مكة يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. فلهذا يعبدون الأوثان والأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فلا ينفعهم إيمانهم هذا لأن الإقرار بربوبية الله يوجب الإقرار معه بألوهيته وحده فكما أنه لا رب غيره فإنه لا إله إلا هو.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ أي: هل يأمن هؤلاء المشركون أن ينزل عليهم عذاب من الله يغشاهم فلا ينجون منه ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أو أمنوا أن تقوم الساعة بغتة دون أن يشعروا بقيامها، وحينئذ لن ينفعهم إيمان ولا تقبل منهم توبة.

أحكام ومسائل الآيات:

التوكيد على نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ بما أوحاه الله إليه من

أخبار الأمم السابقة. ومن الأحكام: أن أكثر الناس لن يكونوا مؤمنين مهما حرص الداعون إلى دعوتهم إلى الإيمان. ومنها: الإنكار على الذين لا يتدبرون في آيات الله فيعرضوا عنها. ومنها: الحكم بأنه لا إيمان مع الشرك فمن أشرك مع الله غيره فلا إيمان له وإن أقر بربوبية الله وصلى وصام وزكى كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢). ومنها: الحكم بأن من أشرك بالله وكفر فلا يأمن أن ينزل عليه عذاب الله بغتة.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١٠٩).

بيان الآيتين:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للناس إنسهم وجنهم ذكرهم وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم

(١) سورة الزمر الآية ٦٥.

(٢) سورة الزمر الآية ٦٦.

أن سبيله هو شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو إلى التوحيد وأنا على يقين وثقة من ربي أن هذا هو سبيلي وسنتي ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ أي: ألتزم بها وأدعو إليها أنا ومن اتبعني وآمن بما جئت به ﴿وَسُبِّحَانَ اللَّهِ﴾ أي: تنزهه وتقدس عن الشريك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: أحارب الشرك، وأدعو إلى التوحيد، وأخلص في عبادتي الله وحده.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ هذا بيان من الله لرسوله ونبيه محمد ﷺ أن الرسل الذين أرسلوا من قبله هم بشر مثله وليسوا ملائكة كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(١). وفيه أيضا بيان أن هؤلاء الرسل من أهل القرى وليسوا من أهل البوادي.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ المراد بهم المكذبون الجاحدون للرسالة ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: يتفكروا فيمن سبقهم من الأمم البائدة الذين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله بالعذاب ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: إن الجنة

(١) سورة الفرقان من الآية ٢٠.

ستكون أبقى للذين اتقوا ربهم وآمنوا به ولم يشركوا معه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري وتوبيخ، والمراد أفلا يكون لكم عقل تتفكرون به وتدركون أن الدنيا ليست دار قرار وأن الآخرة هي الدار التي أعد الله فيها النجاة والفوز للذين آمنوا بالله ووجدوه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن كلمة التوحيد (وهي شهادة ألا إله إلا الله) هي سبيل رسول الله محمد ﷺ وطريقته هو ومن اتبعه وآمن به، وأن كل ما عداها باطل. ومن الأحكام: تأكيد أن الرسل الذين سبقوا رسول الله محمداً ﷺ كانوا بشرا مثله وليسوا ملائكة، وكانوا من أهل المدن، وتوجيه المشركين أن ينظروا إلى حال من سبقهم من الأمم البائدة كيف أن الله أهلكهم لما أشركوا به وكذبوا رسله. وهذا التوجيه عام لكل من كفر بالله أن ينظر تاريخ الأمم المكذبة لرسُلها وما حل بهم من العذاب في الدنيا وما سيلاقونه من العذاب في الآخرة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْشَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ في هذا بيان من الله تعالى أن رسله لما يئسوا من قبول قومهم لدعوتهم إلى الله ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ أي: استيقنوا أنهم قد (كذبوا) بالتشديد وهي قراءة عائشة ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ أي: جاءهم نصر الله ﴿فَنَجَّىٰ مَنْ نَشَاءُ﴾ أي: نجي الأنبياء ومن آمن معهم كما حدث لنوح وهود وصالح ولوط وموسى وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ﴿وَلَا يَرْدُّ بَاسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا يرد أحد عذابنا عن القوم المجرمين أي المشركين.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في قصة يوسف وأبيه وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: موعظة وتذكرة لأولي العقول ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ أي: أن هذا القرآن الذي قص هذه القصص لم يكن حديثاً مفترى ﴿وَلَكِن تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تصديق التوراة والإنجيل الذين نزلوا قبله ﴿وَتَقْصِصَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: فيه كل ما يحتاج العباد من ذكر الحقوق وبيان الحلال من الحرام ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: فيه الهدى والرحمة للذين آمنوا بالله وصدقوه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من حكمة الله وتدبيره تأخير نصر رسله ليكون في ذلك فسحة للمكذبين لمراجعة أنفسهم، وعدم الاستمرار في غيهم وضلالهم. فإذا مضت مدة تيقن المرسلون أن قومهم لم يستجيبوا لدعوتهم وأنهم يصرون على ما هم عليه من الكفر أنزل الله نصره عليهم فنجاهم ومن آمن معهم من العذاب، وأنزل بأسه بمن استمر على شركه وكفره. ومن الأحكام: الحكم بفضل القرآن الكريم، وأن في ذكره قصص الأولين ومنها: قصة يوسف وأبيه وإخوته ففيها عبرة وعظة للمعتبرين. ومنها الحكم كذلك بأن القرآن فصل كل شيء من الحلال والحرام كما قال عز وجل ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١). ناهيك أنه هدى للمهتدين ورحمة للمؤمنين.



(١) سورة الأنعام من الآية ٢٨ .

فهرس المجلد الرابع

٥ تفسير سورة الأنفال
٥ تفسير قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ ١
٧ أحكام ومسائل الآية
٧ وجوب تقوى الله
٧ وجوب إصلاح ذات البين
 تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
٧ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ٢ - ٤
٩ أحكام ومسائل الآيات
٩ تقرير أن من صفات المؤمن وجل القلب عند ذكر الله
٩ تقرير أن المؤمنين ينالون الدرجات في الجنة
٩ تفسير قوله تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ ٥ - ٨ ..
١١ أحكام ومسائل الآيات
١١ الأنفال لله ولرسوله
١١ إحقاق الله للحق
 تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ
١١ لَكُمْ﴾ ٩ - ١٠
١٣ أحكام ومسائل الآيتين
١٣ تقرير أن الاستغاثة بالله هي المشروعة
١٣ استجابة الله لاستغاثة عباده

- ١٤ .. تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ..﴾ ١١ - ١٤ ..
- ١٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧ تقرير نعم الله على رسول الله
- ١٧ كفر من شاق الله ورسوله وتقرير ما يستحقه
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
- ١٧ كَفَرُوا زَحَفًا..﴾ ١٥ - ١٦
- ١٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨ وجوب الثبات أمام العدو
- تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
- ١٨ قَتَلَهُمْ..﴾ ١٧ - ١٩
- ٢١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢١ الحكم بأن الله هو الذي يتولى عباده
- ٢١ معجزة حفنة التراب يوم بدر
- ٢١ تضعيف الله لكيد الكافرين
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
- ٢١ وَرُسُولَهُ..﴾ ٢٠ - ٢٣
- ٢٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣ وجوب طاعة الله ورسوله
- تقرير أن شر الناس عند الله أولئك الذين يعرضون عن
- ٢٣ سماع الحق
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

- ٢٣ وَلِلرَّسُولِ .. ﴿٢٤ - ٢٦
- ٢٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧ وجوب الاستجابة لله ولرسوله
- ٢٧ دعوة الله ورسوله لقصد منفعة الخلق
- ٢٨ على العبد أن يكون وجلاً متعلقاً بربه
- ٢٨ وجوب الحذر من الفتن
- ٢٨ الفتن لا تقتصر على الظلمة
- ٢٨ وجوب ذكر نعم الله والتحدث بها وشكره عليها
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخَوْنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
- ٢٨ وَتَخَوْنُوا أَمَنَتَكُمْ .. ﴿٢٧ - ٢٩
- ٣١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١ الحكم بتحريم الخيانة
- ٣١ تقرير أن من المال والولد ما هو فتنة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ
- ٣١ أَوْ يَقْتُلُوكَ .. ﴿٣٠ - ٣١
- ٣٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٤ تقرير مكر مشركي قريش
- تقرير أن المشركين كانوا يستهزئون بآيات الله حين
- ٣٤ تتلى عليهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا

- ٣٤ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ .. ﴿٣٢ - ٣٥
- ٣٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧ تقرير جهل المشركين وسفاهتهم
- ٣٧ فضل الاستغفار
- ٣٧ تقرير خطيئة من يصد الناس عن المسجد الحرام
- ٣٧ الحكم بأن أولياء الله هم المتقون
- ٣٧ تحريم التصفيق والصفير في العبادة وكراهيته في غيرها
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
- لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴿٣٦ - ٣٧
- ٣٧ أحكام ومسائل الآيتين
- الحكم بأن كل نفقة يراد منها الصد عن سبيل الله تتحوّل
- إلى هلاك لصاحبها في الدنيا والآخرة
- ٣٩ الحكم بأن الله يميز المال الخبيث
- ٤٠ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا
- يُغْفَرْ لَهُمْ .. ﴿٣٨ - ٤٠
- ٤١ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١ الحكم بأن المشركين إذا تابوا من شركهم وأخلصوا يغفر لهم
- ٤١ وجوب قتال المشركين
- ٤١ إن الله نعم المولى لمن يتولاه ونعم النصير لمن يتولى نصره
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ .. ﴿٤١
- ٤٢ أحكام ومسائل الآية
- ٤٣

- ٤٣ قسمة الله للغنائم قسمة حكم
- تفسير قوله تعالى ﴿إِذَا أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ
- ٤٤ الْقُصُوصِ وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ..﴾ ٤٢ - ٤٤
- ٤٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٩ تقرير ما كان في غزوة بدر من النصر للمسلمين
- ٤٩ تذكير الله لنبيه ورسوله بالنصر
- ٤٩ تقرير أن ما حدث في هذه الغزوة عبرة لمن يعتبر
- ٤٩ توكيد أن دين الله هو الغالب
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
- ٤٩ فَأَثْبِتُوا..﴾ ٤٥ - ٤٦
- ٥٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٥٠ وجوب الثبات عند لقاء العدو
- ٥٠ وجوب ذكر الله عند عظامم الأمور
- ٥١ وجوب نبذ التنازع والاختلاف
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
- ٥١ بَطَرًا..﴾ ٤٧ - ٤٩
- ٥٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٤ الحكم بأن من عوامل الفشل في الحروب البطر والغرور
- ٥٤ الشيطان يزين للكافرين العدوان
- ٥٤ أهل الكفر يبغضون المؤمنين

- ٥٤ وجوب التوكل على الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا
- ٥٤ أَلْمَلَكَةُ... ﴿٥٠ - ٥٢
- ٥٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٦ تقرير ما يلاقيه الكفار من العذاب والإهانة
- ٥٦ تحريم الله الظلم على نفسه
- تفسير قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً
- ٥٦ أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنفُسِهِمْ.. ﴿٥٣ - ٥٤
- ٥٧ أحكام ومسائل الآيتين
- الحكم بأن من سنة الله في خلقه أن لا يغير عليهم نعمه
- ٥٧ إلا إذا قابلوها بالجحود
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ
- ٥٨ كَفَرُوا.. ﴿٥٥ - ٥٨
- ٥٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٩ تقرير أن الكفار هم شر الدواب
- ٥٩ وجوب تشديد القتال مع العدو
- ٥٩ تحريم الخيانة وجواز إلغاء المعاهدة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا
- ٦٠ يُعْزِزُونَ.. ﴿٥٩ - ٦٠
- ٦٢ أحكام ومسائل الآيتين

- ٦٢ الحكم بأنه يجب على الأمة تقوية نفسها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾ ٦١ - ٦٣ ٦٣
- أحكام ومسائل الآيات ٦٦
- الحكم بجواز الصلح والسلم مع العدو ٦٦
- الصلح والسلم لا يعني الاستسلام ٦٦
- على المسلم أن يعتمد على نصر الله ٦٦
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ ٦٤ - ٦٦ ٦٦
- أحكام ومسائل الآيات ٦٨
- الحكم بأن الله عز وجل هو الحسيب والكافي ٦٨
- وجوب حث المؤمنين وتحريضهم على الجهاد ٦٨
- وجوب الصبر عند القتال ٦٨
- تفسير قوله تعالى ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْبَغَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ...﴾ ٦٧ - ٦٩ ٦٨
- أحكام ومسائل الآيات ٧١
- من قواعد الجهاد في الأمة ألا تفادي الأسرى أو تمن عليهم بفكهم إلا بعد أن يثخن المجاهدون القتل في العدو ٧١
- تحليل الغنائم لهذه الأمة ٧١
- وجوب تقوى الله وطاعته ٧١
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ

- ٧٢ الْأَسْرَى .. ﴿٧٠ - ٧١
- ٧٣ أحكام ومساائل الآيتين
تقرير أن من عمل خيراً وهو صادق في نيته عوضه
الله خيراً منه ٧٣
- ٧٤ سوء الخيانة يرتد على الخائن
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..﴾ ٧٢ ٧٤
- ٧٦ أحكام ومساائل الآية
الحكم بوجوب نصره المؤمنين ٧٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ ..﴾ ٧٣ ٧٧
- ٧٧ أحكام ومساائل الآية
وجوب عدم موالة الكافرين ٧٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا ..﴾ ٧٤ - ٧٥ ٧٧
- ٧٨ أحكام ومساائل الآيتين
تقرير فضل المهاجرين الأول ٧٨
تقرير فضل الأنصار الذين آووا رسول الله ٧٨
نسخ التوارث بين المهاجرين والأنصار ٧٨

- ٧٩ تفسير سورة التوبة
- تفسير قوله تعالى ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
- ٧٩ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ.. ﴿ ١ - ٢
- ٨٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٠ الحكم بجواز عقد المعاهدات والصلح
- جواز إلغاء المعاهدات مع الكافرين بعد إعطائهم مدة لكي
- ٨٠ يتدبروا أمرهم فيها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ
- ٨٠ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ.. ﴿ ٣ - ٤
- ٨٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٢ وجوب البراءة من المشركين ومن في حكمهم
- ٨٢ الحكم بوجوب الوفاء بالمعاهدات مع الكفار
- تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
- ٨٢ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.. ﴿ ٥ - ٦
- ٨٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٣ وجوب استعمال القوة في القتال
- ٨٣ وجوب الأمن لمن طلب الأمان وعدم التعرض له
- تفسير قوله تعالى ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ
- ٨٣ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ.. ﴿ ٧ - ٨
- ٨٥ أحكام ومسائل الآيتين

- ٨٥ وجوب احترام العهد مع العدو
- ٨٥ تقرير أن من طبيعة العدو عدم الوفاء بالعهد
- ٨٥ تفسير قوله تعالى ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ ٩ - ١٢
- ٨٧ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير سوء سلوك المشركين في إعراضهم أنفسهم عن
- ٨٧ الدين والاستعاضة عنه بحطام الدنيا
- ٨٧ تقرير أن من طبيعة العدو أنه لا يرعى عهداً ولا قرابة
- ٨٧ من تاب من الكفار أصبح من المؤمنين
- ٨٧ من طعن في الدين يعد كافراً
- تفسير قوله تعالى ﴿أَلَا تُقْنِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا
- ٨٧ أَيْمَنَهُمْ...﴾ ١٣ - ١٦
- ٩٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٩٠ الحث على مقاتلة من ينقض العهد
- ٩٠ الأمر بقتال المشركين ومنازلتهم
- الجهاد في سبيل الله يميز الذين يجاهدون بصدق ممن
- ٩٠ يوالون الأعداء
- تفسير قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ
- ٩٠ اللَّهِ...﴾ ١٧ - ١٨
- ٩٢ أحكام ومسائل الآيتين

- ٩٢ الحكم بأن المشركين ومن في حكمهم لا يعمرّون مساجد الله ..
- ٩٢ الحكم بتحريم دخول غير المسلم للمسجد
- ٩٣ وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ..
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. ﴾ ١٩ - ٢٢ ..
- ٩٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٩٥ تقرير أن عمل المشرك لا ينفعه
- ٩٥ أعظم المؤمنين درجة هم الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ .. ﴾ ٢٣ - ٢٤ ..
- ٩٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٩٧ الحكم بكفر من يتخذ الكافرين أولياء
- تفسير قوله تعالى ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ .. ﴾ ٢٥ - ٢٧ ..
- ٩٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠١ تحريم الغرور والعجب
- ١٠١ كثرة الجيوش لا تغني شيئاً
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ .. ﴾ ٢٨ - ٢٩ ..
- ١٠١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٠٣ الحكم بنجاسة المشرك

- ١٠٤ وجوب مقاتلة من لا يؤمن بالله
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ﴾
- ١٠٤ أَبْنُ اللَّهِ .. ﴿ ٣٠ - ٣٣ ﴾
- ١٠٧ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٧ تقرير انحراف اليهود وكفرهم بجعل نبيهم عزيزاً ابن لله
- ١٠٧ من يتبع غيره في تحليل ما حرم الله يعد كافراً
- ١٠٧ تقرير عداوة أهل الكتاب للإسلام
- ١٠٨ الإسلام لا بد أن يعم الأرض
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
- ١٠٨ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ .. ﴿ ٣٤ - ٣٥ ﴾
- ١١٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١٠ تحريم أكل أموال الناس بالباطل
- ١١١ تحريم جمع المال لمجرد الكنز
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
- ١١١ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ .. ﴿ ٣٦ - ٣٧ ﴾
- ١١٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ١١٤ الحكم بأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً
- ١١٤ الحكم بأن الله عظم الخطايا في الأشهر الحرم
- لما حرم الله تأخير أهل الجاهلية وزيادتهم في أسماء
- ١١٤ الشهور تحيلوا

- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنِفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَأَقْلَتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ..﴾ ٣٨ - ٣٩ ١١٤
- أحكام ومسائل الآيتين ١١٧
- التهديد والوعيد بترك النفر للجهاد ١١٧
- تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ ..﴾ ٤٠ .. ١١٧
- أحكام ومسائل الآية ١٢٠
- الحكم بوجوب طاعة ولي الأمر ١٢٠
- الحكم بوجوب نصره رسول الله في حياته وبعد مماته ١٢٠
- الحكم بجواز الفرار من العدو إذا لم يكن من وسيلة
إلا الفرار ١٢٠
- تفسير قوله تعالى ﴿أَنِفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ..﴾ ٤١ ١٢٠
- أحكام ومسائل الآية ١٢١
- الحكم بوجوب النفير للجهاد وما يستثنى من ذلك ١٢١
- وجوب الجهاد بالنفس والمال وبكليهما معاً ١٢٢
- تفسير قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَاتَّبَعُوكَ ..﴾ ٤٢ - ٤٥ ١٢٣
- أحكام ومسائل الآيات ١٢٥
- تقرير أن سلوك المنافقين يقوم على الكذب ١٢٥
- تقرير أن المؤمنين الصادقين في إيمانهم لا يتخلفون عن
الجهاد في سبيل الله ١٢٥
- تقرير أن الذين يستأذنون من الجهاد هم المنافقون ١٢٦

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً

وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ... ﴿٤٦ - ٤٧ ١٢٦

أحكام ومسائل الآيتين ١٢٧

بيان من الله لسلوك المنافقين وتخاذلهم عن الخروج للجهاد.... ١٢٧

التحذير من شرور المنافقين ١٢٧

تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا

لَكَ الْأُمُورَ... ﴿٤٨ - ٥٠ ١٢٨

أحكام ومسائل الآيات ١٣٠

تقرير مؤامرة اليهود والمنافقين من العرب على رسول الله ﷺ... ١٣٠

تقرير كذب المنافقين ١٣٠

المنافقون يستاءون عندما ينال المسلمون خيراً ويفرحون

عندما يصيب المسلمون نازلة أو مصيبة ١٣٠

تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا

هُوَ مَوْلَانَا... ﴿٥١ - ٥٢ ١٣٠

أحكام ومسائل الآيتين ١٣١

وجوب التوكل على الله والتطلع إلى نصره ١٣١

تقرير أن سلوك المؤمنين إما النصر على عدوهم أو الشهادة

في سبيل الله ١٣١

مخاطبة العدو وتغليظ القول له ١٣١

تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ

- ١٣١ مِنْكُمْ ﴿٥٣ - ٥٤
- ١٣٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٣٣ الحكم بأن الكافر لا ينتفع في الآخرة بما عمله من عمل
تفسير قوله تعالى ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
- ١٣٤ أَوْلَادُهُمْ ﴿٥٥ - ٥٧
- ١٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٥ لا يجوز الإعجاب بما أوتي المنافقون من متاع الدنيا
تقرير كذب المنافقين
من صفات المنافقين الجبن والانهازام بسبب فراغ قلوبهم
- ١٣٥ من الإيمان
- ١٣٥ تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴿٥٨ - ٥٩ ..
- ١٣٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٣٧ الحكم بالنفاق على كل من يعيب أمراً أمر به رسول الله ﷺ ..
من الخير للعبد أن يقنع بما قسمه الله ..
- ١٣٧ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴿١٠ ..
- ١٤١ أحكام ومسائل الآية
- ١٤١ الحكم بأن الزكاة من فرائض الله على عباده
تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ
- ١٤١ هُوَ أَذْنٌ ﴿١١ - ١٣
- ١٤٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٤٣ تقرير أذى المنافقين لرسول الله ﷺ

- ١٤٣ تقرير أن المنافقين يخادعون الله
تفسير قوله تعالى ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ
سُورَةٌ...﴾ ١٤ - ١١ ١٤٤
- ١٤٦ أحكام ومسائل الآيات ١٤٦
- ١٤٦ تقرير أن المنافقين يخشون دائماً من انكشاف سلوكهم ١٤٦
- ١٤٦ من هزل أو استهزء بالله أو آياته فقد كفر ١٤٦
- تفسير قوله تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ
بَعْضٍ...﴾ ١٧ - ١٨ ١٤٦
- ١٤٧ أحكام ومسائل الآيتين ١٤٧
- تقرير أن من صفات المنافقين الإعراض عن كل ما فيه خير
من أمر الدنيا ١٤٧
- ١٤٧ من صفات المنافقين البخل والفسق والضلal ١٤٧
- تفسير قوله تعالى ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ
مِنْكُمْ قُوَّةً...﴾ ١٩ - ٧٠ ١٤٨
- ١٥٠ أحكام ومسائل الآيتين ١٥٠
- ١٥٠ تقرير التشابه بين المنافقين رغم تباعد الزمان بينهم ١٥٠
- ١٥٠ وجوب الاعتبار بمن أهلكهم الله ١٥٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ...﴾ ٧١ - ٧٢ ١٥٠
- ١٥٢ أحكام ومسائل الآيتين ١٥٢

- ١٥٢ تقرير صفات المؤمنين
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ
- ١٥٢ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ..﴾ ٧٣ - ٧٤
- ١٥٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٥٥ تقرير القتال للكفار والمنافقين
- ١٥٥ تقرير كفر من يرتد بعد إسلامه
- ١٥٥ اختلاف العلماء في توبة المنافق
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ
- ١٥٦ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ..﴾ ٧٥ - ٧٨
- ١٥٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥٨ الحكم بوجوب الوفاء بالعهد
- ١٥٩ التنديد بالبخل وذمه
- ١٥٩ من يعمل سوءاً ولا يتوب منه تتابع عليه السيئات
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
- ١٥٩ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ..﴾ ٧٩ - ٨٠
- ١٦٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٦٠ تحريم لمز المؤمنين بالقول أو الكتابة أو الإشارة
- ١٦١ تحريم السخرية من المؤمنين
- ١٦١ تقرير أن الاستغفار للكافر لا ينفعه
- تفسير قوله تعالى ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ
- ١٦١ رَسُولِ اللَّهِ..﴾ ٨١ - ٨٢

- ١٦٢ أحكام ومسائل الآيتين
- من صفات المنافقين الفرع بالإعراض عن طاعة الله تعالى
- ١٦٢ وطاعة رسوله
- ١٦٢ كراهة الإكثار من الضحك
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ ٨٣ - ٨٥
- ١٦٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٦ تقرير أن السيئة تتبع السيئة
- ١٦٦ تحريم الصلاة على الكافرين
- ١٦٦ تحريم الإعجاب بالكافرين
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ٨٦ - ٨٩
- ١٦٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٨ جواز استئذان المأمور من الأمر لفعل شيء أو تركه
- ١٦٨ فضل الجهاد بالمال والنفس
- تقرير أن المنافقين الذين رضوا أن يكونوا مع المتخلفين
- ١٦٨ أصيبوا بالمرض
- تقرير أن رسول الله ومن معه من المؤمنين جاهدوا
- ١٦٨ بالنفس والمال
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ٩٠ - ٩٣
- ١٦٨

- ١٧١ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧١ تقرير أصحاب الأعدار الذين يجوز لهم التخلف عن الجهاد ..
- ١٧١ تقرير من لا يجوز لهم التخلف عن الجهاد
- تفسير قوله تعالى ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ...﴾ ٩٤ - ٩٦ ١٧١
- ١٧٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٣ تقرير أن المتخلفين عن الجهاد يخلقون أعداراً
- ١٧٣ المنافقون نجس مثل المشركين
- تفسير قوله تعالى ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ...﴾ ٩٧ - ٩٩ ١٧٣
- ١٧٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٥ الخلاف في جواز شهادة الأعراب وإمامتهم لأهل الحضر
- المقصود بمن وصفهم الله بأنهم أشد كُفراً ونفاقاً من الأعراب بعدهم عن الجماعة وجهلهم بالأحكام ١٧٦
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾ ١٠٠ ١٧٦
- ١٧٧ أحكام ومسائل الآية
- ١٧٧ تقرير فضيلة السبق والمسارة إلى العمل الصالح
- تقرير أن فضل السبق إلى العمل الصالح يشمل من اتبع السابقين ١٧٨
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ

- ١٧٨ مُنْفِقُونَ ﴿١٠١ - ١٠٢
- ١٨٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨٠ الحكم بأنه لا يعلم السرائر إلا الله
- ١٨٠ تقرير أن الاعتراف بالذنب فضيلة
- تقرير أن من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً حري بأن
- ١٨٠ الله يغفر له
- تفسير قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
- تُطَهِّرُهُمْ﴾ ﴿١٠٣ - ١٠٤
- ١٨٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨٢ ما يوصي به ظاهر لفظ قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ ..
- ١٨٣ من تاب من ذنوبه عليه أن يعقب ذلك بأعمال الخير
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
- وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٥ - ١٠٦
- ١٨٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨٤ يجب على العبد إذا تاب من ذنبه أن يستمر على الطاعة
- يجب على العبد أن يجعل رجاءه في الله وخشيته منه
- وأن يعرف أنه تحت مشيئته
- ١٨٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
- وَتَفَرُّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٧ - ١٠٨
- ١٨٤ سبب نزول الآية
- ١٨٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨٨

- ١٨٨ الحكم بهدم كل مسجد بني للضرار
- ١٨٩ تقرير فضل التطهر من النجاسات والأدران
- تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بِئِنَّهٗ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ
 اللَّهُ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بِئِنَّهٗ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ
 فَأَتَاهَارِبُهُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ... ﴾ ١٠٩ - ١١٠ ١٨٩
- أحكام ومسائل الآيتين ١٩٠
- الحكم بأن المؤمن هو الذي يؤسس دينه على التقوى ١٩٠
- الظلمة يبعدهم الله عن هدايته ١٩٠
- المنافق يبقى دائماً في شك ١٩٠
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
 وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ... ﴾ ١١١ - ١١٢ ١٩٠
- أحكام ومسائل الآيتين ١٩٤
- تقرير شراء الله لأرواح المؤمنين ١٩٤
- شراء الله لأرواح المؤمنين وعد سيفي به ١٩٤
- وجوب اتصاف المؤمن بالصفات المذكورة في الآية ١٩٤
- تقرير البشرى للمؤمنين الذين يتصفون بالصفات
 المذكورة في الآية ١٩٤
- تفسير قوله تعالى ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
 لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ... ﴾ ١١٣ - ١١٤ ١٩٤
- أحكام ومسائل الآيتين ١٩٦
- الحكم بأن من مات مشركاً بالله يحرم الاستغفار له ١٩٦

- ١٩٦ وجوب الوفاء بالعهد
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ ١١٥ - ١١٦ ١٩٧
- ١٩٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٩٧ تقرير أن من عدل الله وحكمته أن يبين لعباده طريق الهدى ...
- ١٩٨ ليس للعبد ولي يواليه أو نصير ينصره سوى الله
- تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ ١١٧ - ١١٩ ... ١٩٨
- ٢١٠ أحكام ومسائل الآيات
- الحكم بأنه يجوز لولي الأمر اتخاذ الأدب بحق من يرى
- ٢١٠ في ذلك مصلحة
- ٢١٠ تقرير ما حدث للمؤمنين في غزوة تبوك
- ٢١٠ تقرير فضل الثلاثة الذين خلفوا
- ٢١١ وجوب الصدق وتحريم الكذب
- تفسير قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ١٢٠ - ١٢١ ٢١١
- ٢١٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢١٢ الحكم بأن على المسلم أن يؤثر رسول الله ﷺ على نفسه
- على المسلم أن يعادي ويبغض من يعادي ويبغض
- ٢١٢ رسول الله ﷺ

كل خطوة يخطوها المجاهد في سبيل الله يكتب له بها

عمل صالح ٢١٣

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا

كَافَّةً...﴾ ١٢٢ ٢١٣

أحكام ومسائل الآية ٢١٤

الحكم بالتساوي بين الجهاد والعلم من حيث المنزلة والفضل .. ٢١٤

تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ

مِنَ الْكُفَّارِ...﴾ ١٢٣ ٢١٥

أحكام ومسائل الآية ٢١٦

الحكم بأن الجهاد واجب لنشر دين الله ٢١٦

البدء بالقتال مع الكفار الأقربين ٢١٦

وعد الله بالنصر للمؤمنين ٢١٦

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ

أَيْتُكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا...﴾ ١٢٤ - ١٢٧ ٢١٦

أحكام ومسائل الآيات ٢١٨

الحكم بأن إيمان المؤمن يزداد باستمراره في الطاعة ٢١٨

على العباد أن يتفكروا فيما يصيبهم ٢١٨

تقرير سلوك المنافقين ٢١٨

تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

أَنْفُسِكُمْ...﴾ ١٢٨ - ١٢٩ ٢١٩

- ٢٢٠ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير فضل الله على العرب وعلى البشر كافة بنبوته
- ٢٢٠ ورسالة محمد ﷺ
- ٢٢٠ تقرير قيم وحسن أخلاق النبي ﷺ
- ٢٢٠ وجوب توكل العباد على الله
- ٢٢٠ تقرير عظمة عرش الله عز وجل
- ٢٢١ تفسير سورة يونس
- ٢٢١ تفسير قوله تعالى ﴿الرَّتِّلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ...﴾ ٢-١
- ٢٢٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٢٢ الحكم بأن القرآن كتاب الله
- ٢٢٢ الإنكار على من يعجب من إرسال نبي أو رسول من البشر
- ٢٢٢ الحكم بأن للمؤمنين قدم صدق عند ربهم
- ٢٢٢ بيان أن أهل الكفر لا يترددون في قول الباطل
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
- وَالْأَرْضَ...﴾ ٦ - ٣
- ٢٢٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٢٦ الحكم بتقرير ربوبية الله وألوهيته
- ٢٢٦ الأمر بعبادة الله وحده
- ٢٢٦ تقرير خلق السماوات والأرض في أيام معلومة

- ٢٢٦ تقرير البعث والحساب
- ٢٢٦ تقرير حكمة الله في خلق الشمس والقمر والكواكب في عمومها..
- ٢٢٦ وجوب التفكير في آيات الله
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ٧ - ١٠
- ٢٢٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٢٨ تقرير أن من خسارة العبد نسيان الآخرة
- ٢٢٨ الإيمان وعمل الصالحات هو طريق الجنة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ ١١ - ١٢
- ٢٢٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٠ تقرير رحمة الله لعباده
- ٢٣٠ تقرير سوء سلوك الإنسان الكافر
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ ١٣ - ١٦
- ٢٣٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٢ تقرير وعيد الله بالعذاب لأهل الشرك
- ٢٣٢ تقرير سنة الله في إهلاك المجرمين بعد إمهالهم
- ٢٣٢ تقرير أن أهل الشرك والضلال ينازعون في القرآن
- تفسير قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾

- ٢٣٣ ١٧ - ١٨ ﴿...﴾ أَوْ كَذَبَ بَيِّنَتِهِ
- ٢٣٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٤ الحكم بأنه ليس أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب
- ٢٣٤ تكذيب ادعاء المشركين أن الأصنام تشفع لهم عند الله
- تفسير قوله تعالى ﴿...﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً
- ٢٣٤ ١٩ - ٢٠ ﴿...﴾ فَأَخْتَلَفُوا
- ٢٣٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٦ تقرير أن الشرك لم يحدث أولاً إلا من قوم نوح
- تقرير حكمة الله أن أهل الشرك والضلال يعيشون إلى
- ٢٣٦ أن تنتهي آجالهم
- ٢٣٦ تقرير أن نزول الآيات التي طلبها المشركون هو من غيب الله
- تفسير قوله تعالى ﴿...﴾ وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ
- ٢٣٦ ٢١ - ٢٣ ﴿...﴾ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرُفٍ أَيْبَانَا
- ٢٣٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٩ تقرير أن الكافرين يمكرون بآيات الله
- ٢٣٩ تقرير فساد المشركين والكفار
- ٢٣٩ تقرير أن من بغى وظلم يرد ظلمه إليه
- ٢٣٩ تقرير البعث والجزاء على العمل في الدنيا
- تفسير قوله تعالى ﴿...﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِن
- ٢٣٩ ٢٤ - ٢٥ ﴿...﴾ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

- أحكام ومسائل الآيتين ٢٤١
- تقرير أن الحياة الدنيا مجرد وقت ٢٤١
- تفصيل الله عز وجل الآيات لعباده ٢٤١
- دعوة الله عباده إلى العمل من أجل الجنة لأنها دار نعيم ٢٤٢
- تفسير قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...﴾ ٣٠-٢١ ٢٤٢
- أحكام ومسائل الآيات ٢٤٥
- تقرير أن من كسب حسنة كانت له العاقبة ٢٤٥
- تبرؤ المعبود من دون الله يوم القيامة من عبده ٢٤٥
- كل نفس تمتحن يوم القيامة بما عملته في الحياة الدنيا
- من الخير والشر ٢٤٥
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ
- وَالْأَرْضِ...﴾ ٣١ - ٣٣ ٢٤٥
- أحكام ومسائل الآيات ٢٤٧
- تقرير أن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية
- ويشركون في توحيد الألوهية ٢٤٧
- الله عز وجل هو الحق ٢٤٧
- من كذب بالحق يصبح هذا التكذيب أساساً في سلوكه ٢٤٧
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَدْعُوا الْخَلْقَ
- ثُمَّ يَعْبُدُوهُ...﴾ ٣٤ - ٣٦ ٢٤٧
- أحكام ومسائل الآيات ٢٤٩
- تقرير عجز أصنام المشركين ٢٤٩

- ٢٤٩ العبادۃ لا تبنى على الظن
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾ ٣٧ - ٤٠ ٢٤٩
- ٢٥١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥١ الحكم بأن القرآن كلام الله أنزله على نبيه
- ٢٥٢ الحكم بأنه مصدق للكتب السماوية
- ٢٥٢ تكذيب المشركين بالقرآن كان نتيجة جهل
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ... ﴾ ٤١ - ٤٤ ٢٥٢
- ٢٥٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٤ توجيه الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يحاج المشركين إذا كذبوه..
- ٢٥٤ الكفر إذا انطبع على قلب العبد لم يعد يعقل معنى الهدى
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّرِيبًا شَوْ إِلَّا سَاعَةً... ﴾ ٤٥ - ٤٧ ٢٥٤
- ٢٥٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٦ تقرير أن الناس يوم المعاد كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة
- ٢٥٦ تقرير التعارف بينهم في ذلك الموعد
- ٢٥٦ تقرير أن الخاسرين في ذلك اليوم هم الذين أنكروا البعث
- ٢٥٦ إخبار الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بأنه شاهد على الذين كذبوه..
- ٢٥٦ كل رسول سوف يأتي يوم المعاد مع أمته
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ... ﴾

٢٥٦	صَدِيقِينَ... ﴿٤٨ - ٥٣
٢٥٩	أحكام ومسائل الآيات
٢٥٩	تقرير جهل المشركين في سؤالهم
٢٥٩	تقرير أن الآجال محدودة
٢٥٩	إذا حل الأجل فلا إيمان ولا توبة
	تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ
٢٥٩	لَأَفْتَدَتْ بِهِ... ﴿٥٤ - ٥٦
٢٦٠	أحكام ومسائل الآيات
٢٦٠	تقرير أنه لو كان للظالم كل ما في الأرض لافتدى به
٢٦١	كل ما في السموات وما في الأرض وما بينهما ملك لله
	تفسير قوله تعالى ﴿بَنَاتُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ
٢٦١	مِّن رَّبِّكُمْ... ﴿٥٧ - ٦١
٢٦٤	أحكام ومسائل الآيات
٢٦٤	الحكم بأن في القرآن موعظة للمؤمنين
٢٦٤	من الخير للعباد أن يفرحوا بنزول القرآن
٢٦٤	تحريم الكذب على الله
٢٦٤	الله عز وجل شهيد على أعمال الخلق
	تفسير قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
٢٦٤	وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ... ﴿٦٢ - ٦٤
٢٦٦	أحكام ومسائل الآيات

- ٢٦٦ الحكم بأن من آمن بالله إيماناً صادقاً أصبح من أوليائه
- ٢٦٦ البشرى في الدنيا هي الرؤيا الصالحة
- أن ولاية الله للمؤمنين وبشراهم في الدنيا والآخرة وعد
- ٢٦٦ منه لا يتبدل
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾ ٦٥ - ٦٧
- ٢٦٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٦٨ تقرير أن على الدعاة إلى دين الله ألا يحزنوا
- ٢٦٨ الذين يدعون مع الله غيره ليس لهم برهان أو دليل
- ٢٦٨ قدرة الله المتجلية في الآيات الكونية كافية للعقلاء
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ...﴾ ٦٨ - ٧٠
- ٢٦٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٠ الحكم بتحريم نسبة الولد إلى الله
- ٢٧٠ كذب من نسب الولد إلى الله
- ٢٧٠ من يفترى الكذب على الله لن يفلح أبداً
- تفسير قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبْرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِثَانِتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ...﴾ ٧١ - ٧٣
- ٢٧٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٢ تقرير شجاعة نبي الله نوح عليه السلام

- ٢٧٢ فضل التوكل على الله
- ٢٧٢ من دعا إلى الله لا يكون له أخذ أجر على دعوته
- ٢٧٢ تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ..﴾ ٧٤ - ٧٨
- ٢٧٤ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن الأمم التي كذبت رسلها واستمرت على فسادها
- ٢٧٤ انطبعت قلوبها بالضلال
- ٢٧٤ السحر كفر
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ..﴾ ٧٩ - ٨٢
- ٢٧٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٥ تقرير جهل فرعون وغبائه
- ٢٧٥ الحق لا بد أن يعلو
- تفسير قوله تعالى ﴿فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ..﴾ ٨٣ - ٨٧
- ٢٧٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٧ تقرير أنه رغم تكذيب الأمم لرسولهم فإن طوائف منهم تؤمن بهم وتصدقهم
- ٢٧٧ تحريم الطغيان والاستكبار
- ٢٧٨ وجوب توكل الداعي على الله
- ٢٧٨ وجوب إقامة الصلاة في المساجد

- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ ٨٨ - ٨٩ ٢٧٨
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٧٩
- مشروعية الدعاء على الكافرين ٢٧٩
- تقرير أن اتباع الشهوات والملذات واللهو عن ذكر الله وسيلة إلى الإفساد ٢٨٠
- تحريم اتباع سبيل أهل الضلال ٢٨٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا..﴾ ٩٠ - ٩٢ ٢٨٠
- أحكام ومسائل الآية ٢٨١
- تقرير غرق فرعون ٢٨١
- الاستمرار على الفساد والظلم يحول بين الظالم وبين الهداية .. ٢٨١
- وجوب الاعتبار بما يحدث للظالمين من العذاب ٢٨١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ..﴾ ٩٣ ٢٨٢
- أحكام ومسائل الآية ٢٨٣
- تقرير فضل الله على المؤمنين ٢٨٣
- تقرير غضب الله على من أنكروا نعم الله ٢٨٣
- من أسباب الهلاك الاختلاف في الدين ٢٨٣
- تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِّ

- ٢٨٣ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ .. ﴿٩٤ - ٩٧﴾
- ٢٨٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٥ تقرير نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ ونفي الشك عنه ...
- ٢٨٥ من كذب بآيات الله يكون من الخاسرين
- ٢٨٥ من لا يؤمن بآيات الله أو يكذب بها يطبع الله على قلبه
تفسير قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا .. ﴿٩٨ - ١٠٠﴾
- ٢٨٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٧ الحكم بأن الله لطيف بعباده
- ٢٨٧ الإيمان بيد الله
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ .. ﴿١٠١ - ١٠٣﴾
- ٢٨٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٩ الحكم بأن الذكرى والموعظة لا تنفع من صد عن ذكر الله
- ٢٨٩ تهديد الظالمين بما يصيبهم من العذاب إن استمروا على ظلمهم ..
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي
فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
يَتَوَقَّكُمْ .. ﴿١٠٤ - ١٠٧﴾
- ٢٨٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩١ أحكام ومسائل الآيات

- ٢٩١ وجوب الثبات على الدين والاستقامة عليه
- ٢٩١ دعاء المخلوقين مع الله يعد شركاً
- ٢٩١ يجب على العبد أن يؤمن إيماناً صادقاً
- تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ .. ﴾ ١٠٨ - ١٠٩ ٢٩١
- ٢٩٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٩٢ الحكم بأن القرآن قد أنزل على رسول الله محمد ﷺ
- ٢٩٢ الحكم بأن من اهتدى فإن نفع ذلك يعود عليه
- ٢٩٣ تفسير سورة هود
- تفسير قوله تعالى ﴿ الرِّكَابُ أَكْمَلُ مِنْ رِجَالِهِمْ وَمِنْ الْمَلَائِكَةِ أَعْظَمُ مِنْ الْبَنَاتِ وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِكُمْ ذَلِكُمْ سُبُلٌ أَفَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ١ - ٥ ٢٩٣
- ٢٩٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٦ تقرير ثناء الله على القرآن
- ٢٩٦ تقرير جهل المشركين والمنافقين
- ٢٩٦ الحكم بأن الله يعلم أسرار خلقه
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا .. ﴾ ٦ - ٨ ٢٩٦
- ٢٩٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٨ الحكم بأن الله جل ثناؤه تكفل بأرزاق خلقه

- ٢٩٩ تقرير جهل المشركين وكذبهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾ ٩ - ١١ ٢٩٩
- ٣٠٠ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن من سلوك الإنسان اليأس من رحمة الله إلا
- أهل الإيمان ٣٠٠
- تفسير قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ ١٢ - ١٤ ٣٠١
- ٣٠٢ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن المشركين يجحدون وسائل الحق ٣٠٢
- تكذيب الله للمشركين في اتهامهم لرسول الله ٣٠٢
- تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ١٥ - ١٧ ٣٠٣
- ٣٠٥ أحكام ومسائل الآيات
- الحكم بأن البيئة أساس العمل ٣٠٥
- المسلم على بيئة من دينه وشاهده فطرته ٣٠٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ١٨ - ٢٢ ٣٠٥
- ٣٠٨ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن من أشد الذنوب الكذب على الله ٣٠٨

- ٣٠٨ تقرير أن من يكذب على الله سوف يعرض عليه
- ٣٠٨ كلما اشتد الظلم اشتد العذاب
- ٣٠٨ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ﴾ ٢٣ - ٢٤
- ٣٠٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٠٩ تقرير جزاء المؤمنين بالجنة
- ٣٠٩ تقرير ضرب الأمثال للناس
- ٣٠٩ تشبيه الكافر بالميت
- ٣٠٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ﴾ ٢٥ - ٢٧
- ٣١١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١١ تقرير أن نوحاً عليه السلام أول من أرسل إلى الأرض
- ٣١١ الأصل في دعوة الأنبياء توحيد الله
- ٣١١ تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كِرِهُونَ ۖ﴾ ٢٨ - ٣١
- ٣١٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١٣ تقرير أن الداعي إلى الله لا يستطيع إلزام المدعويين
- ٣١٣ الأنبياء والرسل لا يأخذون أجراً على دعوتهم
- ٣١٣ تحريم طرد المؤمنين بسبب ضعفهم

- ٣١٤ علم الغيب عند الله وحده
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
- جِدْلَنَا..﴾ ٣٢ - ٣٥ ٣١٤
- أحكام ومسائل الآيات ٣١٥
- تقرير شرعية الجدل إذا كان المراد منه بيان الحق ٣١٥
- وجوب النصح لمن يريد الهداية ٣١٥
- وجوب البراءة من الإجرام وأهله ٣١٦
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ
- إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ..﴾ ٣٦ - ٣٩ ٣١٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣١٧
- تقرير عدم الحزن على هلاك أهل الضلال ٣١٧
- تقرير أن نوحاً عليه السلام أول من صنع السفن ٣١٧
- تفسير قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ..﴾ ٤٠-٤٤ .. ٣١٨
- أحكام ومسائل الآيات ٣٢٠
- تقرير أن الأزواج في سفينة نوح أبقت النسل ٣٢٠
- الإيمان بالله والاعتصام به سبب للنجاة من عذابه ٣٢٠
- يشرع لمن يركب طائرة أو سفينة أو دابة أن يسمي الله ٣٢١
- عدم استثناء الكافر من العذاب ٣٢١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي
- أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ..﴾ ٤٥ - ٤٧ ٣٢١
- أحكام ومسائل الآيات ٣٢٢

- ٣٢٢ الدين هو أساس العلاقة بين الأب وابنه
- ٣٢٢ على المرء ألا يقول على الله بغير علم
- ٣٢٢ الحكم بزم الجهل ووجوب الاستغفار
- ٣٢٣ تفسير قوله تعالى ﴿قِيلَ يَتُوحُ أَهِيْطُ سَلَمٍ..﴾ ٤٨
- ٣٢٣ أحكام ومسائل الآية
- ٣٢٣ الحكم بأن المؤمنين من الأمم سينالون نعم الله وبركاته
- ٣٢٣ الأمم الفاسدة تتمتع بالدنيا ثم العذاب
- ٣٢٣ تفسير قوله تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيْهَا إِلَيْكَ..﴾ ٤٩ ...
- ٣٢٤ أحكام ومسائل الآية
- ٣٢٤ بيان الله لنبيه حال الأمم السابقة
- ٣٢٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَالِىْ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا..﴾ ٥٠ - ٥٢
- ٣٢٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٦ بيان أن دعوة الرسل إلى أقوامهم هي عبادة الله وحده
- ٣٢٦ تقرير أن الدعاة إلى الله لا يأخذون أجراً على دعوتهم
- ٣٢٦ تقرير أن الاستغفار سبب في إنزال المطر
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيْ آلِ الْهِنَاءِ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ..﴾ ٥٣ - ٥٧
- ٣٢٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٨ تقرير سوء صنيع المشركين ومجادلتهم لأنبيائهم بالباطل
- اتفاق الأنبياء والرسل في دعوتهم أقوامهم على أن

- ٣٢٨ يدعوهم بالحسنى
- ٣٢٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا...﴾ ٥٨ - ٦٠
- ٣٣٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٠ الحكم بأن الله ينجي برحمته المؤمنين من العذاب
- ٣٣٠ الحكم بأن كل من يجحد آيات الله يطرد من رحمته
- ٣٣٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَالِئِنْ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾ ٦١ - ٦٥
- ٣٣٣ أحكام ومسائل الآيات
- الحكم بأن الله هو المنشئ للخلق من الأرض
- ٣٣٣ وجعلهم يعمرونها
- ٣٣٣ تقرير طبيعة المشركين في الجدل
- المسافر إذا لم يجمع على إقامة أربع ليال قصر الصلاة
- ٣٣٤ لأن الثلاثة أيام خارجة عن حكم الإقامة
- تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
- ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ ٦٦ - ٦٨
- ٣٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٥ الحكم بأن الله ينجي رسله ومن آمن معهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى
- قَالُوا سَلَامًا...﴾ ٦٩ - ٧١
- ٣٣٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٧ الندب إلى تبشير المسلم بما يكون له فيه خير

- أهمية إفشاء المرء السلام إذا رأى غيره ٣٣٧
- وجوب إكرام الضيف ٣٣٧
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَتْ يَوْنَيْتَنِي ۚ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ﴾ ٧٢ - ٧١ ٣٣٧
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٩
- الدلالة على أن المرأة قد تلد بعد طعنها في السن ٣٣٩
- عدم مشروعية الجدل في الأقوال التي يكون الحكم فيها مبنياً على الشرع ٣٤٠
- الحكم بأن الله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ٣٤٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۖ﴾ ٧٧ - ٧٩ ٣٤٠
- أحكام ومسائل الآيات ٣٤٢
- إكرام الضيف يقتضي حمايته والمحافظة عليه ٣٤٢
- تقرير أن المعصية تجعل صاحبها عبداً لهواه ٣٤٢
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۖ﴾ ٨٠ - ٨٣ ٣٤٢
- أحكام ومسائل الآيات ٣٤٤
- تقرير أن القوة مصدر لرد الأذى ٣٤٤
- الندب للسير في الليل عندما يكون المرء في حاجة إلى تبين أمر له فيه مصلحة ٣٤٥

- الحكم بأن فاحشة قوم لوط من أسوأ الفواحش ٣٤٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالِى مَدِيْنٍ أَخَاهُ شُعَيْبًا...﴾ ٨٤ - ٨٦ ٣٤٥
- أحكام ومسائل الآيات ٣٤٧
- تحريم بخر الناس حقوقهم ٣٤٧
- تحريم تطفيف الكيل والوزن ٣٤٧
- تقرير أن البخر والتطفيف فساداً ٣٤٧
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُمْ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ...﴾ ٨٧ - ٨٨ ٣٤٨
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٤٩
- بيان أن عادة الكفار الاستهزاء بأحكام الله وتكذيب رسله ٣٤٩
- من ينهى عن فعل أمر غير مشروع عليه أن لا يخالفه ٣٤٩
- الحكم بأن الأمر بالإصلاح يكون بقدر الإستطاعة ٣٥٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرَمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ...﴾ ٨٩ - ٩٠ ٣٥٠
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٥١
- تحذير من يكفر بآيات الله ويرتكب المحرمات بالعذاب ٣٥١
- الواجب على من أذنب أن يستغفر الله ٣٥١
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا...﴾ ٩١ - ٩٣ ٣٥١
- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٢

- ٣٥٢ تقرير أن قوة الداعي إلى الله تمنعه من سفه قومه وإيذائه
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا..﴾ ٩٤ - ٩٥
- ٣٥٣
٣٥٤ أحكام ومسائل الآيتين
٣٥٤ الحكم بأن الله ينجي المتقين من العذاب
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ ..﴾ ٩٦ - ٩٩
- ٣٥٥
٣٥٦ أحكام ومسائل الآيات
التحذير من اتباع الرؤساء والقادة الذين يضلون أتباعهم
عن سبيل الله
٣٥٦ الحكم بأن هؤلاء القادة والرؤساء سيقدمون أتباعهم يوم
القيامة إلى النار
تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ
عَلَيْكَ..﴾ ١٠٠ - ١٠٢
- ٣٥٦
٣٥٧ أحكام ومسائل الآيات
٣٥٧ تقرير وحي الله لنبيه بما حدث للأنبياء من قبله
٣٥٧ إن الله لا يظلم أحداً وحاشاه ذلك
٣٥٧ تقرير أن الله يهلك الظالمين هلاكاً أليماً
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ
الْآخِرَةِ..﴾ ١٠٣ - ١٠٥
- ٣٥٨

- أحكام ومسائل الآيات ٣٥٩
- الحكم بأن يوم البعث يوم لا ريب فيه ٣٥٩
- الحكم بأن في الناس من هو شقي وسعيد ٣٥٩
- الحكم بأن الناس لا يتكلمون يوم القيامة إلا بإذن الله ٣٥٩
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ .. ﴾ ١٠٦ - ١٠٨ ٣٥٩
- أحكام ومسائل الآيات ٣٦١
- الحكم بأن الله قد قضى على أناس بالشقاوة بسبب ما كسبوه ... ٣٦١
- الحكم بأن الله قد قضى على أناس بالسعادة ٣٦١
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ .. ﴾ ١٠٩ - ١١١ ٣٦١
- أحكام ومسائل الآيات ٣٦٢
- الحكم بأن عبادة أهل الأوثان عبادة باطلة ٣٦٢
- الحكم بأن الله أجل لهم العذاب إلى يوم القيامة ٣٦٢
- الحكم بأن الله سيوفي العباد أعمالهم ٣٦٢
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا .. ﴾ ١١٢ - ١١٣ ٣٦٢
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٦٣
- أمر الله بالاستقامة على دينه ٣٦٣
- الحكم بوجوب عدم موالاة الظالمين ٣٦٤

تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا

مِّنَ اللَّيْلِ..﴾ ١١٤ - ١١٥ ٣٦٤

أحكام ومسائل الآيات ٣٦٥

الحكم بفريضة الصلوات الخمس ٣٦٥

وجوب الصبر على طاعة الله ٣٦٥

تفسير قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا

بِقِيَّةٍ يَنْهَوْنَكَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ..﴾ ١١٦ - ١١٧ ٣٦٥

أحكام ومسائل الآيتين ٣٦٦

الحكم بأن الناس لا يزالون بخير إذا وجدوا من يردعهم

عن الظلم ٣٦٦

لم يعذب الله أناساً إلا بسبب ظلمهم ٣٦٧

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً

وَاحِدَةً..﴾ ١١٨ - ١١٩ ٣٦٧

أحكام ومسائل الآيتين ٣٦٨

الحكم بأن الله عز وجل لو أراد لجعل الناس كلهم على

دين الإسلام ٣٦٨

الله جعل الناس مختلفين في مللهم ٣٦٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ الرُّسُلِ مَا تُنَبِّئُ

بِهِ فَوَادِّكَ..﴾ ١٢٠ - ١٢٣ ٣٦٩

أحكام ومسائل الآيات ٣٧١

- ٣٧١ تقرير أهمية القصص في القرآن
- ٣٧١ توجيه الله لرسوله تجاه المشركين والمكذبين
- ٣٧١ الله وحده يعلم مكنونات السموات والأرض
- ٣٧٢ **تفسير سورة يوسف**
- ٣٧٢ تفسير قوله تعالى ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ..﴾ ١ - ٣ ...
- ٣٧٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٣ تقرير نزول القرآن بلغة العرب
- ٣٧٣ تقرير نبوة رسول الله ﷺ
- تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
- ٣٧٣ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ..﴾ ٤ - ٥
- ٣٧٤ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير حصول الرؤيا ومشروعية عرضها على من يعرف
- ٣٧٤ تعبيرها
- ٣٧٥ الرؤيا لا تقص إلا على عاقل
- تفسير قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ
- ٣٧٦ الْأَحَادِيثِ وَيُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ..﴾ ٦ - ١٠
- ٣٧٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٧ لا يجوز للوالد تفضيل أحد أولاده على أخوته
- ٣٧٨ التآمر والكيد من صفات البشر وأهم أسبابه الحسد

تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا بَنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ

وَأِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ... ﴾ ١١ - ١٥ ٣٧٨

أحكام ومسائل الآيات ٣٨٠

تقرير أن المكر لا يكون من العدو فحسب بل يكون من

القريب لقريبه ٣٨٠

القدر لابد أن يقع ٣٨٠

الحزن من طبيعة المرء عندما تكتئب نفسه ٣٨٠

تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ ١٦ - ١٨ ٣٨٠

أحكام ومسائل الآيات ٣٨٢

البكاء يكون أحياناً وسيلة للعدو فقط ٣٨٢

مشروعية السبق لما فيه من تمرين الجسم ٣٨٢

جواز الحكم المبدئي بالتهمة إذا ظهرت دلالاتها ٣٨٢

الكذب غالباً ما ينكشف ٣٨٢

عدم جواز الجزع عند المصيبة ٣٨٢

تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى

دَلْوُهُ... ﴾ ١٩ - ٢١ ٣٨٢

أحكام ومسائل الآيات ٣٨٥

اللقيط يعد حراً ٣٨٥

جواز بيع الشيء الثمين بالشيء اليسير ٣٨٥

أهمية الفراسة ٣٨٥

- ٣٨٦ التبني كان شائعاً قبل الإسلام
- ٣٨٦ الحكم بأن أمر الله غالب على أمر المخلوقين
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا
- وَعِلْمًا ۖ﴾ ٢٢ - ٢٤ ٣٨٦
- ٣٨٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٨ تقرير أن النبوة تعطى لصاحبها
- ٣٨٨ الله يجزي المحسنين على إحسانهم
- ٣٨٨ تقرير أن النساء فتنة
- ٣٨٨ وجوب احترام بيت المضيف وعدم خيانتة في أهله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ
- وَالْفَيَّا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ﴾ ٢٥ - ٢٩ ٣٨٩
- ٣٩١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩١ مشروعية الدفاع عن النفس
- ٣٩١ تحكيم ذوي المعرفة في الإشكالات التي تحدث بين الناس
- ٣٩١ مشروعية الستر
- ٣٩١ تحريم قذف البريء
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ
- تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۗ﴾ ٣٠ - ٣٢ ٣٩١
- ٣٩٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٣ تقرير أن من طبائع البشر تنبؤهم لأخبار بعضهم

- ٣٩٣ من طبائع البشر حب الثأر والانتقام
- ٣٩٣ قوة الإيمان تدفع مطامع النفس
- تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
- يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ .. ﴾ ٣٣ - ٣٥ ٣٩٤
- ٣٩٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٥ تقرير المدة التي مكثها يوسف في السجن مكرها
- ٣٩٥ للإكراه حالتان
- ٣٩٥ تقرير قوة إيمان يوسف عليه السلام
- ٣٩٥ من طبيعة البشر محاولة السكوت عن حادث مؤلم
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ .. ﴾ ٣٦ - ٣٨ ٣٩٦
- ٣٩٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٨ مشروعية تعبير الرؤيا
- ٣٩٨ البراءة من المشركين سبيل إلى النجاة
- ٣٩٨ ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب هي توحيد الله
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَنْصَحِي السِّجْنَءَ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ
- خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .. ﴾ ٣٩ - ٤٢ ٣٩٨
- ٤٠٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٠٠ تقرير أهمية الدعوة إلى الله
- ٤٠٠ لا يجوز الكذب في الرؤيا
- ٤٠١ التعلق بغير الله محرم

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ...﴾ ٤٣ - ٤٩

٤٠١ ٤٣ - ٤٩

٤٠٤ أحكام ومسائل الآيات

٤٠٤ الرؤيا تحدث للبشر على أي دين كانوا

٤٠٤ لا يجوز التحدث بالرؤيا إلا إلى عاقل

٤٠٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ...﴾ ٥٠ - ٥٣

٤٠٦ أحكام ومسائل الآيات

٤٠٦ تقرير قوة يوسف وحلمه وصبره

٤٠٧ وجوب التحقيق في مظالم الناس

٤٠٧ أهمية الصدق والجهر بالحق

٤٠٧ الإقرار بالخطيئة فضيلة تدل على الشجاعة

تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ...﴾ ٥٤ - ٥٥

٤٠٧ ٥٤ - ٥٥

٤٠٨ أحكام ومسائل الآيتين

٤٠٨ الأصل عدم جواز طلب تولي الولاية

الأصل عدم جواز قبول الولاية من الكافر إذا كان المراد

٤٠٩ من المولى خدمة أغراض من ولاه وبشروط

تفسير قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُ

٤٠٩ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ...﴾ ٥٦ - ٥٧

- ٤١٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٠ تقرير تمكين الله ليوסף بسبب صلاحه
- ٤١٠ الله يصيب برحمته من يشاء
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ٥٨ - ٦٢ ٤١٠
- ٤١٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٣ من العبر في قصة يوسف عليه السلام
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهَتِهِمُ قَالُوا إِنَّا بَنَاتُنَا مُنْعَمٌ مِّنَّا الْكِتَابُ ﴾ ٦٣ - ٦٤ ٤١٣
- ٤١٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤١٤ تقرير أن الإنسان قد يتردد في فعل شيء يخشى عاقبته
- ٤١٤ تقرير أن المؤمن يتوكل على الله
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَلْعَتَهُمْ زُدَّتْ إِلَيْهِمْ ﴾ ٦٥ - ٦٦ ٤١٤
- ٤١٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٥ قوة إيمان نبي الله يعقوب عليه السلام
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ ٦٧ - ٦٨ ٤١٦
- ٤١٧ أحكام ومسائل الآيتين
- الحكمة من مراد يعقوب من تفرق أبنائه حين دخولهم

- ٤١٧ على الملك
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ...﴾ ٦٩ - ٧٢
- ٤١٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٤١٩ مشروعية الاتفاق على كتم سر معين
- جواز الحيلة إذا كان فيها مصلحة ولا تتعارض مع
- ٤١٩ أحكام الشرع
- ٤٢٠ جواز الجعل لمن يؤدي عملاً
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ...﴾ ٧٣ - ٧٦
- ٤٢٠ أحكام ومسائل الآيات
- استرقاق المسروق منه للسارق شريعة إبراهيم وتحديد
- ٤٢١ الإسلام لعقوبة السارق وشروط ذلك
- جواز استعمال الحيلة للتوصل إلى أمر فيه مصلحة
- ٤٢٢ ولا يتعارض مع الشرع
- ٤٢٢ كل شيء بإرادة الله ومشيئته
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ...﴾ ٧٧ - ٧٩
- ٤٢٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٣ تقرير فضيلة اعتذار المخطئ عن خطيئته

- ٤٢٣ مشروعية استعطاف القادر على دفع مظلمة
- ٤٢٣ تحريم تخطي الجاني بالعقوبة إلى غيره
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا... ﴾ ٨٠ - ٨١ ٤٢٤
- ٤٢٥ أحكام ومسائل الآيتين
- مشروعية التناجي في أمر يهم المتناجين إذا لم يكن فيه
- أذى للآخرين ٤٢٥
- ٤٢٥ وجوب تذكير من أخذ العهد على نفسه أن عليه الوفاء
- ٤٢٥ الشهادة لا تكون إلا عن علم
- ٤٢٥ طرق العلم بالشهادة
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا... ﴾ ٨٢ - ٨٤ ٤٢٦
- ٤٢٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٧ مشروعية دفاع المرء عن نفسه
- ٤٢٧ مشروعية الصبر ووجوبه
- ٤٢٨ الحزن والبكاء من طبيعة النفس
- تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ... ﴾ ٨٥ - ٨٦ ٤٢٨
- ٤٢٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٢٩ استمرار الحزن يوهن القوة ويؤدي للهلاك

- ٤٢٩ الشكوى لا تكون إلا لله عز وجل
تفسير قوله تعالى ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُّوسُفَ
- ٤٢٩ وَأَخِيهِ ..﴾ ٨٧ - ٨٨
- ٤٣١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٣١ تحسس الخبر عن شيء يهم الأخ أمر مطلوب
- ٤٣١ حرمة القنوط من رحمة الله
- ٤٣١ جواز الشكوى إلى الحاكم وطلب المساعدة في دفع ضرر
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ
- ٤٣١ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ٨٩ - ٩٣
- ٤٣٣ أحكام ومسائل الآيات
- مشروعية السؤال المتضمن الإنكار على من فعل فعلا غير
- ٤٣٣ مشروع
- ٤٣٣ التوكيد على أن من يتقي ويصبر يجزى على صبره
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
- ٤٣٤ لِأَجِدُ رِيحَ يُّوسُفَ ..﴾ ٩٤ - ٩٥
- ٤٣٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٣٤ خروج ريح يوسف من خلال قميصه من بعيد من قدرة الله
- ٤٣٤ عدم جواز إغلاظ القول للمخاطب
- تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ
- ٤٣٥ فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا ..﴾ ٩٦ - ٩٨

- ٤٣٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣٦ مشروعية التبشير بحدث مشروع
- ٤٣٦ وجوب الاعتراف بالخطيئة والتوبة منها
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَبِيهِ
- ٤٣٦ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ .. ﴾ ٩٩ - ١٠٠
- ٤٣٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٣٨ سجود البشر للبشر معروف في الشرائع القديمة
- المراد بسجود يعقوب عليه السلام وأبنائه ليوسف عليه
- ٤٣٨ السلام سجود تحية لا سجود عبادة
- تفسير قوله تعالى ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي
- ٤٣٩ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ .. ﴾ ١٠١
- ٤٤٠ أحكام ومسائل الآية
- ٤٤٠ وجوب الإقرار بنعم الله على عبده
- ٤٤٠ وجوب سؤال الله حسن الخاتمة
- تفسير قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ
- ٤٤٠ إِلَيْكَ .. ﴾ ١٠٢ - ١٠٧
- ٤٤٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٤٢ التوكيد على نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ
- ٤٤٣ أكثر الناس لا يؤمنون مهما حرص الداعون إلى الإيمان
- ٤٤٣ الإنكار على من لا يتدبر في آيات الله

- ٤٤٣ الحكم بأنه لا إيمان مع الشرك
- الحكم بأن من أشرك بالله وكفر فلا يأمن أن ينزل
- ٤٤٣ عليه العذاب
- تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى
- ٤٤٣ ١٠٨ - ١٠٩ اللَّهِ .. ﴾
- ٤٤٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٤٥ الحكم بأن كلمة التوحيد هي سبيل رسول الله ﷺ وطريقته ...
- ٤٤٥ تأكيد أن الرسل الذين سبقوا رسول الله ﷺ كانوا بشراً مثله ...
- تفسير قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
- ٤٤٥ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ .. ﴾ ١١٠ - ١١١
- ٤٤٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٤٧ تقرير أن من حكمة الله وتدبيره تأخير نصر رسله
- ٤٤٧ الحكم بفضل القرآن الكريم وأن في ذكره قصص الأولين

